جذور تاريخية للتمييز العنصري

أديب اللجمي

ان للمجتمعات الأولية ، البدائية ، خصائص نوعية ، كما أن لكل منها تنظيماً يلائم طراز حياته وتطوره . فهي مجتمعات مغلقة ، وإذا حدث أن انفتحت على غيرها ، فلأسباب مقابلة لانكفائها ، ولاعتبارات عملية مؤقتة . بيد أن الجماعة البدائية تظل مطوقة بطقوس وتقاليد وضوابط ومحرمات تجعل منها بنية صلدة . فليس للفرد فيها وجود قائم بذاته ، وليس ثمة مداول لمفهوم « الشخصية الانسانية » . ان الفرد موجود في هذه الجماعات بصفته مشاركاً في خصائص جماعته المكونة من بنى فكرية واجتماعية متماسكة فيما بينها . وغير صحيح القول إن هذه المجتمعات هي في مرتبة دنيا بالقياس الى مجتمعاتنا الراهنة . فصلابتها وتماسكها هما نتيجة حاجة طبيعية لبقائها . ويكفي أن تتخلى الجماعة عن واحد من طقوسها حتى يستتبع ذلك انهيار بنيتها . وقد لوحظ تلاشي جماعات بدائية كثيرة اثناء اكتشاف العالم الجديد « أمريكا » لأنها لم تقم على أساس الاحتكاك بالغير ، فتركت نفسها تموت تلقائياً ، واندثرت في فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز الجيل . ذلك أن أي تدخل من الخارج الى داخل هذه الجماعات ، تحس به الجماعة بصورة تهديد لوجودها . ومع ذلك فليس هذا الشعور شعوراً بعنصرية ، انه نوع من الدفاع الاجمالي تجاه عدوان أو تهديد خارجي ذي طابع مادي أو روحي ، بل ان التهديد الخارجي الروحي أشد خطراً على حياة الجماعة من التهديد المادي .

فالخروج على تقليد أو نمط من أنماط السلوك هو خطيئة تحمل الجماعة كلها وزرها، وتدفع كلها ثمنها .

ان الجماعات المعاصرة ما تزال تحمل شيئاً من هذا الإرث . فهناك علاقة متبادلة بين « الشعور بالعداء » و « وجود الآخرين » . إن « الآخر » ، مهما يكن شأنه ، هو في الواقع عدو ، لأنه لا يشارك في كلية الجماعة التي ننتمي نحن اليها ، ولا في أرضها ومعتقداتها وقيمها . فالآخر هو « غريب » عنا غرابة جذرية ، وهذا هو الأساس الذي قامت عليه العنصرية .

ثم تنوعت الحاجات واتسعت ، مثلما تنوعت أساليب ارضائها ، فغدا عسيراً علينا أن نضبط معايير انتماء الفرد الى جماعة معينة . غير أن ردود الفعل ازاء الآخرين لم تتغير كثيراً . يدل على ذلك مصافحتنا للآخرين بقبضة يدنا المفتوحة . لقد بقيت الرابطة قائمة بين « وجود الآخر » و « الحذر من الآخر » . فمهما تكن آراء جماعة ما وقيمها فهي تظل تشعر أنها بنية اجتماعية مختلفة عن سواها ، وهي لا تتعاطف مع جماعة أخرى بصورة عفوية بل بجهد .

ثم تطورت الجماعات ، وتطور هـذا الشعور ذاته ، فتحول من « حذر من الآخر » الى « خوف من الآخر » ، أي الى رفض للآخر ، وبالتالي الى استئثار . ان العنصرية ما تزال تقوم على رفض جذري لوجود الآخرين . رفض من ناحية ، واستئثار من ناحية أخرى ، ذلك هو أيضاً البنيان العرقي للتمييز العنصري . ان العرقي ، هو انسان يرفض « الآخر » لأن « الآخر » ليس من دمه . بذلك تقف بعض الجماعات موقف الاستعلاء من الجماعات الأخرى . ان النازية حين صنفت الشعوب والجماعات ، وأقامت فيما بينها تمايزات لا في الشروط الفيزيولوجية والبيولوجية وحسب ، بل وفي الشروط الفكرية والاجتماعية ، انما استهدفت بالنتيجة محاولة « حذف » الجماعات التي لا تتوافر لها خصائص الجماعات « المتفوقة » .

من هنا ارتبطت العنصرية بمفهوم « التفوق » ، بعد أن شوهت هذا المفهوم وأبعدته عن مضمونه الأصلي ، فأصبح التفوق يعني وجود فريق من النـاس فوق الفرقاء الآخرين ، وتجلت هذه الفوقية ، في جملة ما تجلت ، باحتقار الذين لم ليسوا « فوق » ، كما تجلت باستعلاء يرافقه استغلال . هكذا تستغل جماعة جماعة أخرى حين تشعر الأولى أنها مستعلية عليها ، وهكذا يستغل الفرد فرداً آخر في داخل الجماعة ذاتها ، لأن

العنصرية ، إن كانت استعلاء من جانب ، فهي بالتالي امتهان للآخرين من جانب آخر . وقد يكون هذا الوجه هو الذي تطور وتنا أكثر من سواه من وجوه التمييز العنصري على مر التاريخ . ان الأبيض يحتن الأسود ، والأوروبي يحتن الافريقي ، ونماذج سلوك الاحتقار والاستهتار بالجاليات الأفريقية والآسيوية التي تعيش في أوروبا الغربية ، هي شواهد على هذه العيّنات من التمييز العنصري .

ذلك أن العنصرية ليست شكلا واحداً ، ولا نموذجاً فريداً تطور مع الزمن . انها أنواع شتى ، تتجلى في مستويات شتى . انها ليست سلوك فرد ، بل سلوك جماعة ، وبالتالي سلوك فرد من جماعة تمارس العنصرية .

فالأرضية التي تتحرك عليها العنصرية هي هذا الموقف الموروث من الماضي ، والذي يتضخم باستمرار مع الزمن . حتى لقد دخلت الحضارة التقنية ومبدعات العلم في خدمة التمييز العنصري أكثر مما دخلت طرفاً وأداة في إزالة الفوارق بين الشعوب . ان الرأسمالية قد نمت وازدهرت مع الحضارة الصناعية . ولم يكن نتاج هذا النمو موزعاً توزيعاً عادلاً على جميع الذين اسهموا فيه . لقد كان ولا يزال للحضارة الصناعية في النظام الرأسمالي رأس وسواعد . أما الرأس (العقل المنظم والمخطط) فهو احتكار لأصحاب السلطة والثروة في النظام ؛ وأما السواعد فهي مجموع الشعوب التي تعمل وتكد وتقدم جهدها ويطلب اليها ألا تتجاوز نطاق التنفيذ .

كثيرة جداً هي الدراسات المتلبسة لباس الجدية والرصانة والموضوعية تريد أن تبرهن على أن ثمة تفاوتاً نوعياً بين شعوب الغرب والشعوب الاخرى . ان هذا هو نموذج جديد لاستغلال العلم والبحث لأغراض عنصرية . هذا عالم نفسي يدعي أنه أجرى تجارب على مستوى الذكاء والقدرات لدى نماذج بشرية تنتمي الى شعوب مختلفة ، فتبين له ان « الأوروبي » أكثر ذكاء وأعلى مقدرة من « الآسيوي » ؛ وهو يقدم لك نتائجه على أنها حصيلة تجربات علمية وتطبيق « نزيه » لروائز موضوعية .. وهكذا تقوّم العنصرية كفاءات الناس من خلال معايير خاصة بها . فكل ماهو قريب من « النموذج » الأوروبي يجب أن يكون حضارياً بصرف النظر عن « قيمته » الذاتية . بذلك يتبدى لنا أساس آخر من الأسس التاريخية للعنصرية ، وهو ما يسميه علماء النفس بالتركيز حول الذات Egocentrisme . في هذا المنظار يرى العنصري نفسه غاية ، ويرى الآخرين وسيلة. ومن فكرة الوسيلة الى فكرة « استخدام الوسيلة » واستغلالها ، ينتقل العقل العنصري ،

فالآخرون هم أدوات بالنسبة للعنصري ، يفعل بهم ما يشاء ؛ يعاملهم باحتقار ويستغلهم باحتقار . إن تاريخ الاستعمار في جميع مراحله وتطوراته هو تاريخ التمييز العنصري . ولا يستطيع أحد أن يقيم فصاماً بينهما . حقاً قد تكون هناك أسباب عديدة للاستعمار ، بعضها اقتصادي وبعضها اجتماعي ، وبعضها سكاني ؛ بيد أننا لا نستطيع أن نتصور استعماراً لا يقوم على التمييز العنصري ، ولا يحرص على تكريس التفاوت بين الشعوب ، أو الطبقات الاجتماعية . لذا فان الصراع الطبقي في داخل المجتمع الواحد ، انما هو في أحد وجوهه أيضاً نوع من الصراع العنصري . وبهذا أيضاً يتجلى لنا أساس تاريخي جديد من الأسس التي يتحرك عليها التمييز العنصري .

هذا يعني أن مكافحة العنصرية لا تتم بنجاح الا اذا تصدت الى الأسس والمرتكزات التي تنمو العنصرية فوقها وترتكز عليها. وما دام هناك نظام اجتماعي يقوم على الاستغلال فلا يمكن للتفرقة العنصرية أن تزول الا بزوال الاستغلال ذاته . فالنضال الطبقي الهادف الى تصفية الاستغلال ، انما يسهم اسهاماً جذرياً في تصفية قطاع كبير من قطاعات التمييز العنصري ؛ ويبقى لأشكال النضال الأخرى حق تصفية نماذج العنصرية الأخرى .

العنصرية الصهيونية (١)

حبيب قهوجي

ان عملية التدليل على التمييز العنصري في اسرائيل ، هي عملية شاقة وسهلة في نفس الوقت على الباحث . شاقة لان الفكر الصهيوني مستفيداً من ثروات الاستعمار الضخمة في هذا المجال استطاع بخبث وبذكاء ان يتستر على حقيقة ممارسته ، فلم يترك ثغرات في قوانينه بحيث يتسلل منها اصبع الاتهام . وسهلة ، لأن الباحث يستطيع بدون عناء كبير ان يكشف زيف تلك القوانين البراقة ويثبت بما لايقبل الشك مدى عنصرية اسرائيل في الممارسة .

لذلك ستكون مهمتنا في هذا البحث التدليل أولا على العنصرية الكامنة في اعماق الفكر الصهيوني كفكر ، وثانيا تعرية حقيقة القوانين التي اصدرتها

(١) قدم هذا البحث في محاضرة ألقاها الكاتب بدمشق ، ويعد الكاتب حالياً دراسة عن المناطق المحتلة بعد عام ١٩٦٧ . وقد دفع للمطبعة كتاباً آخر عن أوضاع العرب في الأرض المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، وسيصدر قريباً عن مركز الابحاث الفلسطيني.

اسرائيل كدولة واستهدفت منها ان تقنع تمييزها العنصري امام الراي العام الدولي ، وثالثا عرض حالة المواطن العربي تحت الاحتلال الاسرائيلي منذ عام ١٩٤٨ وهي اكبر شاهد على حقيقة عنصرية اسرائيل .

ان وراء الحركة الصهيونية عقدة استعلاء مردها الى نظرية « الشعب المختار » التي هي شكل من اشكال العنصرية ، بل هي اعمق النظريات العنصرية ايغالاً في التاريخ . ونظرية « الشعب المختار » هذه تحتم على اصحابها عدم الامتزاج بغيرهم من الامم ، والسعي الحثيث لإقامة دولة هذا الشعب مناراً لباقي الشعوب .. وعلى ارض فلسطين بالذات .

والعنصرية هي جزء من الايديولوجية الصهيونية المعاصرة ، من حيث انها الايمان بقومية جميع يهود العالم المنحدرين من اصل واحد والذين يؤلفون عنصراً متفرداً بين الشعوب . ومن هنا يلتقون دون ان يريدوا - بالنظرية النازية . اذ كلتا النظريتين تنظران الى اليهود على انها عنصر متفرد لا يستطيع الاندماج بالاخرين . وبينما رأى اليهود الحل باقامة دولة خاصة بهم في فلسطين ، وجد هتلر الحل ايضاً ولكن على طريقته المعروفة الخاصة .

هذه العقيدة الصهيونية العنصرية والنظرة الخاصة للشعب المختار ولدت في نفس اليهود عزلة عنصرية وتفرداً عنصرياً ومن ثم تفوقاً عنصرياً مزعوماً ، جعلتهم يرفضون الاندماج بغيرهم من الشعوب ، ويرون طريق خلاصهم الوحيد هي في إضطهاد تلك الشعوب لهم حتى يتسنى لهم اقناع باقي اليهود في صحة النظرية الصهيونية الداعية الى اقامة دولة اليهود المستقلة .

وبينما يرى العنصريون الاستعماريون امكانية نهب ثروات البلدان المستعمرة وتسخيرها لخدمة مآربهم الاستغلالية ، نرى العنصريين الصهاينة يرون

ان من اهدافهم اقامة دولة اليهود المستقلة حيث يحافظون فيها على تفردهم ونقائهم العنصري . وقد اخذ المخطط الصهيوني هذه المسلمة بعين الاعتبار ، وحتى قبل قيام اسرائيل ، وخطط لجعلها يهودية خالصة بطرد سكانها العرب الفلسطينيين منها . ولقد قال روبين بركات احد اقطاب حزب مباي الحاكم : « لقد كنا نعتقد ان الدولة ستكون يهودية خالصة ، ليس فيها اقليات » .

ولقد اجمع رواد الفكر الصهيوني على رفضهم لجميع الحلول التي ظهرت في اعقاب الثورة الفرنسية ، مثل الحلول الدينية بانتظار المخلص ، وحلول الذوبان في في المجتمعات الاوروبية وخاصة بعد ان انتهى عصر الاضطهاد الديني في اوروبا ، وحلول الهجرة من أوربا الشرقية الى الغربية او امريكا الشمالية والجنوبية ، وحلول الثورة على الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية القائمة في اوروبا مع بوادر الثورة الاشتراكية .رفضوا جميع هذه الحلول كوسيلة لتحرير اليهود من الاضطهاد.

وفي كتابه « البحث عن صهيون » اكد الحاخام زفي هرش كاليشر ان خلاص اليهود لن يتأتى عن طريق « المسيح المنتظر » وانما بكسب موافقة الرأي العام الدولي على جمع شتات اليهود في الأرض المقدسة .

وفي مؤلفه « روما والقدس » حاول موزيس هس عام ١٨٦٢ ان يثبت ان اتجاه ذوبان اليهود في المجتمعات الاوروبية لايشكل الحل العملي للمشكلة اليهودية بسبب ما اسماه جهل رعاع آسيا واوروبا وبدائيتهم وقال ان « العنصر اليهودي » هو واحد من اقدم الاعراق الانسانية ، وان اليهود المقيمين في الامم الأجنبية لايمكنهم ان يندمجوا عضوياً . ثم انتهى الى القول ، بان النهضة القومية وحدها هي القادرة على وهب « عبقرية اليهودي » الدينية الحياة من جديد، ودعا الى اقامة المستوطنات في الأرض المقدسة ، واكد ان هناك شعباً واحداً

فقط ، هو الشعب اليهودي ، الذي استطاع بفضل عبقريته الخاصة ان يدرك ما اسماه « الخطة الالهية في تاريخ الانسانية » .

وأما ثيودور هرتسل ، مؤسس الصهيونية ومنظم المؤتمر الصهيوني الاول في ٢٩ آب ١٨٩٧ في بال ، فقد جاء في مؤلفه الصادر عام ١٨٩٦ « الدولة اليهودية » : « ان اليهود يشكلون شعباً واحداً بحيث ان الاضطهاد والمذابح المتعددة التي تعرضوا لها على مدى قرون عديدة لم تنجح في ابادتهم . » . وقال : « ان الهوية القومية لدى اليهود لا تستطيع ولا يمكن أن تموت ، ويجب الا تموت . » . وقال : « ان المشكلة اليهودية هي مسألة قومية تقتضي توكيد اليهود على قوميتهم والسعي لاقامة دولتهم » .

ولقد جاء في كتابه ما يفضح الفكر العنصري الصهيوني ويشير الى استغلاله لاضطهاد اليهود لتحقيق مآرب الصهيونية حيث قال : « لولا العداء للسامية لما كنا بقينا يهوداً فأعداء السامية هم الذين جعلوا من اليهود شعباً واحداً بالرغم عنهم ، وان لم يكن العداء للسامية موجوداً فمن الواجب استنباطه والابقاء عليه كشرط لوحدة اليهود وشعورهم بيهوديتهم والحفاظ على كيانهم الانعزالي الخاص » .

هذه بعض عينات من الفكر الصهيوني العنصري ، التي كانت الاساس الفلسفي لبناء دولة اسرائيل التي تجسدت واقعاً عام ١٩٤٧ في ٢٩ تشرين ثاني . وبمجرد اعلان قيام الدولة على اثر قرار التقسيم ، صدر قانون العودة الذي يعتبر بموجبه الدين اليهودي اساساً لهذا القانون ، اذ انه يمنح كل يهودي — بسبب دينه — الحق في الهجرة الى اسرائيل والتجنس بالجنسية الاسرائيلية بشكل تلقائي . وبهذا ، تسن دولة اسرائيل اول قانون عنصري بعد قيامها . ودولة اسرائيل الى الآن لا تزال تقوم بدون دستور — كما هو معروف — لان المجتمع الاسرائيلي — حسب رأي المشرعين — لم يتبلور بعد ولا يريدون ان يقيدوا من الآن الأجيال القادمة

بدستور قد لا ينسجم مع مشكلاته ونظرته للأمور . ولذلك فان دولة اسرائيل قد ورثت فيما ورثته عن الانتداب البريطاني نظامه وقوانينه التي ادخلت عليها بعض التعديلات وحذفت منها بعض القوانين وشرعت قوانين جديدة ، كل ذلك حسب واقع الدولة وما يقتضيه هذا الواقع من وجهة نظر صهيوني . وكان النظام البريطاني بدوره قد ورث النظام العثماني بقوانينه واعرافه ، فأبقى منها ما ابقى وحذف ما وجده لايتلاءم مع طبيعته الاستعمارية الجديدة. من هنا اخذت اسرائيل تصدر بين الحين والحين بعض القوانين الخاصة التي تنسجم مع مصالحها ونظرتها للمجتمع وللأفراد ،ولكنها كانت حادقة بحيث انها تستطيع ان تطيب تلك القوانين تعود لاتنبعث منها رائحة العنصرية الكريهة وخاصة فيما يتعلق منها بالعرب الذين بقوا في البلاد . وسنرجع إلى هذا بعد ان نتعرض للقوانين اليهودية المتعلقة بالدين اليهودي بالذات والتي تفوح منها رائحة العنصرية .

القوانين اليهودية

مع أن دولة اسرائيل تدعي العلمانية ، الا ان الاحزاب اليهودية المتدينة استطاعت بالرغم من قلة قوتها العددية ان تبسط نفوذها على كثير من مظاهر الحياة في اسرائيل وذلك لعدة سباب . منها اضطرار حزب المباي الحاكم (التجمع حالياً) الى اقامة ائتلاف معها فسايرها ، ومنها رغبة حكومة اسرائيل باعطاء الدين — الذي ترتكز عليه الحركة الصهيونية في دعايتها الى حد بعيد — مرتبة بارزة في الحياة العامة . وقد استطاعت هذه الاحزاب ان تحصل على اقرار قانون لدعم وتمويل مدارس المتدينين التي تربي الاجيال الناشئة — بعد موافقة الاهل — وفق نظرة يهودية خاصة، او فيما سمي بالتعليم الحكومي الديني في المدارس الاسرائيلية.

وكذلك استطاعت هذه الاحزاب المتدينة ان تفرض نظرتها على الدولة العلمانية وكيفية رؤيتها للامور . فاستطاعت ان تحصل على قانون يعفي البنات اليهوديات المتدينات من الخدمة في الجيش ، اذ المعروف ان في اسرائيل خدمة عسكرية اجبارية للجنسين ، وقد استطاع حوالي ٤٠ ٪ من الفتيات اليهوديات ان يتهربن من خدمة الجيش بادعائهن التدين . كذلك اعفت بموجب هذا القانون كل الشباب ، الذين يلتحقون بمعاهد دراسة التوراة والتامود ، من التجنيد الاجباري . كما ان هذه الاحزاب استطاعت ان تمنع تربية الخنازير في اسرائيل الا في نطاق مجالس بعض القرى العربية غير المسلمة — علماً بأن الاكثرية الساحقة تأكل لحم الخنزير وعلماً بأنه متوفر في الاسواق العامة .

واما شؤون الاحوال الشخصية ، فتخضع للاحكام الدينية اليهودية التقليدية خضوعاً تاماً . فاذا اراد اي شخص يحمل جنسية اسرائيلية ان يتزوج زواجاً مدنياً فعليه ان يسافر الى بلد يقر هذا النوع من الاحكام ، حتى ان قاضي المحكمة العليا الاسرائيلية حاييم كوهين اضطر للسفر الى قبرص ليجري عقد زواج مدني هناك على امرأة يهودية مطلقة لأن عمله هذا غير شرعي في اسرائيل ، إذ ان القانون الديني اليهودي لا يسمح لأي يهودي اسمه كوهين بالزواج من مطلقة ، بينما القانون الدولي الخاص يقر هذا الامر في اسرائيل . وكوهين هو نفس الشخص الذي كان قد صرح مرة في المحكمة العليا الاسرائيلية في تموز ١٩٦٣ قائلا : ان النظريات البيولوجية والعنصرية التي روج لها النازيون والتي اوحت بقوانين نورمبرغ العنصرية ، هي نفسها الاساس للتعريف الرسمي لليهودية في دولة اسرائيل . كما ان عنصرية القوانين الدينية اليهودية تتجلى اكثر ما تتجلى في حادثة ضابط البحرية شليت ، اذ ان وزارة الداخلية في اسرائيل رفضت تسجيل ابناء هذا الضابط على انهم من

ابناء الشعب اليهودي لان امهم غير يهودية . وقد حدثت ازمة من جراء هذا الامر وكادت تعصف بالحكومة ، مما اضطرها الى تعديل قانون العودة السابق الذكر عام ١٩٧٠ .

كما اننا نرى استناداً الى هذه العنصرية المتأصلة في القوانين الدينية اليهودية، رفض كبار حاخامي الجيش الاسرائيلي السماح بدفن جثة احد الجنود الاسرائيليين ضمن حدود المقبرة العسكرية اليهودية نظراً لان ذلك الجندي لم تنجبه ام يهودية ، وذلك استناداً الى القوانين الدينية اليهودية التي لاتعترف بيهودية اي شخص ما لم تكن امه يهودية .

ومن سخرية القدر ان حفيدة بن غوريون — اكثر اليهود تعصباً — قد رفض الحاخامون تسجيل عقد زواجها عام ١٩٦٨ نظراً لان امها — زوجةعاموس بن غوريون — غيريهودية،مما اضطرها الى اجراء عملية تهويد لها ولامها بهذه المناسبة .

لقد تعرضت لهذه القوانين لسببين : السبب الاول : لاظهار العنصرية الكامنة في صميم القانون الديني اليهودي ، والسبب الثاني : لبيان كيفية خضوع الحكم المدني الى القوانين الدينية عندما تكون هنالك مصلحة مشتركة بين الاثنين تخص الحركة الصهيونية ودولة اسرائيل . اما عندما تكون مصلحة دولة اسرائيل والحركة الصهيونية العنصرية الرامية الى الاستيطان في فلسطين بأي ثمن ، فاننا نرى ان السلطات الاسرائيلية تضرب جميع القوانين سواء منها القوانين المدنية الاسرائيلية او القوانين الدينية اليهودية او القوانين الموروثة من الانتداب البريطاني حتى العثماني عرض الحائط ، وتفلسف لنفسها حججاً وذرائع في سبيل التوصل الى اهدافها غير المشروعة دائماً . فحكومة اسرائيل - رغم انها ورثت فيما ورثته من البريطانيين والعثمانيين النظرة المتحررة بالنسبة للاديان وتركت لكل طائفة حرية التصرف

وفق انظمتها ومحاكمها الشرعية الخاصة ـ الا انها لم تجد ضيراً في التنكر لهذه الحريات ومناهضتها عندما تتعارض مع مصالحها سواء منها الآنية او البعيدة .

فالاعتراف بالطائفة الاسلامية في «اسرائيل» وبقوانين الشريعة الاسلامية ومحاكمها لم يردعها عن مصادرة املاك الوقف الاسلامي بحجة انها املاك غائبين ـ استناداً الى قانون املاك الغائبين الذي سنتعرض له فيما بعد ـ مع العلم ان الشريعة الاسلامية تعتبر الوقف الاسلامي ملكاً لله . ولا نعتقد ان الله رحل من فلسطين ، يوم احتلتها اسرائيل وشردت اهلها الاصليين . وعندما طعنت المحكمة العليا بهذا الموقف، سارعت السلطات الاسرائيلية الى سن قانون خاص في الكنيست اخضعت بموجبه تلك الاملاك الى صلاحيات القيّم على املاك الغائبين ، ووضعت بيده وحده صلاحيات « تحريرها » فقط وتسليمها الى لجان الامناء ، هذه اللجان التي يحق لها حتى بيع هذه الاملاك بعد تحريرها . وبما ان الشريعة الاسلامية لا تجيز بيع هذه الاملاك ، فقد استشهدت السلطات الاسرائيلية في مقارنة مضللة بما يجري في سورية ومصر من السماح ببيع املاك الوقف والتصرف بها . والتضليل واضح في هذا الامر ، ففي سورية ومصر اذا صح ان هناك مثل هذا القانون فان السلطات تصادر الملك وتبيعه لمصلحة الشعب العربي المسلم وتنتقل الملكية من الوقف الى افراد يتبعون نفس الطائفة . اما في اسرائيل فان لجان الامناء تلك ، مشكّلة في اغلبها من عناصر عميلة طيعة للسلطات تبيع تلك الاملاك الى شركات اسرائيلية صهيونية احتكارية وتجرد الشعب العربي منها الى الابد .

كما ان السلطات الاسرائيلية بالرغم من انها اعترفت باستقلالية الطائفة الدرزية ومحاكمها الشرعية الا ان ذلك ايضاً لم يمنعها من مصادرة املاك الاوقاف الدرزية كما حدث في وقف النبي « سبلان » في حرفيش (الجليل) .

بقي ان نعرف ان الوقف الاسلامي في فلسطين يشكل $\frac{1}{16}$ من مجموع مساحة فلسطين وان السلطات قد صادرت بموجب قانون املاك الغائبين حوالي (٧٠) الف دونم ارض بالاضافة الى المحلات والابنية التابعة للوقف الاسلامي والتي تبلغ في مدن كيافا وعكا حوالي ٧٠٪ من مجموع الحوانيت في المدينتين . اما مداخيل هذه الاوقاف ، فلا احد يعرفها الا القيم على املاك الغائبين .

ولنعد مرة اخرى الى القوانين التي شرعتها السلطة ، مستهدفة من ورائها الاضرار بالمصالح العربية في البلاد . لقد كان قانون الجنسية الاسرائيلي مرادفاً لقانون العودة،مع الفارق بانه بقدر ما يعطي الثاني لليهودي من حقوق يحرم الاول العربي منها . فكأن السلطات ارادت بذلك ان تأخذ من العربي ، وتسبغ على اليهودي . فلقد نصت المادة الثالثة من قانون الجنسية الاسرائيلي الصادر بتاريخ ١٩٥٢/٤/٨ على انه: لايحق للعربي الحصول على هذه الجنسية الا اذا توفرت فيه عدة شروط تتعلق بمحل اقامته فيتواريخ معينة وتسجيله في سجل السكان في تاريخ معين أن يكون مسجلا في سجل السكان في اسرائيل في يوم ١٩٥٢/٣/١ . وقاطناً في اسرائيل يوم ١٩٥٢/٤/١ . وكان في اسرائيل او في اراض صارت اسرائيلية بعد ذلك وذلك من تاريخ اعلان قيام الدولة وحتى يوم ١٩٥٢/٤/١ .

ومن بين هذه الشروط المسبقة التي تبدو عادية شرط يقضي بان يكون المواطن موجوداً في المنطقة التي اصبحت اسرائيلية منذ تاريخ صدور قرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/١٩ وحتى احتلال الجيش الاسرائيلي لتلك المنطقة . وقد فسرت السلطات الاسرائيلية هذه المادة تفسيراً واسعاً بحيث رفضت منح الجنسية لمواطن عربي كان بالفعل موجوداً في المنطقة التي اصبحت « اسرائيلية » بفضل الاحتلال،

الا انه غادرها لبضعة ايام – قبل احتلالها – الى بيروت للمعالجة الطبية ، ثم عاد الى بلده في الجليل ، وذلك – حسب تفسير السلطات – لان غياب هذا المواطن عن المنطقة لبضعة ايام وحتى قبل احتلال اسرائيل لها يسقط حقه في الجنسية . ويمكننا تصور المتضررين من هذا القانون ، اذا علمنا انه في ذلك الوقت كان جميع سكان الجليل والمثلث مضطرين للسفر الى البلاد العربية المجاورة لقضاء حاجاتهم .

ولقد ناضل المواطنون العرب نضالاً قاسياً ضد هذا القانون، وشكلت لجان لمتابعة محاربته وارسلت مذكرة للامم المتحدة. وكانت تلك الهبة الشعبية أثناء بحث اعتراض المواطن المذكور سابقاً في محكمة العدل العليا التي قررت تحت تأثير هذا الجو وخوفاً من تعرية عنصريتها امام الرأي العام الغاء تفسير السلطات واقرت حق الرجل في الحصول على الجنسية. ولما استأنفت السلطات الحكم عادت المحكمة واقرت هذا الحق بهيئة مؤلفة من خمسة قضاة بدلاً عن ثلاثة. وبهذا القرار، تكون قد اقرت حق الجنسية الاسرائيلية لعدة مئات من المواطنين العرب الذين ارتكبوا مخالفات مشابهة ولابناء عائلاتهم.

ان السلطات الاسرائيلية التي استحدثت قوانين من شأنها ان تحافظ على حريات الفرد والجمهور في البلاد لتكون نموذجاً للدول المتقدمة ومشجعاً لهجرة اليهود من ارجاء العالم والتي كانت تقدر بأن تكون الدولة « يهودية ارضاً وسماء وسكاناً » هالها ان يستفيد العرب المتبقين تحت احتلالها من هذه القوانين المتحررة نسبياً. ولما كانت لا تستطيع ان تلجأ لاساليب جنوب افريقيا وروديسيا الصارخة في التمييز ،فقد وجدت بدهائها المعهود حلا لهذه المشكلة بحيث تبقى واجهة القوانين ليبرالية متحررة امام الرأي العام من جهة ومن جهة اخرى لا يستطيع العرب ان يمارسوا تحت احتلال اسرائيل ابسط حقوقهم المدنية والقومية . ومن هنا اوجدت

لهم انظمة الطوارىء وحكمتهم حكماً عسكرياً شرساً يتدخل في كل شاردة وواردة في حياتهم، وعوضاً من ان ترتبط الحياة العربية بمختلف الدوائر والوزارات المختلفة فقد فرض عليهم ان يراجعوا دوائر الحكم العسكري في كل قضية من حياتهم اليومية ونستطيع ان نقول بأن اسرائيل قد جعلت للعرب في داخلها دولة في داخل الدولة هي دولة الحكم العسكري .

الحكم العسكري

يستند الحكم العسكري الى انظمة الطوارىء البريطانية التي طبقت على فلسطين عام ١٩٣٦ لمواجهة الثورة يومذاك ثم استجدت عام ١٩٤٥ لمواجهة الارهاب الصهيوني في فلسطين والاستعداد العربي للثورة . وانظمة الطوارىء هذه تقع في حوالي ٢٠٠ صفحة وتبين الصلاحيات الواسعة التي يستطيع الجيش بموجبها ان يتدخل ابتداء من مراقبة الرسائل الخاصة والتنقل حتى فرض الاقامة الاجبارية واثبات الوجود في مراكز الشرطة والنفي داخل وخارج البلاد واعلان مناطق مقفلة والاعتقالات الادارية بدون محاكمات وتفسير قوانين الصحافة والمطبوعات وتنظيم الجمعيات والنقابات الى آخر هذه التفاصيل . ولقد اعطى القانون العسكري لانظمة الطوارىء البريطانية التي ورثتها اسرائيل ، لكلمة انظمة ، قوة اقوى من قوة القانون — اذ المعروف ان الانظمة تابعة للقوانين عادة — بحيث ان هذه الانظمة تستطيع ان تبطل مفعول اي قانون في البلاد يتعارض معها وتكون لها الكلمة الفصل في كل امر . كما ان كلمة طوارىء التي ترد في العنوان توحي بأن هذه الانظمة تستعمل في حالات معينة تمر فيها البلاد كالحرب او قمع حركة تمرد مثلا ،ولكن هذا الامر غير وارد بالنسبة لتطبيق انظمة

الطوارىء في اسرائيل ، فقد اعلنت حالة الطوارىء في اسرائيل بعد ستة ايام من اعلان قيامها ولا تزال سارية المفعول حتى يومنا هذا . واما ما اذيع عن الغائها في ايلول عام ١٩٦٦ فلم يكن الا خدعة لفظية قصد بها تضليل الرأي العام الداخلي والخارجي . اذ ان حقيقة الاجراء هي نقـل صلاحيات الحكم العسكري من الجيش الى الشرطة السياسية « قسم المهمات الخاصة » والغاء تصاريح التنقل داخل البلاد، وكان الحكم العسكري أعطى العرب في اسرائيل تصريحـاً جماعياً للتنقل داخل البلاد – ما عدا شريط معين على الحدود – بدون الحصول على اذن مسبق . ان السلطات بذلك الغت مظهر الحكم العسكري، ولم تلغ جوهر الحكم وانظمته . كما انها استثنت من ذلـك التخفيف جميع العرب النشيطين سياسياً واجتماعياً واجبرتهم على الحصول على اذون تنقل مسبقة ، كما فرضت على بعضهم الاقامـة الاجبارية والاعتقال الاداري . ويبلغ عدد هؤلاء حوالي الالفي شخص ، وهم يشكلون القيادة السياسية والثقافية للمجتمع العربي داخـل اسرائيل . وكأنها تقول لهؤلاء المواطنين انتم احرار ما دمتم تعيشون الحياة التي نرسمها لكم ، الحياة البعيدة عن التعرض لطبيعة النظام الاسرائيلي الصهيوني ، وما دمتم توافقون على السياسة الصهيونية في ابعادهـا ومضمونها فانكم لن تتعرضوا للمطاردة والاضطهاد . ويصبح الامر خطيراً جداً – وشهر كل الاسلحة الموجودة في ترسانة الحكم العسكري – اذا مس العربي قدس اقداس الصهيونية ولو بالقول لا بالفعل . ان اي مواطن يجرؤ على هذا يصبح مجرماً نازياً ، لا سامياً ، تشن عليه الصحافة الصهيونية حملة مركزة تمهد بها الطريق امام السلطات التي تتذرع بحجة « الامن » وتتقدم لملاحقة كل من تسول له نفسه المس بأمن اسرائيل .

ان حكومة اسرائيل تستهدف من وراء عنصريتها وقوانينها العنصرية

تذويب الكيان القومي للمواطنين العرب ، تمهيداً لتبديدهم القومي والقضاء على الوجود العربي ذاتـــه في البلاد الذي استهدفه التخطيط الصهيوني حتى قبل قيام الدولة .

بوحي من هذه الاهداف وتحقيقاً لهـــا ، وضعت الحكومة سياستها ازاء المواطنين العرب الذين ظلوا في وطنهم رغم ماتعرضوا له من الاخطار اثناءعمليات الاحتلال عام ١٩٤٨ نتيجة لتصرفات التشكيلات العسكرية الصهيونية . وكان من ابرز مظاهر تلك السياسة الصهيونية الاسرائيلية مايأتي :

الاراضي العربية

لقد رفعت الحركة الصهيونية شعار«احتلال الارض والعمل»منذ بدء غزوها لفلسطين.ولم تستطع قبل قيام الدولة بالرغم من كل مابذلته من الاستيلاءعلى اكثر من ٧ ٪ من الاراضي في فلسطين ، ولما احتلت البـــلاد عام ١٩٤٨ وطردت سكانها العرب صادرت املاكهم فتحقق لها جزء من حلمها الكبير في« احتلال الارض».

الا ان املاك المواطنين العرب الذين بقوا ذلك الوقت تحت احتلالهـــا كانت الفاكهة المحرمة التي سال لعاب السلطات امامها فلم تتورع عن اتخاذ كل اجراء لمصادرتها . فسنت من اجل ذلك مختلف التشريعات والانظمـــة ، ومارست على نطاق واسع عمليات الترحيل ونسف القرى العربية وتخريب مزروعاتها للحيلولة دون رجوع اهلها اليها .

ففي عام ١٩٤٨ ، طبقت الحكومة انظمة الطوارىء لاملاك الغائبين ، التي استبدلت بها عام ١٩٥٠ قانون املاك الغائبين . والغائب كما يعرفه القانون هو كل من كان مواطناً فلسطينياً وترك مكان سكناه الاعتيادي في فلسطين الى اي

مكان خارج فلسطين قبل ١ ايلول عام ١٩٤٨ ، او الى اي مكان في فلسطين كان خاضعاً لقوات كان هدفها منع قيام دولة اسرائيل او حاربت دولة اسرائيل بعد قيامها ، وذلك في اي وقت من المدة الواقعة بين يوم ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ وبين اليوم الذي يعلن فيه انهاء حالة الطوارىء التي اعلنها مجلس الدولة المؤقت . والمعلوم ان حالة الطوارىء المشار اليها لم يعلن عن انتهائها حتى الآن . كما ان هذا التعريف الشاذ انما يسري على كل سكان منطقة المثلث ، واعداد ضخمة من المواطنين العرب في الدولة ، من الذين وجدوا في مناطق كانت خاضعة للقوات العربية ثم احتلتها اسرائيل او سلمت لها فيما بعد (كمنطقة المثلث التي سلمت بموجب اتفاقيات رودس) . فقد كان طبيعياً ان يسافر المواطنون العرب في تلك الاثناء الى بلدان عربية مجاورة تبعاً لمقتضيات شؤونهم واعمالهم ، كما ان بعض سكان المدن والقرى العربية اضطروا في بعض الاحيان الى مغادرة اماكن سكناهم خوفاً من ان يواجهوا مصير سكان دير ياسين . على كل هؤلاء ان يعلموا سلفاً بقيام دولة اسرائيل وبامكانية سنها مثل هذا القانون حتى لايغادروا اماكن سكناهم . ولانهم لم يستطيعوا ان يتنبئوا بذلك فقد صودرت اراضيهم بالرغم من وجودهم ضمن حدود دولة اسرائيل قبل ١٩٦٧ .

كذلك استغلت الحكومة المادة ١٢٥ من انظمة الدفاع (حالة الطوارىء) ١٩٤٥ لمصادرة الاراضي العربية ، حيث تنص هذه المادة :

« يحق للآمر العسكري ان يعلن بأمر منه منطقة او مكاناً كمنطقة مغلقة بالنسبة لهذه الانظمة ، واي شخص يدخل او يغادر منطقة

بدون تصريح خطي من الآمر العسكري أثناء اعتبار المنطقة مغلقة ، يرتكب جريمة ضد هذه الانظمة » .

بموجب هذه المادة اعلن عن كثير من القرى العربية كمناطق مغلقة بعد طرد سكانها منها ، وبذلك حيل بينهم وبين الدخول اليها لتقوم الحكومة بعدئذ بالاستيلاء على اراضي كل تلك القرى ومصادرتها . ومن هذه القرى : الغابسية ، عمقا ، فرّادى ، كفرعنان ، صفورية ، المجدل ، كفر برعم ، المنصورة . ميعار ، الكويكات ، البروة ، الدامون ، الرويس .

وفي عام ١٩٤٩ ، طبقت الحكومة انظمة الطوارىء (مناطق الامن) . وبموجب هذه الانظمة ، خول وزير الدفاع صلاحية اعلان اي مكان في البلاد كمنطقة امن . ومن ثم اخلاء تلك المنطقة من سكانها خلال عشرة ايام من تبلغيم بمغادرتها . استناداً الى الصلاحيات المخولة له بموجب هذه الانظمة ، اعلن وزير الدفاع عن معظم المناطق التي يسكنها العرب في الجليل والمثلث كمناطق مغلقة . وبموجبها طرد سكان اقرت و كفر برعم في الجليل ، وحيل بينهم وبين الرجوع الى القريتين حتى بعد ان امرت المحكمة العليا بذلك . فقد قامت السلطات بنسف القريتين لعرقلة تنفيذ قرار المحكمة ، ولما استجوب رئيس الحكومة انذاك وهو دافيد بن غوريون ، قال في الكنيست ، انه لاهو ولا رئيس الاركان يعرف المسؤول عن ذلك ، ثم لم يجر تحقيقاً حول الموضوع . والجدير ذكره ان قرية اقرت - وكل سكانها من العرب المسيحيين - قد نسفت بيوتها ليلة عيد الميلاد بالذات .

وفي عام ١٩٤٨ طبقت الحكومة انظمة الطوارىء لاستغلال الاراضي لاستغلال الاراضي البور . وهذه الانظمة تخول وزير الزراعة حق وضع يده على كل ارض بور لتأمين استغلالها ، وذلك في حالة عدم اقتناعه بان المالك قد بدأ او

او يريد ان يبدأ في استغلالها او استكمال استغلالها . وهكذا اعطت هـذه الانظمة صفة قانونية لعمليات الاستيلاء والمصادرة التي قامت بها المستوطنات اليهودية ، وكذلك لتلك التي تمت وستتم بالنسبة للاراضي العربيةالتي اعلنتهاالسلطات وستعلنها كمناطق امن أو مناطق مغلقة يمنع اصحابها من الوصول اليها استناداً الى المجموعتين السابقتين من الانظمة . وهكذا نرى ثمة عمليات النهب المنظم ، فمن جهة تمنع السلطات الفلاحين العرب من الوصول الى اراضيهم لزراعتها ومن جهة ثانية تصدر قانوناً لمصادرة تلك الاراضي لان اصحابها لم يفلحوها .

ثم في عام ١٩٥٠ سنت الحكومة قانون الاستيلاء على الاراضي في حالة الطوارىء . ويخول هذا القانون الحكومة ، صلاحية الاستيلاء على اي ارض او مبنى اذا رأت ضرورة ذلك « للدفـاع عن امن الدولة وأمن الجمهور ولتأدية الخدمات الاجتماعية الضرورية، او لاستيعاب المهاجرين،او اسكان الجنودالمسرحين او مشوهي الحرب » . وهذا القانون الذي خول الحكومة بادىء الامر صلاحيات الاستيلاء على الاراضي او المباني الضرورية للاغراض المذكورة لمدة ثلاث سنوات فقط ، عدل قبل نهاية الثلاث سنوات الاولى بحيث مدد المدة الى ست سنوات ، ثم عدل ثانية قبل انتهاء المدة بحيث جعل من حق الحكومة وضع يدهـا على الممتلكات المذكورة في الحالات المبينة حتى ١/٨/١٩٥٨ ، واعتبر التعديل كل ملك من هذا القبيل بقي في حيازة الحكومة بعد ١/٨/١٩٥٦ كملك مصادر . ومن المعلوم ان كل الاملاك التي استولت عليها الحكومة بموجب هذا القانون قد ظلت في حيازتها حتى بعد ١/٨/١٩٥٦ وبذلك صودرت كلها .

وفي عام ١٩٥٣ ، صدر قانون استملاك الاراضي (المصادقات على اراض وتعويضات) . وبموجب هذا القانون جعلت كل الاراضي التي لم تكن بحيازة

اصحابها حتى ١ نيسان ١٩٥٢ ،والتي خصصت منذ ١٤/٥/١٩٤٨ وحتى ذلك التاريخ لاغراض التطوير والاستيطان او الامن ، والتي لاتزال مطلوبة من اجل تلك الغايات او بعضها ، ملكاً لدائرة الانشاء والتطوير . وفي حوالي سبعة اشهر بعد اقرار هذا القانون نشرت في الجريدة الرسمية اعلانات عن مصادرة اراضي ٢٥٠ قرية عربية استناداً اليه . ومن ضمن اراضي القرى اراض للعرب القاطنين تحت الحكم الاسرائيلي .

وفي عام ١٩٥٨ صدر قانون مرور الزمن الذي عدل القانون العثماني وجعل مدة مرور الزمن عشرين عاماً (بالنسبة للارض التي تم وضع اليد عليها بعد ١ ـ ٣ ـ ١٩٤٣) بدلا من عشرة ، ومدة مرور الزمن هي المدة التي يجب ان يثبت فرد ما انه استعمل فيها ارضاً معينة وطورها ليحق له المطالبة بتسجيلها باسمه في دائرة الاراضي ، اذ كانت معظم الاراضي في فلسطين اميرية . وبما أن تسوية الاراضي في الجليل لم تتم في زمن الانتداب البريطاني ، فقد اتاح هذا القانون للحكومة امكانية مصادرة آلاف الدونمات من الارض العربية هناك .

يضاف الى كل تلك القوانين ، قانون الاستملاك للمقاصد العامة لعام ١٩٤٣ . ومثل هذا القانون موجود في كل دول العالم الا انه يستعمل لاهداف محددة ، كأن تصادر قطعة ارض لبناء مدرسة او مستشفى او لشق طريق عام ، ويدفع التعويض العادل بدلا عن الارض المصادرة . اما في اسرائيل ـ وبالنسبة للسكان العرب بالذات ـ فقد استعمل هذا القانون لمصادرة الاراضي العربية واقامة المستوطنات اليهودية عليها . فبموجبه صودر قسم من اراضي الناصرة ، واقيمت مدينة

يهودية عليها . وكذلك صودرت بموجبه اراضي البطوف والشاغور ، لاقامة مدينة يهودية اخرى باسم كرمئيل .

بموجب هذه الانظمة والقوانين صادرت الحكومة حوالي مليونا وربع المليون دونم من الاراضي العربية في البلاد ، مع ان السلطات تعترف بانها لم تصادر اكثر من (٨٥٠) الف دونم فقط . ويمكننا تقدير اهمية هذه الارقام اذا ما علمنا بان مجموع ما يملكه العرب المتبقون في البلاد بعد عام ١٩٤٨ كان حوالي مليون وستمائة وخمسين الف دونم ارض .

واذا كانت الحكومة الاسرائيلية قد انتحلت لتبرير تصرف مختلف الحجج والاعذار التي تبدو احياناً براقة مخادعة ، فان مشروع تهويد الجليل الذي تبنته وشرعت في تنفيذه ، فعلاً ، ليدل بشكل قاطع لا يحتمل الجدل ، ان هدفها الحقيقي انما هو تصفية الوجود العربي في البلاد . بل انه يثبت هذه النية المبيتة ان بن غوريون قبل قيام الدولة لجأ الى شركة الكارن كايمت لاقراضه مبلغاً من المال ، وعرض عليها ان تشتري منه مليوني دونم من الارض بسعر نصف ليرة للدونم . ولما سئل من اين يأتي بتلك الاراضي ، قال بأن جيش الدفاع الاسرائيلي سوف يحتل ارضاً عربية في فلسطين ، وانه سيسلم تلك الارض للكارن كايمت مقابل ما تقرضه من المال . واذا كان قد استغل الحكم العسكري وانظمة الطوارىء من اجل مصادرة الارض العربية فلقد كان هنالك ايضاً امام هذه الانظمة هدف لا يقل عن الهدف الاول ،هومنع التنظيم السياسي بين العرب وجعل الاقلية العربية مزرعة للاحزاب الصهيونية وغير القومية .

لا يوجد في اسرائيل بالرغم مما تدعيه من ديموقراطية وحريات اي تنظيم عربي مستقل ولا اية صحيفة عربية مستقلة . وخير مثال على ذلك صراع حركة

الارض القومية مع السلطات على جميع المستويات السياسية والتشريعية والنضالية.

فهذه السلطات بما يخولها الحكم العسكري رفضت اعطاء حركة الارض ترخيصاً باصدار صحيفة . وقد تذرعت في بادىء الامر بحجة ان الطلب المقدم لا يستوفي صاحبه جميع الاوصاف المطلوبة في قانون المطبوعات . ولما غطي هذا الطلب ،او بالاحرى الطلبات، كشفت السلطات القناع عن حقيقة نواياها ورفضته . ولكن هذه المرة متذرعة بقوانين الطوارىء ، ومدعية ان صحيفة كهذه تشكل خطراً على امن الدولة . وعندما تصل القضية الى العجل المقدس ينتهي الامر وتتحول محكمة العدل العليا الى مؤسسة من مؤسسات الحكم العسكري .

وقد لجأت السلطات مرة ثانية الى ضرب اي تنظيم عربي مستقل عندما قررت جماعة الارض ان تتحول الى حزب سياسي ، فتقدمت بطلب الى حاكم اللواء مستندة الى قانون الجمعيات العثمانية الذي لايزال معمولاً به في البلاد ، ولما لم تجد السلطات علة قانونية لرفض هذا الطلب لجأت الى ترسانة انظمة الطوارىء مرة اخرى ومنعت قيام الحزب بحجة انه خطر على امن الدولة الاسرائيلية . على انه اذا وافقنا جدلاً بان حركة الارض تشكل خطراً على الامن فاننا لانستطيع ان نفهم عدم تسجيل الجبهة العربية التي تشكلت عام ١٩٥٨ بحجة ان اسمها « العربي » ينطوي على عنصرية يحاربها القانون العثماني . كما اننا لانستطيع ان نفهم لماذا منعت السلطات طوال كل هذه السنوات من الاحتلال قيام نواد عربية مستقلة واصرت على انتظام الشباب العربي في نوادي الهستدروت . ولم تقف عند هذا الحد ، بل لجأت الى حل جميع النوادي التي كانت قد تشكلت في القرى العربية في اوائل الستينات بموجب قانون « علم وخبر » العثماني ايضاً .

واكثر من ذلك فقد بلغ بها التميز العنصري حداً منعت به حركة الارض ومؤيديها من ترشيح انفسهم لانتخابات البرلمان تحت اسم القائمة الاشتراكية. وحتى محكمة العدل العليا وقفت باكثريتها مع هذا المنع وتذرعت بأسبقيات حدثت في المانيا وفي الولايات المتحدة.

هذه بعض اللمحات البسيطة لقصة التميز العنصري المتستر بحجة القانون والمتعمم بعمامة الامن.

يبقى ان نعرض بعض القوانين المدنية العنصرية التي لا يستطيع البعيد عن الاحداث ان يستشف ماوراءها من عنصرية نظراً للفذلكات والمقدمات التي تصاغ بها بمهارة فائقة حتى تستر حقيقة اهدافها.

لقد صادق الكنيست بتاريخ ١ آب ١٩٦٧ على قانون المستوطنات الزراعية (تقييدات على استعمال الاراضي الزراعية والمياه).

ويبدو القانون للوهلة الاولى بانه جاء لمجرد تنظيم استعمال الاراضي الزراعية التي يفلحها المستوطنون اليهود.

وقد مهد الوزير لهذا القانون بقوله :

«ان اكثرية الاراضي في الدولة التي تصلح للزراعة كانت قد اجرت اصلا الى مستوطنين يهود عن طريق شركة «الكارن كايمت» (رأس المال القومي اليهودي) ودائرة اراضي اسرائيل. وقد قسمت تلك الاراضي الى قسائم وفقا لخطة زراعية شاملة بحيث يستطيع المزارع استغلالها استغلالاً حسناً. وعلاوة على ذلك فقد خصصت لكل قيمة ارض حصة معينة من مياه الري تروى لتعطي للمستوطنين افرادا وجماعات نظراً لحاجة الدولة الماسة الى زرع المستوطنات وتشجيع الاستيطان

في شتى مناطق البلاد . وذلك من اجل اقامة قواعد امينة ثابتة على امتداد الحدود ، ومن اجل خلق قاعدة عريضة من الفلاحين تكون بدورها قاعدة اقتصادية واجتماعية لدولة اسرائيل .

ولكن يظهر ان المستوطنين في عدة حالات لم يحافظوا على هذا الهدف من استغلال الارض والمياه ، ونقلوا صلاحيات استغلال هذه الاراضي الى آخرين ، سواء بعقود ايجارات سنوية او بواسطة مقاسمتهم على المحصول او باستئجار عمال يوميين يفلحونها لصالح مستأجريها الاصليين . وبهذا يكون المستوطنون قد حصلوا على مدخول اضافي نتيجة لاستغلالهم املاك الدولة . ولما تبين ان عقود الايجار المعقودة بين السكان كانت او بين دائرة املاك الدولة وبين المستوطنين غير قادرة على تأمين الحماية لهذه الاراضي ، اذ لا تستطيع ان تؤمن منع نقل استغلال هذه الاراضي الى آخرين ، فقد اصبح لزاماً علينا ان نوقف هذا التحول الخطير بواسطة القانون » .

هذا كلام ايجابي طيب يقوله وزير مسؤول ، الغاية منه منع استغلال املاك الدولة ومنع استغلال مزارع لأجير او لمزارع آخر محتاج ، خصوصاً وان القانون يخول السلطات حق قمع اية مخالفات وازالة الحيف والضرر . فبعض مواد القانون لا تسمح للمستوطن المنتفع بالارض والمياه ان يحولها لغيره دون موافقة وزير الزراعة او موافقة اية سلطة اخرى مخولة من الوزير . (وبالطبع فان الوزير لا يعطي مثل هذا الحق غالباً) - والذي لا يستعمل هذه الاراضي والمياه بما يتوافق مع الهدف الاصلي منها فانه يصبح عرضة لتجريده من هذه الاراضي وحصته بالمياه . ويفسر القانون عبارة « استعمال لا يتطابق مع الهدف » التي من ضمنها التأجير ونقل حقوق الاستعمال . واستعمال عمال اجراء لزراعة الارض والمشاركة في

اقتسام المحصول لقاء زراعة الارض الى آخر الممنوعات الا انه يبقي الباب مفتوحاً امام عمال او شركاء من نفس المستوطنة اليهودية .

هذا هو الوجه التقدمي الظاهر للقانون والذي جاء ليمنع استغلال املاك الدولة ويجبر المستوطنين على العمل في الارض بانفسهم . اما الوجه الاخر لهذا القانون هو وجه عنصري بغيض بكل ما تحمل الكلمة من معنى .

بعد احتلال اسرائيل لفلسطين اصبح العرب فيها اقلية ، وقد صادرت السلطات منهم بشتى القوانين كما ذكرنا سابقاً معظم اراضيهم الزراعية وحولتهم الى طبقة عاملة مستغلة . وكثيراً ما اصبح هؤلاء العرب مضطرين للبحث عن عمل في المستوطنات اليهودية ويعملون في تلك المستوطنات اما عمال اجراء او يستأجرون تلك الارض « بالضمان »، او يتقاسمون انتاجها مع « اصحابها » الاصليين من اليهود لقاء تعهد مواسمها . وفي احيان كثيرة كان يصادف ان يستأجر هؤلاء الفلاحون العرب اراضيهم التي صادرتها منهم السلطات سابقاً واعطتها للمستوطنات المجاورة .

والصهيونية محاولة منها على الاخلاص لشعاراتها القديمة التي رفعتها عند مطلع هذا القرن في غزوها لفلسطين والتي تعني في الممارسة « احتلال الارض والعمل » فقد وجدت نتيجة لتصرف المستوطنين بان العرب يدخلون الى البيت من النافذة بعدان طردتهم من الباب واستولت على اراضيهم الزراعية . ولكي تسد امامهم هذه النافذة وتمنعهم من فلاحة اراضيهم مرة ثانية استنت هذا القانون العصري لكي تحافظ على يهودية الارض بعد تحريرها واعتاقها من ربقة « العبودية » العربية . ولا فرق عندها من يستفيد منها من اليهود ، سواء كان فلاحاً او تاجراً او حتى من الحكام العسكريين السابقين . المهم ان يكون المستفيد يهودياً . واما الشق الثاني من الشعار الصهيوني ، « احتلال العمل » فقد مرت عليه عدة تطويرات . ففي زمن

الانتداب رفعت الصهيونية شعار « العمل العبري » ومنع العرب من العمل في املاك اليهود ،ولا نزال نذكر قصة مهاجمة بعض الصهاينة المتعصبين للعمال العرب الذين كانوا يعملون في بيارات يهودية وكان مع المهاجمين يومذاك وزير الاقتصاد المالي ، بنحاس سبير . ولما اعتقلتهم السلطات البريطانية بسبب الاعتداء على الغير تبرع عشرات الشباب اليهود وقدموا انفسهم ليسجنوا مكانهم اظهاراً لتضامنهم مع هذه « البادرة الصهيونية الطيبة » . وكان من بين المتطوعين بالسجن كتاب وشعراء يهود معروفون بينهم الاديب عجنون الذي حاز على جائزة نوبل مؤخراً .

بعد قيام الدولة طورد العمال العرب بحجة عدم انتمائهم للهستدروت واستعملت ضدهم انظمة الطوارىء لممارسة هذه المطاردة ، وقد استغلوا طوال السنوات الخمسينات ابشع استغلال . ولما سمح لهم بالانتساب الى الهستدروت في اوائل الستينات ، أسست لهم دائرة عربية خاصة بهم ، وكانت الاعمال المضنية ذات التعب الكثير والاجر القليل وقفاً عليهم . واخيراً رفعت الصهيونية شعاراً جديداً وطورت مفهوم « العمل العبري » ، اذ طالبت العمال اليهود بعدم ترك حتى الاعمال الجسدية للعمال العرب لان على اليهود ان يحافظوا على سلامة ونقاء الطبقة العاملة والا يستغلوا غير اليهود . وما هذا التوجيه في الحقيقة سوى طريقة اخرى من طرق مطاردة العمال العرب . وقد كشفت غولدا مئير عن هذا في اجتماع في تل ابيب عندما قالت ان العمل في البناء وفي الزراعة قد توقف تماماً الاسبوع الماضي بسبب وجود عيد عند المسلمين . كما انقطعت الخضروات من السوق ويجب وضع حد لهذا الامر . لقد تطور هذا الشعار مع الزمن من شعار « العمل العبري » الى شعار « العمل المنظم » ، الى شعار « فلسفة العمل وعقائديته » . اسماء مختلفة لمفهوم واحد .

اما القانون العنصري الطازج فهو قانون الجنود المسرحين الذي صدر في ١٩٧٠/٧/٢٢ .

ويبدو القانون للوهلة الاولى و كأنه جاء ليبحث في شؤون اعادة توظيف الجنود المسرحين ، وهذا امر طبيعي . وتعود جذور هذا القانون الى عام ١٩٤٩ حيث استنت الدولة قانونا يساعد عائلات الجنود المسرحين بدفع منح نقدية لهم . ان مشكلة اسرائيل هي مواجهة النمو السكاني المتزايد عند العرب ، فقد تقرر بان على الحكومة مساعدة العائلات اليهودية الكثيرة الاطفال لتشجيع النسل .

وفي عام ١٩٥٣ سن قانون اسرائيلي ، « قانون التأمين الوطني » ،عالج في جملة ما عالجه تقديم المساعدات لأرباب العائلات الكثيرةالاولاد . واخذتمنظمة التأمين الوطني على عاتقها بموجب هذا القانون دفع عشرين ليرة اسرائيلية في الشهر لكل طفل بعد الطفل الرابع الى ان يبلغ سن الثامنة عشرة . ولكن سرعان ما اتضح بأن العرب يستفيدون من هذا القانون اكثر من اليهود بحكم ان معظم العائلات العربية هي التي عندها اكثر من اربعة اطفال . وهكذا ظهر لمهندسي السياسة العنصرية بان عليهم ان يعملوا شيئــاً ما لوضع الامور في نصابها وتخليص اليهود من هذا الحيف الواقع عليهم ، وتصحيح الاوضاع الشاذة بمنع العرب من الاستفادة من هذا القانون .

ولكن المشكلة التي جابهت العنصريين ، هي كيف يمكنهم تحرير مثل هذا القانون بشكل مستتر لا تظهر معه عورة هذا التمييز . واقترح بعضهم ان تقوم الوكالة اليهودية بتقديم هذه المساعدة — وبصفتها مؤسسة يهودية فهي غير مجبرة او ملزمة قانونياً وادبياً بمساعدة العرب — وقد حصل مثل هذا الامر سابقاً بالنسبة لمساعدات طلاب المدارس، وبالنسبة لتسويق الانتاج الزراعي اليهودي . واقترح

البعض الآخر تقسيم البلاد الى « مناطق فقر » أو « تطوير » كما يسمونها بحيث تشمل هذه المناطق تجمعات اليهود فقط ، الا انه تبين لهم ان هنالك مشاكل وعقبات امام هذا الفرز ، وان كل هذه الاقتراحات سوف تفوح منها رائحة العنصرية . وهنا تفتقت القريحة الصهيونية عن حل صهيوني مئة بالمئة ووجدت انه من الانسب الرجوع الى قانون الجنود المسرحين لعام ١٩٤٩ . فهذا القانون يخدم هدف الصهيونيين تماماً في التستر على التميز العنصري . فالعرب لا يخدمون اصلا في الجيش ، واذا كان بعضهم يخدم الجيش فهؤلاء لا يتجاوزون ١٪ من مجموع السكان العرب ، واما اليهود فتبلغ نسبة الذين يخدمون الجيش ٩٩٪ بالمئة ، ولذلك فقد جاء القانون ليعطي الحق بهذه المساعدات الى العائلات التي تخدم او خدمت في الجيش او باقي اذرعة الامن الاخرى .

وقد طالب القانون وزير العمل بالتشاور مع وزير الدفاع لاتخاذ الاجراءات المؤدية لتأمين الدفع والحالات التي يجب الدفع فيها ، وذلك على ضوء الاوضاع المالية والعائلية والمعيشية لكل جندي . واحد بنود هذا القانون ينص على انه بامكان وزير العمل ان يجبر منظمة التأمين الوطني او اية هيئة اخرى توافق عليها لجنة الكنيست المالية بأن تدفع المنح المخصصة .

وبعد مضي شهر على سن هذا القانون أصدر وزير العمل قراراً استناداً اليه يعلن بموجبه بأنه يحق لكل متمتع بالقانون بأن يستلم مبلغ ١٥ ليرة اسرائيلية عن كل طفل — بعد الطفل الرابع — اقل من سن الثامنة عشرة من اطفاله .

لقد تحدثنا حتى الآن عن البناء الفلسفي ، اي الفكر العنصري الصهيوني . وتحدثنا عن البناء الادبي — اي القانون العنصري الصهيوني . بقي ان نمر بايجاز على ممارسة العنصرية اليومية على جمهور المواطنين العرب في شتى المجالات والميادين .

والحديث عن الممارسة يطول فهو طويل طويل بطول سنوات الاحتلال الصهيوني لفلسطين عامودياً ، وعريض جداً حتى يغطي الـ ٣٦٠ الف عربي افقياً .

التمييز العنصري في الممارسة اليومية :

تعامل الحكومة العرب كمواطنين من الدرجة الثانية ، حتى ان بطاقات هوياتهم الشخصية مرقمة بالحرف (ب) او بالرقم ٢ الذي يسبق الرقم المتسلسل . وبالرغم من ان وثيقة « الاستقلال » قد دعت اولئك المواطنين الى المساهمة في مختلف مؤسسات الدولة الحكومية والشعبية على قدم المساواة ، فان الحكومة قد حالت بسياستها العنصرية دون تحقيق ذلك على اساس المساواة التامة . فلا يزال هناك « دائرة مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية » و « الدائرة العربية للهستدروت » « والدائرة العربية في وزارة المعارف » . ولا تزال القوائم العربية المرتبطة بحزب مباي او التجمع تنزل الى الانتخابات مرتبطة مع الحزب الحاكم .

والمواطنون العرب الذين يتشكلون ١٢٪ من مجموع سكان البلاد ، مع انهم يقومون بجميع التزاماتهم التي تفرضها القوانين ويدفعون الضرائب الباهظة ، فانهم يقومون فقط بالاعمال الشاقة ، ونسبتهم في الاعمال الاخرى لا تتناسب ابداً مع نسبتهم العددية في الوظائف الحكومية ، اذ تبلغ ١,٥٪ ، وهم في هذه الوظائف التي يشغلونها لا يرتقون الى المناصب العليا . فعدد القضاة العرب مثلا لم يتعد الثلاثة طوال هذه السنوات ، وعدد الموظفين في مراكز عالية في الوظائف الحكومية لم يزد عن اربعة اشخاص في يوم من الايام .

من خلال الاحصاءات الاسرائيلية الرسمية يتضح التمييز الواقع على العاملين العرب اذا ما قارناهم مع العاملين اليهود في شتى مجالات الوظائف . ولسوف

اختار سنة واحدة لهذه المقارنة في اواسط الستينات ، وبعد ان تحسن قليلا وضع العرب عما كان عليه سابقاً حتى اوكل على هذا الرأي .

عام ١٩٦٤ بلغ عدد العاملين العرب في الادارة والخدمات العامة (١٩٠٠) عاملا ، اي ٢٫٧٪ من مجموع العاملين العرب العام في البلاد . مقابل ٨٪ في نفس المجال من العاملين اليهود .

عام ١٩٦٤ بلغ عدد العاملين العرب في خدمات الكهرباء والغاز والمياه والخدمات الطبية ٥٠٠ عامل ، اي ٠٫٧٥٪ من مجموع العاملين العرب مقابل ٢٪ من مجموع العاملين اليهود في هذه الفروع .

عام ١٩٦٤ بلغ عدد العاملين العرب في دوائر الصحة والثقافة والشؤون الاجتماعية والقضاء ٣٣٠٠ عامل اي ٢٫٠٪ من مجموع العاملين العرب مقابل ١٥٪ من مجموع العاملين اليهود في هذه الفروع . وتجدر الملاحظة بأن من بين الـ (٥٢٠٠) موظف عربي (٢٠٠٠) معلم عربي مما يدل على أن نسبة العاملين في المجالات الاخرى اقل بكثير من ٢٫٥٪ من مجموع العاملين .

وفي خلال الخمس سنوات من (١٩٥٨ — ١٩٦٣) انضم الى القوى العاملة في اسرائيل ٢٢٥٠٠ شاب عربي . والاحصاءات الرسمية تشير الى عمق هوة التفرقة والتمييز العنصري الواقع على هؤلاء الشباب . اذ من بين هذا العدد الضخم قبل في الوظائف الحكومية المختلفة والادارية والخدمات العامة فقط ٤٠٠ شاب يشكلون ١٫٧٪ من المجموع العام . وبدلاً من ان يستوعب هؤلاء الشباب في الخدمات الصحية والتعليمية والشؤون الاجتماعية والقضائية ، نرى ان عدد العاملين

اصلا في هذه الفروع قد قل بثلاثماية شخص . ولكن هذه النسبة الضئيلة من العاملين العرب في هذه المجالات المربحة نسبياً نراها تقفز بشكل واضح عندما نفحصها في مجالات الاعمال الشاقة . ففي مجال الزراعة والتحريج والصيد بلغ عدد العاملين العرب عام ١٩٦٦ ، ٢٥٫٦٠٠ عامل اي ٣٩٫١٪ من مجموع العمال العرب .

واشتغل في مجال البناء والاشغال العامة في نفس العام (١٢٫٩٠٠) عامل عربي اي ١٩٫٦٪ من مجموع العاملين العرب العام .

والتمييز يعمل سلباً وايجاباً ، فعندما تقرر « برنامج الاعتدال » الاقتصادي في عام ١٩٦٦ كان اول ضحاياه العمال العرب اذا انخفض عملهم بسبب التنسيقات بمقدار (١٥) الف عامل اي ما يعادل ١٨٪ من مجموع العاملين العرب . هؤلاء عانوا من البطالة عندما عادوا الى قراهم وكانت اراضيهم قد صودرت من قبل وسدت امامهم مجالات العمل الاخرى .

ولم يتوقف التمييز على العمل والوظائف ، بل شمل كل مجالات الحياة بما فيها الزراعة والخدمات العامة . فبموجب احصاءات عام ١٩٦٢ بلغ الانتاج الاجمالي للزراعة اليهودية ٩١٤٫١ مليون ليرة اسرائيلية ، والانتاج الاجمالي للزراعة العربية ٥١٫١ مليون ليرة . وعدد التراكتورات في القطاع اليهودي ٧٫٩٤٤ وفي القطاع العربي ٤٥٠ اي ٢٫٥ تراكتور لكل الف دونم في القطاع اليهودي مقابل ٠٫٥ تراكتور لمثل المساحة في القطاع العربي . وبلغت مساحة الارض المزروعة في القطاع اليهودي ٣٫١٨٠٫٠٠٠ دونم مقابل ٨٥٠٫٠٠٠ دونم في الناحية العربية . وبلغ الانتاج الاجمالي للدونم الواحد في القطاع اليهودي ٢٨٧ ليرة بينما بلغ في الزراعة العربية ٦٠ ليرة فقط .

وليست هذه النتيجة حصيلة الاجتهاد والخبرة اليهودية كما تصورها الدعاية الصهيونية، بل ان مساحة الارض المروية هي عنصر اساسي في قلة الانتاج العربي . فمن مجموع ٨٥٠ الف دونم التي يزرعها العرب ، يوجد فقط ٣٠ الف دونم مروية اي حوالي ٣٫٥٪ من المجموع العام ، بينما هنالك ١٫٣٨٥٫٠٠٠ دونم من مجموع الاراضي اليهودية مروية اي حوالي ٤٣٫٥٪ من مجموع الاراضي المفلوحة وقد وصلت هذه النسبة مؤخراً الى ٥٠٪ .

ولم تقتصر التفرقة على كيفية الزراعة بل هنالك الفرق بالاسعار . وسأكتفي بذكر نوعين من انواع الانتاج الزراعي اللذين يعتبران اساساً في الزراعة العربية وهما التبغ والزيت .

فعام ٦٧ / ١٩٦٨ بلغ سعر طن التبغ اليهودي ٤٨٨١ ليرة اسرائيلية وسعر طن التبغ العربي ٣٣٥٤ اي بزيادة لسعر الطن اليهودي تبلغ ١٥٢٧ ليرة اسرائيلية .

وعام ١٩٦٥/١٩٦٦ بلغ سعر الطن الواحد للزيت اليهودي ١٠٣٧٫٣ ليرة . وسعر الطن الواحد للعرب ٦٨٣ ، ليرة اي بزيادة قدرها ٣٥٤ ليرة في الطن الواحد لصالح الانتاج اليهودي .

التمييز ضد المجالس المحلية والقرية العربية :

ان نظام السلطات المحلية مطبق على ٤٠٪ من القرى العربية التي يعيش فيها ٦٠ ٪ من مجموع المواطنين العرب . واذا كانت حالة هذه القرى سيئة للغاية، فإن القرى الاخرى التي لا يوجد فيها سلطات محلية نتيجة لاهمال السلطات هي في حالة يرثى لها . فالاقلية العربية اليوم تشكل ١٢٪ من مجموع السكان في اسرائيل

وقد كانت حصتها ٣،٤ من ميزانية التطوير . ونظرة واحدة على المنح التي تعطيها وزارة الداخلية للسكان المحليين ترينا مدى التمييز الواقع على السكان العرب، فبلدية طبريا اليهودية مثلا تنال ٥١ ليرة اسرائيلية منحة للنفر الواحد ، بينما تنال بلدية الناصرة العربية ١٣ ليرة منحة للنفر الواحد ،وتنال بلدية شفا عمرو العربية ٦ ليرات للنفر الواحد . ومجلس رأس العين المحلي اليهودي ينال ٥٨ ليرة منحة للنفر الواحد، بينما ينال مجلس كفرياسيف المحلي العربي ٢،٦٠ ليرة للنفر الواحد . ومجلس الرامة المحلي ٢،٦٠ ليرة للنفر الواحد . وباقي المجالس المحلية تنال اقل من هذه الكمية ايضاً .

وهناك تمييز فاضح آخر يظهر في مساهمة الحكومة في ميزانيات السلطات المحلية العربية . فالحكومة تساهم على سبيل المثال في ميزانية بلدية طبريا اليهودية بـ ٢٤٪ من مجموع الميزانية ، وفي مدينة عكا اليهودية بـ ٢٦٪ من ميزانيتها، وفي مدينة الرملة اليهودية بـ ٢٨ ٪ من الميزانية ، بينما مقابل هذا تساهم في ميزانية بلدية الناصرة العربية بـ ١٤،٤ ٪ وفي مدينة شفا عمرو العربية بـ ١٧،٣ ٪ وفي مجلس كفر ياسيف المحلي العربي بـ ١٠ ٪ و كذلك الامر بالنسبة لمجلس الرامة المحلي العربي .

وفي الناصرة العربية تساهم الحكومة في باب المصاريف فقط بـ ٧،٥ ٪ من مجمل المصروفات ، بينما تساهم في باب المصاريف لبلدية عكا اليهودية بـ ٥٧٪ من المصروفات . والحكومة بعد هذا كله تتبجح بدعاياتها امام العالم عن مدى اهتمامها ومساهمتها في تطوير القرية العربية ، وتنطلق في جميع دعاياتها من فرضية ان القرية العربية اذا كانت تشكو من شيء فانما تشكو من كونها اقل نصيباً من التقدم الذي

تنعم به القرية اليهودية . هذه الدعاية المضللة يقصد بهـا دفـع التهمة عن مسؤولياتها في بقاء القريـة العربية متأخرة . وان تقدم القرية العربيـة الذي تعزوه السلطات الاسرائيلية الى اهتمامها بها ، انما يرجع اصلا الى مساهمة ابناء تلك القرية في اموالهم وفي اتعابهم. واذا كانت القرية العربية تشكو من عدم اللحاق بمستوى القرية اليهودية ، فذلك ناشيء عن عدم افساح المجال لها واعاقة تقدمها بكثرة العراقيل التي تضعها امامها السلطات الاسرائيليـة . والامثلة التي تبين مدى اعتماد القرية العربية على ذاتها في تطورها كثيرة ؛ فمجلس كفرياسيف المحلي حقق مشروع المياه للقرية عام ١٩٦٢ بعد كفاح طويل مع السلطات وكلف حوالي (٢٠٠) الف ليرة ولم يتسلم اي قرش هبة من اية وزارة للمساهمة في هذا المشروع ، كل ما في الامر انه استدان قرضاً بواسطة وزارة الزراعة بقيمة (٤٠) الف ليرة اسرائيلية وبفائدة قدرها ١١٪ . وكذلك مشروع الكهرباء الذي تحقق عام ١٩٦٥ وكلف (٤٠٠) الف ليرة . وهذا ينطبق على مجلس قرية طمرة المحلي الذي يكلفه مشروع الكهرباء حوالي المليون ليرة اسرائيلية ، وكذلك مجلس الرامة المحلي الذي كلفه مشروع الماء والكهرباء حوالي ٦٠٠ الف ليرة اسرائيلية . وكل هذه النفقات لاتتضمن المبالغ الطائلة التي دفعها السكان لمد الشبكات الداخلية في بيوتهم .

حدود منطقة السلطة المحلية العربية

في زمن الانتداب البريطاني كانت سلطة السلطات العربية المحلية تشمل جميع اراضي اية قرية فيها سلطة محلية . وعند احتلال اسرائيل ، قامت وزارة الداخلية باجراء تعسفي اذ قلصت منطقة السلطة المحلية ، كما فعلت بمجلس كفر ياسيف المحلي ، اذ قلصتها الى ٣٠٠ دونم من اصل ٦٧٥٦ دونما . وبعد نضال طويل

شئه المجلس المحلي والسكان عن طريق العرائض والوفود الى الكنيست عادت وزارة الداخلية ووسعت سلطة المجلس الى (٢٠٠٠) دونم فقط . ويمكن القول بثقة ان ما يصح على مجلس كفر ياسيف يصح ايضاً على باقي سلطات المجالس المحلية العربية ، فان اي سلطة عربية محلية تبسط نفوذ سلطتها على جزء ضئيل جداً من اراضي قريتها فقط . والباقي ضمته وزارة الداخلية الى سلطة مجالس منطقية يهودية بهدف ينضح بالتمييز العنصري ، اذ انها بذلك تمكن المجالس اليهودية من ان تجبي الضرائب من سكان القرى العربية اصحاب هذه الاراضي مستفيدة من ذلك مالياً من جهة ، ولكي تستطيع مستقبلا مصادرة ماتشاء من تلك الاراضي العربية ويمكن الاستغناء عنها من جهة أخرى .

ومشكلة عويصة اخرى تواجه تطور القرية العربية وهي مشكلة خلقتها سياسة التمييز العنصري ضد العرب . فالسلطات المحلية العربية كلها لاتعرف اين حدود منطقة البناء الخاص بها . وقد عقدت وزارة الداخلية خمسة اجتماعات قطرية للسلطات المحلية العربية بالاشتراك مع لجان التنظيم المختصة للبحث في هذا الامر . وفي هذه الاجتماعات الخمس اصر جميع ممثلي تلك السلطات المحلية على وضع حل موضوعي لهذه المشكلة ولكن دون جدوى ، وبقيت المشكلة قائمة وبقيت السلطات تفرض على المواطنين الذين يبنون بيوتهم خارج « مناطق البناء » غير معروفة المعالم غرامات باهظة ومصاريف محاكم بتهمة اقامة ابنية غير مرخصة واحياناً كثيرة تهدم هذه البيوت ويغرم اصحابها . وفي بعض القرى بلغت الغرامات مئات آلاف الليرات . وتذهب هذه الغرامات كلها الى خزينة الدولة ولا يحول منها واحد الى السلطات المحلية العربية مع ان العدل والقانون يقضيان بذلك .

يضاف الى ذلك ضيق مساحة مسطح ابنية المدن والقرى العربية الذي يخلق مشكلة امام تطور هذه المناطق العربية ، وتصر السلطات على عدم توسيع هذه المسطحات لاسباب سياسية تعود لصالح الحركة الصهيونية وللاستيطان اليهودي . فمسطح البناء في مدينة الناصرة العربية يبلغ ٦٠٠٠ آلاف دونم ارض فقط ، بينما في المدن اليهودية تتوسع السلطات في هذا المجال والارقام التالية تبين التمييز الفاضح : مسطح بناء عكا اليهودية ٢٣ الف دونم . والرملة اليهودية ٣٨ الفاً ونهاريا اليهودية ٤٣ الفاً وطبريا اليهودية (١٢) الف . وبالرغم من مرور عشرين سنة لم تقر وزارة الداخلية اي خريطة هيكلية لاية قرية او مدينة عربية وذلك لاسباب تتعلق بمخططات حكومية لسلب اراضي القرى العربية .

التمييز في مجال التعليم وابنية المدارس

لا اريد ان اتعرض الى التعليم العربي في اسرائيل فذلك يحتاج وحده الى بحث مستقل ، انما اريد ان اقول ان من بين المدارس الثانوية الثمانية التي يؤمها الطلاب العرب تختص كلها في التعليم الادبي ، ماعدا مدرسة الناصرة الثانوية من بين المدارس الرسمية التي تضم قسماً علمياً . وبذلك لايستطيع الطالب العربي ان يتم تحصيله الجامعي الا في الفروع الادبية فقط .

ونتيجة للتمييز في مجال التعليم يتخرج الطالب العربي ، لا بل يراد له ان يتخرج ، اتكالياً لامبالياً ، يكاد لايحس بادنى رابطة تربطه بمجتمعه ، لاهو يعرف مسؤولياته تجاه المجتمع – ولا مسؤولية المجتمع تجاهه . انعزالياً منقطع الصلة بماضيه مضلل الفكرة عن حاضره ، ينظر الى المستقبل بشك وقلق .

والطالب العربي الذي لايدرس شيئاً عن امجاد امته ، ولا يرى عبر دراسته لتاريخها ابسط مظهر من مظاهر الدور الايجابي البناء الذي لعبتـــه كغيرها من الامم في ميدان الحضارة العالمي ، لايمكن ان يكون المراد له الا ان تنطبع في نفسيته فكرة رهيبة عن ماض معتم تولد فيه شعوراً بالعجز عن الابداع والخلق .

ان تلك السياسة التعليمية ترمي ولاشك الى قطع كل صلة تربط الشباب العربي تحت الاحتلال الاسرائيلي بالامة العربية التي هو جزء اصيل منها والتي تعمر الارض الواسعة من حوله وتريد للوسط العربي ان يذوب كلية في المجتمع اليهودي. ومن هنا يبدو عجيباً للغاية ان تمارس الحكومة الاسرائيلية بكل دم بارد ، وفي منأى عن محاسبة الراي العام العالمي ، سياسة القضاء على الثقافة القومية العربية لدى مواطنيها العرب ، بينما تملأ الدنيا بصرخات الاستنكار لما تدعي وجوده من مثل هذه السياسة ازاء المواطنين اليهود في بلاد اخرى .

لقد اجرى ثلاثة من علماء الاجتماع في الجامعة العبرية في القدس بحثاً حول مضمون برنامج التعليم الحكومي في المدارس العربية في اسرائيل . وهذا البحث الذي نشر في صحيفة مؤسسة « سالد مغاموت » يكشف على انـه في المدارس اليهودية يخصص ٤٠٪ من الوقت لتعليم التاريخ اليهودي ويخصص اقل من ٢٪ من الوقت لتعليم التاريخ العربي . بينما في المدارس العربية يخصصون ٢٠ ٪ من الوقت للتاريخ اليهودي وحده . وبينما يؤكد البرنامج اليهودي قسـط الشعب اليهودي فقط في خلق ثقـافـة العالم ، فان البرنامج العربي يؤكد قسط الشعبين اليهودي والعربي . وبعكس التأكيد القومي الواضح في البرنامـج

اليهودي ، فانه لا يوجد مثل هذا الامر في البرنامج العربي ، ولا يوجد حتى طابع القومية العربية .

ويكشف البحث ايضاً : يبرمج تدريس الادب العام ليرى اليهود الهدف القومي ، الامر المنعدم في البرنامج العربي . وهنا يبرز هدف تجاهل القيم القومية . وبينما يطلب من الطلاب العرب معرفةواسعة جداً في الامتحاناتالدينية اليهودية ، فليس هنـاك اي اتجاه لاكساب الطلاب معرفة منظمة بتعاليم الدين الاسلامي بمدى معتدل . بل يطلب اليهم الاهتمام بالكتب المقدسة اليهودية اكثر من كتبهم المقدسة سبع مرات او ثمان . هذا عـدا حـذف الايات التي تحض المسلمين على قتـال الذين اخرجوهم مـن ديارهم . وفي البرنامج العربي يسيطر الطمس ـ فبرنامج التعليم العربي يقـع ضحيـة لاتجاهات الطمس للقومية العربية والتثقيف بالغاء الذات امام الاكثرية اليهودية . هذه المعطيات تعبر عن الشوفينية التي تتنكر للشعب الاخر ولثقافته . وهـذا التنكر يعبر عن واقع ان السكان العرب يؤلفون ١٢٪ من مجموع سكان الدولة ، بينما نسبة عدد الطلاب العرب فيها يبلغ ١٪ فقط من مجموع الطلاب العام . ونسبة الطلاب الجامعين هي ٥ر١ في الالف بينما تبلغ نسبتهم في قطاع غزة مثلاً ـ الذي خمسة اسداسه من اللاجئين ـ اكثر من ٤ في الالف . ناهيك عن الصعوبات التي تواجه الطلاب العرب في الجامعة ، من عدم وجود مساكن واعمال .. كما ان بعضهم تفرض عليه الاقامة الاجبارية وفي المدة الاخيرة يستدعي « جهاز الامن » الطلاب العرب في القدس لتحقيقات استفزازية . كل ذلك بدافع من سياسة التمييز العنصري .

واما في مجال الابنية ، فان وزارة المعارف لاتقدم هبات مالية لاقامة

هذه الابنية اللازمة . بل ان ما تقدمه وتطبل وتزمر له بقصد الدعاية فقط ، هو في الحقيقة قروض على المجالس العربية ان تدفعها ومع الفائدة البالغة ١١٪، في حين ان الامر يتطلب تقديم هبات مالية ، عدا القروض التي يجب ان تكون طويلة الامد وبفائدة ضئيلة ، بينما تساهم وزارة المعارف ، على سبيل المثال ، في مصاريف التعليم الابتدائي في الناحية اليهودية في مجلس جعتون المحلي (يهودي) . نرى ان القرى العربية تدفع ضريبة الرأس لوزارة المعارف وتقدر بـ ١٧ ليرة عن النفر . بحيث أن ما تدفعه هذه القرى يكفي للصرف على التعليم المفروض ان يكون الزامياً ومجانياً في القرى العربية .

هذا بالاضافة الى غيره الكثير مما لا نستطيع الالمام به في وقت قصير. ومما يظهر حقيقة الوضع القاسي والتمييز العنصري الذي تمارسه السلطات ضد المجالس العربية المحلية وبالتالي ضد القرية العربية ، التي قال عنها البروفسور عمانوئيل يلين بعد بحث قام به مع عدة اساتذة ومديري ابحاث اسرائيليين اخرين : ان من بين الـ ٩٤ قرية عربية التي خضعت للبحث هنالك عشرون قرية على مستوى العصرية المقبولة نوعا ما ، وبانه يوجد عشرون قرية اخرى مازالت في الحضيض تعيش في ظروف القرون الوسطى ، ولم يحدث بها تطور منذ زمن المحراث الاول . وباقي القرى العربية الـ (٥٤) على مقاييس مستويات تطوير مختلفة . ويقول البروفسور يلين في معرض ادانته لسياسة اهمال القرى العربية : الكل موافق على ان الوضع العام في القرية العربية هو وضع ليس طيباً. وجدير بنا ان نذكر ، ونحن نقدم هذا العرض الموجز في التمييز العنصري ، بأن الحكومة دفعت ٧ ملايين ليرة لمصنع جيمي ليفي في الناصرة العليا اليهودية الذي افلس ، وكذلك دفعت ١١ مليون ليرة لمصنع النسيج الذي افلس في العفولة اليهودية . بينما فبركة السجاير العربية التي

افلست في الناصرة نتيجة لمضاربة الشركات اليهودية لها ومحاصرة السوق لانتاجها وعدم مساعدتها اقتصادياً قد اضطرت الى اغلاق ابوابهـــا واعلان افلاسها ، بعد ان صمت الحكومة اذنيها لنداءاتها المتكررة للمساعدة . وبذلك يكون المصنع الوحيد في الناحية العربية ، والذي كانت تعتاش منه حوالي مئة عائلة عربية قد اغلق ابوابه نهائياً .

اما في ميزانية الاسكان فليس للحكومة ماتفخر به في مجال تخفيف ازمة السكن لدى المواطنين العرب. فمن ميزانية وزارة الاسكان التي تبلغ ٢٨٧ مليون ليرة ، خصص للناحية العربية ٥ ملايين ليرة فقط . اي ١و٧٪ من الميزانية العامة.

واما في مجال التمييز العنصري المعنوي فهنالك عدة شواهد على ذلك يمكننا التعرض لقضية واحدة حتى ندلل عليه . فبالرغم من ان اللغة العربية هي لغة رسمية باعتبار ان الانتداب البريطاني اعتبرها كذلك، وباعتبار ان السلطات الاسرائيلية تؤكد ذلك ايضاً بعد ان تبنت النظرة البريطانية السابقة . الا ان هذا لم يمنع ان اغلب الرسائل الجوابية الواردة للعرب تكون مكتوبة باللغة العبرية فقط . كما ان العرب في الناصرة شنوا نضالاً قاسياً في الخمسينـــات من اجل اجبار فرع مكتب البريد في المدينة العربية على استعمال اللغة العربية على يافطات المكتب . كما ان جوازات السفر لاتحمـــل اللغـــة العربية ابداً . واظرف من ذلك ان رئيس بلدية الرملة العربية قد وصلته مؤخراً رسالة تطلب منه السلطات ان يكتب اللغة العربية تحت اللغة العبرية على اليافطة التي تحمل شعار المجلس المحلي . وقد كان الشعار السابق يحمل شجرة زيتون في الوسط وعلى احد جوانبها اسم المجلس باللغة العربية وعلى الجانب الثاني باللغة العبرية . ولما اراد الرئيس ان يرفض هذا الطلب متذرعاً بحجة ساذجة ،وهي أن هذا الشعار كلفه ١٨٠ ليرة اسرائيلية،تعهدت

له وزارة الداخلية بدفع ثمن الشعار الجديد الذي تظهر فيه اللغـــة العربية تحت اللغة العبرية . وقبل ان ننهي هذا البحث لابد لنا من ان نعرض بان الروح العنصرية التي تثقف بها الاجيال الحاضرة في اسرائيل ابتداء من تدريس سفريشوع ومذبحة اريحا الى العاب الاطفال التي تجسد يهودياً يشنق عربياً ، هذه الروح قد تجسدت في مايعرف بمجزرة كفر قاسم عام ١٩٥٦ عشية العدوان الثلاثي على مصر والتي ذهب ضحيتها خمسون عربياً بينهم النساء الحبالى والاطفال والعمال ، قتلوا جميعاً بدم بارد وبقصد القتل فقط .

إسرائيل والتمييز العنصري

هشام الدجاني

لم تعد سياسة التميز العنصري التي تمارسها اسرائيل ضد السكان العرب في الارض المحتلة، وضد الاقليات، وضد اليهود الشرقيين خافية على احد. فقد تناولت الادبيات الغربية هذا الموضوع منذ بداية الخمسينات . ولم تستطع حتى الادبيات الصهيونية او المدافعة عن اسرائيل ان تخفي حقيقة هذه السياسة العنصرية ، وإن حاولت ان تقلل من اهمية تأثيرها وان تجد المبررات لحكام اسرائيل العنصريين في ممارستهم لهذه السياسة .

ولسياسة التميز العنصري الاسرائيلية مظهران ؛ يتجلى الاول منها في التمييز العنصري ضد السكان العرب وضد الاقليات الاخرى ، ويتجلى المظهر الثاني في التمييز العنصري ضد اليهود الشرقيين . وسوف نستعرض في هذا البحث هذين

المظهرين، مستندين الى الوقائع والارقام التي تنشرها المصادر الاسرائيلية الرسمية نفسها ، والى تصريحات وآراء الحكام الصهاينة .

التمييز العنصري ضد السكان العرب :

كان قيام دولة اسرائيل في الاصل قائماً على سلسلة طويلة من اعمال الارهاب والقتل الجماعي وتشريد السكان العرب الآمنين . ولما اعلنت هذه الدولة الاستعمارية رسمياً في ١٥ ايار عام ١٩٤٨ ، بعد ان تم لها تنفيذ مخططها الاستيطاني بآزرة الدول الامبريالية وخاصة بريطانيا والولايات المتحدة ، تابعت الصهيونية اعمالها العدوانية بغية ترويع السكان العرب وتهجيرهم وافنائهم . ومن ابرز الحملات الارهابية التي شنتها السلطات الاسرائيلية ضد سكان فلسطين العرب تدمير قرية قبية (١٩٥٣) حيث قتل اكثر من ٧٠ عربياً ، وقرية نحالين (آذار ١٩٥٤) ، ثم العدوان المسلح على مخيمات اللاجئين في غزة (شباط ١٩٥٥) ، وعلى مخيمات خان يونس (آب ١٩٥٥) حيث ذهب ضحية هذا العدوان اكثر من مائتي قتيل وجريح. وتلت هذه الحملات العدوانية الشرسة سلسلة اخرى من عمليات القتل الجماعي في العوجا ، وطبرية ، وقلقيلية في الضفة الغربية ، وتتوجت هذه السلسلة بالعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ واحتلال قطاع غزة وارتكاب سلسلة جديدة من اعمال الاجرام والارهاب ،

واستمرت اسرائيل في سياستها العنصرية العدوانية ضد العرب بعد حرب السويس وحتى يومنا هذا . بل إن شراسة اسرائيل وعدوانيتها وعنصريتها زادت حدة وضراوة بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ . وفي ظل هذا الشعور الحاقد العدواني يعيش اليوم العرب تحت حكم السلطات الصهيونية .

والآن ما هي اسس السياسة العنصرية الاسرائيلية إزاء السكان العرب ، وما هي مظاهرها ؟

قد لا نجد مثيلا في العالم لسياسة التمييز العنصري التي تمارسها اسرائيل ضد السكان العرب في الارض المحتلة من مسلمين ومسيحيين . ان قيام اسرائيل على اساس ديني عنصري يفسر في حد ذاته كثيراً من عوامل سياستها العنصرية والدينية. لقد منحت اسرائيل اليهود الغرباء القادمين من شتى انحاء العالم حقوقاً حرمت منها العرب سكان فلسطين الاصليين ، فبموجب قانون العودة لعام ١٩٥٠ وقانون الجنسية لعام ١٩٥٢ ، صار لكل يهودي الحق في الهجرة الى البلاد، وتمنح له الجنسية مباشرة منذ دخوله اسرائيل . بينما تضع السلطات الاسرائيلية العراقيل في وجه منح الجنسية للسكان العرب، وحتى في حالة حصول العربي على الجنسية الاسرائيلية فانها لا تكسبه الحقوق التي يتمتع بها اليهودي ، وهذا ما اعترف به وزير العدل الاسرائيلي امام البرلمان الاسرائيلي عام ١٩٥٢(١) .

لقد عانى العرب الذين تمكنوا من البقاء في المنطقة المحتلة الكثير من العذاب والضغط والاكراه. ومن وسائل الايذاء والضغط التي لجأت اليها اسرائيل مثلاً:

- نقل اهالي بعض القرى من قراهم واراضيهم واسكانهم في قرى اخرى .
- منع التنقل الا بتصريح من الحاكم العسكري الاسرائيلي .
- مداهمة القوات الاسرائيلية لمنازل السكان العرب بحجة التفتيش عن الاسلحة والوثائق .
- منع العرب من حرية التصرف في بيع سلعهم .

---

(١) D. Peretz « Israel and the Palestine Arabs », p. 125

- مصادرة البيوت والاراضي العربية لاسباب مختلفة .

- فرض الضرائب الباهظة على الاراضي والعقارات العربية .

وتطبق اسرائيل هذه الوسائل والاجراءات الظالمة تنفيذاً لمخططها في تهجير من تبقى من العرب في المنطقة المحتلة . وسنت اسرائيل لتنفيذ هذا المخطط سلسلة من القوانين التعسفية الجائرة التي تسلب العرب ارضهم وتجردهم من املاكهم . من هذه القوانين : قانون الغائبين ، وقانون سلطة الاصلاح ، وقانون الجنسية ، وقانون استملاك الاراضي ، وقانون التصرف ، وكان آخر هذه القوانين قانون التقادم (عام ١٩٥٧) .

واذا انتقلنا الى مستوى معيشة السكان العرب في فلسطين المحتلة لوجدنا الاحصاءات الرسمية الاسرائيلية نفسها تنطق بحقائق التفرقة المرة. جاء في الكتاب السنوي الاسرائيلي لعام ١٩٦١ ان العرب في اسرائيل يكونون نسبة ٧ او ٨٪ ، وان اوضاعهم السيئة لا تتلاءم مطلقاً مع نسبتهم العددية . ويورد الكتاب الاحصاءات التالية :

٥١٪ من مجموع العائلات المحرومة من غرفة حمام في البيت هي عربية
٦١٪ « « « « « مطبخ « « « «
٨٨٪ « « « « « مياه جارية « « « «

ومن مظاهر التمييز العنصري في محيط العمل والعمال ان السلطات الاسرائيلية خفضت اجور العمال العرب فجعلت اجرة العامل العربي اقل من اجرة العامل اليهودي مع تساويها في جنس العمل ، وكذلك الامر بالنسبة الى الموظف العربي .

وفي الوقت الذي تمارس فيه اسرائيل سياسة التفرقة العنصرية ضد العرب بسبب الجنس تقوم في الوقت نفسه بخنق حرياتهم الدينية ، وتعتدي على بيوت العبادة من كنائس ومساجد ، وتستولي على كثير من الاوقاف والاملاك التابعة للطوائف الدينية . وتأتي قوانين الحكم العسكري لتزيد من الجحيم الذي يعيش فيه السكان العرب في اسرائيل . فهي قوانين تعسفية جائرة موجهة ضد العرب بالذات، تفرض عليهم الاقامة الجبرية وتحرمهم من حرية التنقل ومن دخول مناطق معينة ، كما تعرضهم للسجن والتشريد بأمر من حاكم المنطقة العسكري .

وتشهد البرقية التي ارسل بها العرب في اسرائيل الى السكرتير العام للأمم المتحدة بحالتهم المؤثرة . تقول البرقية : « باسم الانسانية والعدل نوجه اليكم نداءنا للتدخل لدى حكومة اسرائيل بشأن ما يقع من ظلم على العرب في اسرائيل وما يعانونه من فقر واذلال . وان الكثيرين لا يجدون مأوى بسبب اجراءات السلطات التعسفية . وقد اقيمت قرى يهودية على الاراضي العربية واضحى اصحابها بلا عمل ولا ارض . كما ان القانون العسكري يطبق بوحشية في المناطق العربية في الجليل والمثلث الصغير ... نطلب تدخل الامم المتحدة لايجاد حل معقول لمشكلة العرب الخطيرة في اسرائيل »(١) .

وتسلب المشروعات اليهودية العرب كل يوم جزءاً جديداً من الاراضي التي بقيت في ايديهم . وآخر هذه المشروعات تهويد الجليل الذي يقطنه اكثر من ثلثي العرب المقيمين في الارض المحتلة ، وهو المشروع الذي اقره مجلس الوزراء

---

(١) مجلة نير الاسرائيلية ، عدد شباط (١٩٥٦) .

الاسرائيلي في الثاني من ايلول عام ١٩٦٣ ، ويموله الصندوق القومي اليهودي بالاشتراك مع الوكالة اليهودية والحكومة .

ويهدف هذا المشروع الى الاستيلاء على الاراضي العربية في الجليل عن طريق نقل اصحابها الى اماكن اخرى . ويشمل المشروع ما مساحته ٢٧٠ الف دونم من الاراضي .

ومن اجل تحقيق هدف التهويد قامت السلطات الاسرائيلية بنسف عدد كبير من القرى العربية واغتصاب الاراضي الزراعية ، كما قامت بتشييد مدينة جديدة على مقربة من مدينة الناصرة هي « الناصرة العليا » . وبلغ تحدي السلطات الاسرائيلية لمشاعر العرب ذروته عندما احتفلت هذه السلطات بتدشين مدينة « كرمئيل » الاسرائيلية التي اقيمت على الاراضي العربية المغتصبة في الجليل ، وذلك في يوم الذكرى الثامنة لمذبحة كفر قاسم الرهيبة .

مواقف اسرائيل من قضايا التفرقة العنصرية وقضايا الحرية :

وتتضح لنا طبيعة اسرائيل العنصرية من خلال مواقفها من قضايا التحرر الوطني في آسيا وافريقيا ، ومن نضال الشعوب المستغلة ضد القهر الامبريالي . فقد صوتت اسرائيل في عام ١٩٥٢ ضد استقلال تونس والمغرب ، ووقفت باستمرار ضد استقلال الجزائر ، وكانت تحث فرنسا على البقاء في الجزائر . وفي عام ١٩٥٩ صوتت اسرائيل في الامم المتحدة ضد مشروع القرار الآسيوي الافريقي الذي طالب بالامتناع عن اجراء التجارب الذرية في الصحراء الافريقيــــة . كذلك صوتت اسرائيل ضد استقلال الكاميرون وقبولها عضواً في المنظمة الدولية .

ووقفت اسرائيل باستمرار منذ عام ١٩٥٣ حتى الآن ضد مشروعات القرارات المقدمة الى الجمعية العامة للأمم المتحدة بادانة سياسة التفرقة العنصرية في اتحاد جنوب افريقيا وروديسيا بسبب مالها من علاقات قوية مع هاتين الدولتين . كما ينبغي الا ننسى موقف اسرائيل من قضية تحرر شعب انغولا وتأييدها لسياسة البرتغال الاستعمارية .

ومن التمييز العنصري ضد السكان العرب في اسرائيل ، والذي يعتبر بحق ابشع ماعرفته الانسانية من انواع التمييز العنصري والاضطهاد ، ننتقل الى تمييز عنصري آخر تمارسه السلطات الاسرائيلية ، قد يكون اخف وطأة واقل سفوراً ، ولكنه يكشف ايضاً عن الطبيعة العنصرية لحكام اسرائيل الصهاينة ، الذين يمارسون التفرقة العنصرية حتى ضد ابناء دينهم ، واعني اليهود الشرقيين .

التمييز العنصري ضد اليهود الشرقيين

ينقسم المجتمع الاسرائيلي الذي قام في الاصل على تجميع اشتات الجاليات اليهودية من مختلف انحاء العالم الى مجتمعين رئيسين مختلفين تماماً . يتألف الاول منها من اليهود الغربيين واكثرهم من الاشكنازيين ، ويتألف الثاني من اليهود الشرقيين وجميعهم من السفارديين . والاشكنازيون هم يهود اوروبا عموماً ، وكانت كلمة اشكينازي تطلق في الاصل على اليهودي الالماني . اما السفارديون فهم اليهود الذين عاشوا تحت الحكم الاسلامي وتكلموا العربية ، وبعضهم في الاصل من يهود اسبانيا الذين فروا من محاكم التفتيش .

هذا الاختلاف الذي بدا في القرون الوسطى صحبه اختلاف في العقائد والطقوس الدينية ، وفي الثقافة واللغة والعادات والتقاليد . وقد حمل اليهود المهاجرون الى فلسطين اختلافاتهم هذه معهم ، ولكن هذه الاختلافات تطورت وتغيرت لتصبح تفرقة عنصرية تميز بين اليهود الغربيين المهاجرين الى فلسطين من اوروبا وامريكا قبل قيام دولة اسرائيل وبعدها ، وبين اليهود الاصليين واليهود المهاجرين من البلدان العربية ومن سائر بلدان الشرق الاوسط ، اي ان الاختلاف اليوم هو بين اليهود الغربيين من جهـــة واليهود الشرقيين من جهة اخرى .

وقبل ان نتناول مظاهر التميز ضد اليهود الشرقيين في المجتمع الاسرائيلي لابد من الاشارة الى الاسباب والعوامل التي ادت الى التفرقة العنصرية ، والتي يمكننا ان نجملها كما يلي :

١ – نظرة التعالي التي كان ينظر بها السفارديون الى الاشكنازيين خلال الاحقاب الطويلة بما ادى الى حقد الاخيرين على السفارديين والى ان تظل رواسب البغض في نفوسهم تحول الى نوع من التكتل والاستئثار بالسلطة عندما جاؤوا الى الارض المحتلة .

٢ – تأصل الخلافات الطائفية والاقليمية والبيئية بين طوائف اليهود .

٣ – اسبقية اليهود السفارديين الى بلاد فلسطين وتأصلهم فيها واقامته علاقات طيبة مع سكان البلاد . وبالاضافة الى اليهود المستعربين الموجودين في البلاد منذ اقدم العهود ، كان اليهود الشرقيون يشكلون الاكثرية اليهودية المتجانسة بالنسبة الى اليهود الغربيين . كذلك كانت العـــلاقة الذهنية بين اليهود الشرقيين

والعرب ، كاللغة المشتركة ، والشبه فيا بينهم في الشكل والعادات والتقاليد ونمط الحياة ، من اسباب تحامل اليهود الغربيين على اليهود الشرقيين ، ومن اسباب كره الاخيرين لليهود الغربيين .

٤ ـ خوف اليهود من ان تصبح اسرائيل دولة شرقية ـ متوسطية . فهؤلاء لايريدون اسرائيل الا ان تكون دولة غربية ، رغم ان الغالبية من سكانها ، سواء من العرب او اليهود الشرقيين ، هم من حوض المتوسط ، وهذا سبب آخر للاضطهاد ضد الطرفين على حد سواء .

٥ ـ عقدة الصهيونية عند اليهود الغربيين الذين يرون انهم هم اصحاب الفكرة التي اقامت دولة اسرائيل ،وأن الشرقيين الذين لايتحمسون كثيراً لهذه الفكرة انما يقطفون ثمار اتعابهم هم .

مظاهر التفرقة ضد اليهود الشرقيين

تؤكد الاحصاءات ان نسبة اليهود الشرقيين المقيمين في فلسطين المحتلة تزيد على نسبة اليهود الغربيين . وتشير تقديرات المستقبل الى ان نسبتهم سترتفع الى ٧٥٪ او ٨٠٪ . وتفيد الاحصاءات ايضاً ان يهود شمال افريقيا الموجودين في اسرائيل يشكلون وحدهم ربع سكان اسرائيل من اليهود .

لقد وجدت حركة التميز العنصري ضد اليهود الشرقيين منذ قيام الدولة في اسرائيل ، ومنذ مجيء هؤلاء اليهود من البلدان العربية وغيرها من البلدان الآسيوية والافريقية . ذلك ان اليهود المنحدرين من اصل اوروبي كانوا ينظرون نظرة التعالي والتفوق على اليهود الشرقيين ويعتبرونهم اقل مستوى منهم ،

ويأنفون في كثير من الاحيان من السكنى قربهم والتعامل معهم على الصعيد الاجتماعي الحيـاتي ، كذلك كان التميز ظاهراً على الصعيد الرسمي كالوظائف الحكومية ، وفي الكنيست ، وفي المدارس ومجالات التعليم ، وفي الاسكان .

ويزيد من حدة التفرقة شعور الـ « نحن » الموجود عند اليهود الغربيين الذين يقولون : « نحن الذين نعمل ونحن الذي نعطي ونحن الذين نوطن ، وهم الذين يأخذون ، وهم المحتاجون وهم الذين ينقصهم الحد الادنى من الثقافة » .

وتجمع الدراسات التي تناولت المجتمع الاسرائيلي وتكوينه وبنيته على ان هناك انقساماً واضحاً جعل من اسرائيل اسرائيلين : اسرائيل المجتمع الاوروبي الغربي المكون من الذين صنعوا اسرائيل ، واسرائيل المجتمع الشرقي المكون من اليهود الشرقيين الذين استقدمتهم الصهيونية لتخدموا مصالحها في ملء الفراغ الذي احدثوه بطرد اهالي البلاد ، فجاء هؤلاء اليهود الشرقيون ، على حـد وصف لوفيتش (١) ، « اغراباً متحيرين خائفين من دنيا لم يصنعوها » .

ومما يدل على استمرار التفرقة العنصرية ضد اليهود الشرقيين ، رغم كل المحاولات الرسمية لانكار هذه التفرقة وطمسها ، ما جاء في مقدمة كتاب رفائيل

---

(١) لوفيتش احد المفكرين اليهود الذين بحثوا في بنية المجتمع الاسرائيلي . وقد جاءت هذه العبارة في الصفحة ١٢٤ من كتابه : « تحدي اسرائيل » ، من منشورات الجامعة الاسرائيلية لعام ١٩٦٨ .

باتاي « اسرائيل بين الشرق والغرب » عن وجوب مراعاة مشاعر اليهود الشرقيين لتخفيف حدة التوتر بين الفريقين ، لان هذا التوتر ما يزال يغلي في اسرائيل حتى كاد يصل حد الانفجار عام ١٩٦٩ (١) .

ولعل مما يشجع على التميز العنصري ويزيد من نظرة التعالي والترفع من جانب الاشكنازيين ، وبالتالي شعور الشرقيين بالضعة وفقدان الثقة بالنفس هو تلك التصريحات التي ادلى بها كثير من المسؤولين في اسرائيل من امثال بن غوريون واشكول وغولدا مائير وبن زفي .

عرف عن بن غوريون تخوفه من اليهود الشرقيين وعدم تشجيعه لهجرتهم . وله في هذا قوله المشهور « احذروا التشرق » . وورد عن اشكول انه قال عن اليهود الشرقيين ، وهو يرد على التشكي من ان الوظائف لا تعطى الا لليهود الاشكنازيين الذين يعرفون لغة اليديش ، ولا تعطى لليهود الشرقيين ، قال ، « ليست المسألة انهم لا يعرفون اليديش ، بل لكونهم لا يعرفون شيئاً » . (٢) وقالت غولدا مائير عندما كانت وزيرة للخارجية « عندنا مهاجرون من المغرب وليبيا وايران ومصر ومن بلدان اخرى من مستوى القرن السادس عشر ، فهل يمكن ان نرفع هؤلاء المهاجرين الى مستوى مناسب من الحضارة ؟ » .

والان ماهي مظاهر هذه التفرقة ضد اليهود الشرقيين ؟

١ – التفرقة في الاسكان :

---

(١) المصدر المشار اليه ، ص ٣٨٨

(٢) Selzer , « The Aryanization of the « Jewish State » New York, 1967

(٣) Selzer , « The Outcast of Israel » P. 15

كانت مسألة اسكان اليهود الشرقيين المهاجرين الى اسرائيل ومازال من اوضح مظاهر التميز العنصري ضد هؤلاء الذين استخدمتهم الصهيونية كالآلة تضعها حيثما تريد. وقد اختارت السلطات الصهيونية لهؤلاء المهاجرين الاماكن البعيدة غير المعمورة من البلاد، وفرضت عليهم الا يغادروها كما فرضت عليهم شروطاً سكينة قاسية. وكانت بعض افواجهم تترك الى المعبرات، وهي المخيمات المؤقتة، مدداً طويلة مما يدفع بهم الى شعور اليأس والخذلان.

يقول باتاي، وهو احد المهتمين بالدراسات الاجتماعية في اسرائيل، «لقد كانت هناك تحسينات في احوال المهاجرين السكنية، الا انه مازال حتى عام ١٩٦٩ الاحياء الفقيرة جدا والمزدحمة هي التي يسكنها اليهود الشرقيون».ويقول ايضاً: «ان هذه التفرقة اكثر ما تظهر بين اليهود المهاجرين الجدد من الفريقين». وتدل احصاءات عام ١٩٦٤ مثلا على ان نسبة ٣٧٪ من اليهود الشرقيين كانوا يعيشون بمعدل ثلاثة او اكثر في غرفة واحدة، بينما لم تزد نسبة اليهود الغربيين الذين يعيشون في ظروف مشابهة عن ٧٪.

٢ – التفرقة في الاعمال والمداخيل:

وتتجلى هذه التفرقة في المستوى المعاشي المتدني لليهود الشرقيين في اسرائيل. وقد دلت احصاءات عام ١٩٦٩ مثلا على ان ٦٣و٦ ٪ من اليهود الغربيين يملكون ثلاجة مقابل ٢٧و٥ ٪ فقط من اليهود الشرقيين. وفي عام ١٩٦٤ تعدلت النسبة فأصبحت ٩٧و٩٪ من اليهود الغربيين يملكون ثلاجة مقابل ٥٢٪ من اليهود الشرقيين. اما نسبة الغربيين الذين يملكون سيارة فهي اربعة اضعاف نسبة الشرقيين.

واليهود الشرقيون ذوو مداخيل محدودة لأنهم يعطون الاعمال والوظائف

ذات الاجور القليلة ، بينما يحتكر الاوروبيون معظم المناصب العليا في الجيش والقضاء والحكومة والصحافة والادارة العامة ، لذلك فجميع اصحاب السلطة والنفوذ منهم . ويعترف المسؤولون الاسرائيليون بهذا الواقع ، ويبررونه بأن اليهود الاوروبيين هم اقدم في فلسطين واكثر ثقافة . ولعل افضل ما يدل على استئثار اليهود الغربيين بالمناصب العاليةهوان نلقي نظرة على الكنيست والوزارات التي قامت في اسرائيل منذ تأسيسها . فغالبية اعضاء مجالس الكنيست والوزارات المختلفة كانوا من اليهود الغربيين . وفي الوزارة قبل الاخيرة مثلا لم يشغل ممثلو اليهود الشرقيين سوى وزارتين ثانويتين هما وزارة البوليس والبريد من أصل ٢٠ مقعداً وزاريا ؛ هذا في بلد يبلغ عدد مواطنيه الشرقيين ٦٠٪ من اليهود (١) . اما نسبة تمثيل اليهود الشرقيين في جميع مجالس الكنيست المتعاقبةفهي لم تزد في احسن الاحوال عن ٢٦٪ .

ولا ينفك اليهود الشرقيون عن الاحتجاج على هذه التفرقة . ولكن صيحات الاحتجاج ضاعت سدى . وقد طالب الياهو اليشر رئيس طائفة الشرقيين مراراً بزيادة عدد النواب والوزراء الشرقيين « لا كرمز ولا لتغطية الاعين وانما لمساعدة الدولة على حل قضايا وطنية واساسية ، ولانه يجب ان تشترك الدوائر كلهابمسؤولية ادارة الدولة . وما دام المتحكمون في امور الدولة يعتقدون ان وزارتي البوليس والبريد تكفيان لتمثيل اكثر من نصف مواطني البلاد فانه ليس هناك امل للاتحاد المطلوب ، بل على العكس ان ذلك يزيد من خطر الانقسام » . ويبرر الاشكنازيون

(١) Israel's Oriental Problem . Vel III , No 5March 1968 P . 2

احتكارهم للمناصب العليا بأنهم « لا يستطيعون ان يتوقعوا من اليهود الشرقيين ان يقوموا بالاعمال نفسها التي يقوم بها الاوروبيون » . وتدل الاحصاءات على ان نسبة اليهود الشرقيين الذين يشغلون مناصب عالية في الحكومة لا تزيد عن ٤٫٥٪ ونسبتهم في المهن الحرة كالطب والصحافة وغيرها لا تزيد عن ١٫٣٪ (١) .

ويقول عالم الاجناس البريطاني الدكتور فيتتون الذي زار اسرائيل صيف ١٩٦٦ وكتب عن التفرقة بين يهود الغرب ويهود الشرق فيها ؛ ان اسرائيل مجتمع في طريقه الى التمزق بحكم اختلاف الناس الذين يتكون منهم .

٣ - التفرقة على صعيد الحياة اليومية :

ليست التفرقة مقتصرة على الصعيد الرسمي فحسب ، بل هي موجودة ايضاً في العلاقات الاجتماعية والتعامل اليومي . ولعل اسوأ مظاهر هذه التفرقة هو عدم اختلاط الفريقين من اليهود بعضهما مع بعض . ويصف الاوروبيون الشرقيين بالكسل والتواني والتخلف ، وهم يخشون من اختلاط ابنائهم مع ابناء الشرقيين كيلا يكتسبوا الصفات والعادات السيئة منهم . وكذلك علاقات الزواج تكاد تكون نادرة بين الاسر الاشكنازية الاوروبية والامريكية وبين اسر اليهود الشرقيين ، وهي نادرة جداً في المدن .

ولا ينحصر الامر على ندرة الزيجات المختلطة وعدم تشجيع الاهل لها ، بل تتعدى التفرقة العنصرية هذه الى تدخل السلطات الرسمية والدينية احياناً للعمل على منعها . فاليهود المهاجرون من الحبشة مثلاً والذين يسمون الفلاشة مرفوضون

---

(١) Friedmann , The End of the Jewish People ? 1967, P. 156 , 157

في اسرائيل لايعترف بيهوديتهم، ولا يسمح بالتزوج منهم كما لايسمح لهم ان يتزوجوا يهوديات .

ومما يساعد على التفرقة في المعاملات والعلاقات الاجتماعية ذلك الاختلاف العرقي ، ذلك التمايز في الشكل واللون . ويشبّه "كون" – الذي عاش في فلسطين المحتلة ثلاث سنوات قنصلاً للولايات المتحدة فيها – التفرقة العنصرية الموجودة في اسرائيل بنظرة الامريكيين البيض الى الزنوج .

ويرفض اليهود الاوروبيون كذلك السكن بالقرب من عائلات شرقية ، ففي بلدة معلوت في الجليل رفضت سبعون عائلة من يهود شرقي اوروبا ان يسكنوا فيها لأن فيها اربعة آلاف يهودي شرقي »(١) .

٤ – التفرقة في مجالات التعليم :

ان عدد الطلاب الشرقيين في المدارس على مختلف درجاتها يقل كثيراً عن عدد الطلاب من اليهود الغربيين . ويدلنا احصاء عام ١٩٦١ مثلا على ان ١٢٪ فقط من طلاب المدارس الثانوية كانوا من اليهود الشرقيين ، و٥ ٪ فقط في الجامعات . وفي عام ١٩٦٦ ومع ازدياد عدد الطلاب بشكل عام ظلت النسبة على ماهي عليه . وتدل آخر الاحصاءات على ان نسبة الطلاب الشرقيين لم تزد في الجامعات عن ١٣٪(٢) وقد اوردت صحيفة «معاريف» الاسرائيلية(٣) احتجاجاً على التعليم في اسرائيل على لسان يهودي من اصل مراكشي قال فيه انه في مراكش حيث يعيش حتى اليوم

---

(١) E. Alport « The Integration of Oriental Jews into Israel » , April , 1967 , p. 157

(٢) A. Chouraqui « Between East and West »p . 310

(٣) عدد ١٩ –٣– ٧١

نحو اربعة آلاف يهودي ، يتخرج من مدارسها كل عام طلاب يهود أكثر مما يتخرج في اسرائيل كلها من اليهود المراكشيين .

ويعود ترك الدراسة ، وهي ظاهرة شائعة لدى اولاد اليهود الشرقيين في المدارس والجامعات ، الى اسباب مادية ونفسية في معظم الاحيان ، تعجز عائلاتهم عن دفع نفقات تعليمهم او عدم تشجيعهم لهم على متابعة دراستهم .

ويعزو البعض هذا الفرق في عدد المتعلمين من اليهود الشرقيين والغربيين ، وخاصة في مرحلة التعليم الجامعي ، الى ان مدارس ابناء الشرقيين ليست في مستوى مدارس المدن والكيبوتزات والموشافات التي ينهب اليها اولاد المهاجرين الغربيين ، من حيث ملاك المدرسين او الوسائل التعليمية او المناهج نفسها . ولقد احتج السفارديون اكثر من مرة على هذه التفرقة في مجالات التعليم ، وكان آخر هذه الاحتجاجات عام ١٩٦٨ حيث هاجم السفارديون وزارة التربية بشدة واتهموها بأنها تنحاز الى اليهود الغربيين وتمارس التفرقة ضد اليهود الشرقيين وبأنها « تحاول دائماً تدليل الاغنياء والاقوياء وتحرم الذين هم في الاصل محرومون »

٥ – سياسة « التغريب » :

ومن اوسع مظاهر التفرقة واكثرها سوءً نية ما يسمى عند دارسي التفرقة العنصرية في اسرائيل بسياسة «التغريب» ، اي تحويل اليهود الشرقيين الى غربيين ، وطمس كل ما يمت لهويتهم التاريخية والثقافية بصلة ونزع كل صفة شرقية عنهم .

وتتعمد هذه السياسة اهمال كل تراث وتقاليد اليهود الشرقيين ، والترويج لفكرة ان اليهود الشرقيين ليس لهم حضارة وانهم جاؤوا من فراغ ثقافي حضاري . وتمارس الدولة هذه السياسة على نطاق واسع وفي مجالات مختلفة اهمها مجالات التعليم وعن طريق المناهج الغربية التي تخطط لتجعل جميع اولاد اليهود الشرقيين اشكنازيي

التفكير ، والتي تنشر الثقافة الغربية وتمجد تاريخ اليهود الغربيين وتقلل من شأن كل ما هو شرقي . وليس ادل على اهتمام الدولة ومؤسساتها الثقافية بهذه السياسة من المشروع الدراسي الكبير الذي اعدته الجامعة العبرية عام ١٩٦٥ « للبحث في كيفية ايجاد افضل الوسائل لجعل الطلاب الشرقيين يندمجون في البرامج الغربية التي تقدمها المدارس في اسرائيل ! »(١) .

كما نلمس سياسة التغريب بوضوح ايضاً في الاذاعة والصحافة . فالاذاعة مثلا تتعمد اهمال كل ما له صلة باليهود الشرقيين او باليهود العرب . يقول مايكل سلزر : « ان الدولة التي تسيطر على (كول يسرائيل) جعلت برامج الاذاعة مطابقة تماماً لبرامج هيئة الاذاعة البريطانية مع فارق اللغة فقط ... والاغاني القليلة الشرقية التي تذاع هي من ضمن برنامج يسمى « اغاني الجاليات » ، وبهذا تؤكد الدولة على ان اليهود الشرقيين في نظرها انما هم جاليات »(٢) .

وتعتبر الوكالة اليهودية من أقوى ادوات سياسة التغريب التي استخدمها الحكام الصهاينة ضد اليهود الشرقيين . فقد عملت هذه الوكالة منذ قيام دولة اسرائيل على تحويل هذه الدولة الى دولة غربية ، وتحويل المجتمع الاسرائيلي الى مجتمع اوروبي . ووقفت الوكالة منذ البداية ضد قيام اي مؤسسة او اتحاد سفاردي او شرقي يدعو الى تحسين احوال الطائفة في اسرائيل او خارجها . ومما ينم عن سياسة التغريب تشجيع الحكومة والوكالة اليهودية الهجرة من بلدان غربية . وكان بن غوريون وامثاله من أكبر المشجعين على الهجرة من اوروبا وامريكا ، وعلى وضع

---

(١) انظر مقال مايكل سلزر في مجلة « أوت لوك » ; عدد ت١ — ١٩٦٥ ، ص ١٨ بعنوان : « The Trouble with Israeli Education »

(٢) المصدر السابق .

حد للهجرة من بلدان الشرق الاوسط . وكان يقول إن من اهم مسؤوليات الدولة الحيلولة دون انحطاط اسرائيل وتحولها الى دولة شرق اوسطية . وقد فضح الأمر س . ز . شراغاي، الذي ترأس دائرة الهجرة في الوكالة اليهودية لعدة سنوات ، حين اعلن ان الوكالة ترفض هجرة « من لاتشعر بأن مستواهم كفء بأن يأتوا الى اسرائيل » ؛ اي انها ترفض هجرة اليهود الشرقيين .

كذلك يعتبر « الهستدروت » اداة اخرى من ادوات سياسة التغريب . فهو في تنظيمه وخدماته واعماله يقوم على اسس غربية تخدم العقلية والمجتمع الغربي في اسرائيل .

إن سياسة التغريب التي تتبعها اسرائيل هي نوع من الاستعمار الثقافي الذي تمارسه الدول الاستعمارية ضد الشعوب المغلوبة على امرها . انها محاولة لاجبار اليهود الشرقيين على تبني كل ماهو غربي والتخلي عن الثقافة والتقاليد الشرقية . وبهذا تكون اسرائيل دولة استعمارية تمارس ابشع نوعين من انواع الاستعمار ، هما الاستعمار الاستيطاني في الارض المحتلة القائم على العدوان والتوسع المستمر ، وهو استعمار موجه ضد الفلسطينيين اصحاب الارض الشرعيين وضد الارض العربية والامة العربية كلها ، والاستعمار الآخر هو الاستعمار الثقافي ضد اليهود الشرقيين من عرب وغير عرب .

★ ★ ★

النظام الرأسمالي والتمييز العنصري

نموذج الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية

أديب اللجمي

تمهيد :

إن وجود الزنوج في امريكا ، يفترض اعتبارهم امريكيين ، ويطرح في الوقت ذاته ومنذ ثلاثة قرون ونصف مشكلة أساسية ، شديدة التعقيد ، متعددة الوجوه ، متداخلة في شتى قطاعات النشاط البشري . فقدزاد في تعقيد المشكلة استغلال اقتصادي ، واضطهاد سياسي وتردٍ اجتماعي ، فرضها نظام الرجل الابيض ، وجعلت الزنوج في هذه البلاد يشعرون انهم ضحايا النظام الامريكي ، بدلاً من ان يكونوا مواطنين امريكيين .

وتجلت حركة الاحتجاج على هذا التميز العنصري باشكال مختلفة : ثورات قام بها الزنوج ، حركات ازالة التميز ، نضال ضد التميز ، محاولات دمج ، محاولات

ازالة الاستعمار . وتجلت هذه الحركات في صور مشروعة او عنف ثوري يتجاوز الحدود والاطر المقبولة قانوناً . وتعددت ردود الفعل على هذه الحركات ، مثلما تعددت اشكال وجود التمييز العنصري تبعاً للولايات ، وللانظمة السياسية لكل ولاية ، ولموقف سكان الولاية من مشكلة الدمج او التمييز .

تاريخ المشكلة :

ان تطور الصراع بين البيض والسود في الولايات المتحدة يرتد ، بنسبة كبيرة ، الى عوامل اقتصادية واجتماعية ، وهناك كثيرون من مناهضي العنصرية فشلوا في مكافحتها لأنهم لم يدركوا بواعثها الاقتصادية الاجتماعية هذه. ومن المناسب ان نقدم عرضاً علمياً للمشكلة يلقي الضوء على تاريخها، انطلاقاً من تحليل دقيق للبنى الحالية في المجتمع الامريكي . وسنبدأ ببيان الفترات البارزة من الاضطهاد العنصري والأثر الحاسم للعوامل الاقتصادية في هذا الاضطهاد .

بيع الرقيق :

كان الربح هو الدافع الوحيد لبيع الرقيق . وقد وجدت اوروبا المسيحية تبريراً له ، كما تشير الى ذلك المناقشة التي تمت بين Sepulveda وبين Barthélémy de Las Casas . مر تجار بيع الرقيق الذين تمركزوا في في مدن لشبونة ، ونانت ، وليفربول ، براحل ثلاث . فحتى سنة ١٥٨٠ كانت المرحلة الاولى هي مرحلة القراصنة واللصوص . وجاءت المرحلة الثانية في القرن السابع عشر ، حين ظهرت احتكارات الدولة فأصبح بيع الرقيق رسمياً، وتمكنت طبقة التجار من تدعيم سلطانها وتكديس رؤوس الأموال ، وأقامت علاقة وثيقة

بين رأس المال التجاري ورأس المال الصناعي . وفي القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر قام رأس المال المصرفي بتأمين الارباح للمشروعات الخاصة الكبرى التي ولدتها الاحتكارات .

وكان بيع الرقيق جزءاً لايتجزأ من « تجارة ثلاثيـة الاطراف » هي تجارة المنتجات الاوربية المصنوعة ، وتجارة العبيد الزنوج ، وتجارة منتجات القارة الجديدة . واسهم ذلك في ازدهار الاقتصاد الأوروبي ، لكنه في الوقت نفسه أفسد الزعماء الزنوج ، إذ فتت البنى الاجتماعية كما قوّض حضارة هذه الجماعات .

فمنذ مطلع القرن السابع عشر أخذت الحاجة الى اليد العاملة السوداء تشتد في المستعمرات الانكليزية . واذ تبين أن الهنود كانوا ضعيفي الجالدة ، شديدي العناد ، فقد أعد المستعمرون لهم خطة تقوم على تصفيتهم نهائياً . «ان الهنود الطيبين هم فقط الهنود الأموات » . ويقول مونتيسكيو : « فلما أبادت شعوب اوروبا شعوب امريكا ، كان علينا أن نستعبد شعوب افريقيا لنستخدمها في استصلاح تلك الاراضي الواسعة » .

ولجأ المستعمرون الى امكانات القانون الانكليزي ، وأخذوا يلائمونها مع الوضع الاستعماري في سبيل فرض العمل الاجباري . فبحجة « التدريب » سوغوا لأنفسهم أخذ الأطفال من أهليهم ، اذ كان على هؤلاء الأطفال أن يخدموا دون أجر حتى سن البلوغ باسم « التدريب » . وبحجة « الالتزام » أمكن تسليم المتمردين على الدين وسجناء الحق العام ، دون أية كفالة ، الى السادة البيض الذين كانوا يشترون هؤلاء لمدد تتراوح بين ٧ ــ ١٠ سنوات يباح لهم الحق اثناءها في التصرف بهؤلاء الزنوج ، وباستعمال السوط والحديد المحمى معهم .

ولكي يتخلص الزنجي من ذلك ، كان يقبل بأن يباع الى أي شخص يؤمن له الطعام مقابل عمله .

الرق والزراعة البسيطة :

كان نظام « الالتزام » في الفترات الأولى مشتركاً بين الزنوج والبيض على حد سواء . وبين سنتي ١٦٦٠ و ١٦٨٣ شهدت منطقتا فرجينيا وماريلاند ، وهما منطقتان منتجتان للتبغ ، أزمة اقتصادية أدت الى تقلص الملكية الكبيرة والمتوسطة وقيام الملكية الصغيرة بدلاً منها . وتكرس هذا التحول بقانون صدر سنة ١٦٥١ في عهد كرومويل وأكمل فيما بعد بقوانين خاصة بزراعة السكر. ولاحظ المستعمرون الانكليز ازاء تزايد عدد الزنوج ، وازاء الأوضاع الزراعية الجديدة ، أن الزنجي هو الانسان الوحيد الذي يمكنهم استغلاله وتشغيله مدى الحياة ودون أجر ، فاذا فعلوا ذلك ، تمكن كل واحد منهم من زيادة مساحات أرضه المزروعة وبالتالي من زيادة حجم انتاجه ، وبالتالي أيضاً من حل مشكلة انخفاض أسعار التبغ . واستتبعت زراعة الأرز في كارولينا ، ثم زراعة الحرير في جورجيا النتائج ذاتها . وهكذا فإن القوانين التي صدرت في فرجينيا خلال السنوات ١٦٦٢ و ١٦٧١ و ١٦٨٢ ، وفي ماريلاند سنة ١٦٦٤ هي بدايات واضحة للتشريعات العنصرية التي تلت .

ولأن الزراعة في المناطق الشمالية كانت متعددة الأنواع فقد قلّ استخدام الزنوج فيها كعبيد ، غير أنهم كانوا هناك موضوع تجارة . وقد قامت في نيوانجلند ونيويورك وروود آيلاند تجارة بيع للرقيق نافست تجار أوروبا . ومنذ ١٧٦٣ بدأ

نوع من التنسيق التام بين المزارعين في الجنوب وتجار الرقيق في الشمال . ويمكن القول أن احتكار المستعمرين الانكليز للأرباح الضخمة الناجمة عن استغلال الزنوج كان هو السبب الرئيسي في قطع العلاقات بين المستعمرات الأمريكية الثلاث عشرة وبين انكلترا سنة ١٧٧٦ .

وأصبح الصراع في أمريكا بعد ذلك ، لاصراعاً من أجل حرية الانسان وحقوقه — رغم فرانكلين ، وجفرسون ، وتوماس بين — بل صراعاً استعمارياً كانت المناداة فيه باستقلال أمريكا عن انكلترا تعني حماية المصالح الاقتصادية للمالكين الأمريكيين (المستعمرين) البيض . أما بشأن الزنوج فقد رفض واشنطن في البدء قبولهم في جيش الثورة . وكانت ردود فعل الزنوج ازاء ذلك مختلفة : صراع عسكري قام به العبيد الذين حررهم الانكليز ضد الجيش الأمريكي الموالي للاستعباد ، الهرب من الجيش الأمريكي بعد دمج الزنوج فيه (آذار ١٧٧٨) ، الحرب مع الجيش الأمريكي ضد الانكليز (نال في إثرها ١٠٠,٠٠٠ زنجي حريتهم) .

وبعد انتهاء الحرب ، استؤنفت حملة إبادة الهنود ، كما ازدهرت تجارة الرقيق والاستعباد بسرعة مذهلة . وكان من نتائج ذلك أن أقرت الجمهورية الأمريكية الفتية في الواقع والفعل الاضطهاد العنصري بالرغم من نصها في الدستور (المادة ١ الفقرة ٩) على انتهاء تجارة الرقيق في سنة ١٨٠٨ . وقد أعتق بعض المزارعين عبيدهم وراحوا يندون بالعنصرية ، غير أنهم كانوا قلة . وفكر بعض وجهاء الجنوب بالاتفاق مع تجار الشمال في انشاء معامل في الجنوب تمهيداً لتصنيعه ، وإقامة نظام الأجور . ولكن حدث منذ ١٧٩٥ أن ازدهرت وانتشرت زراعة

القطن والسكر ازدهاراً مذهلا بفضل اختراعات ويتني Whitney وبوري Boré . فاستتبع ذلك ازدياد تجارة الرقيق ونموها المطرد . وعكذا حكم اقتصاد منطقة الجنوب على نفسه ان يظل اقتصاداً استعمارياً ، إذ انفصلت طبقة المزارعين نهائياً عن الرأسمالية الصناعية ورسخت جذورها كطبقة رأسمالية زراعية بصورة نهائية .

تنظيم مناطق الجنوب

بعد ١٨٠٨ امتد استعباد الزنوج الى جنوب غربي البلاد ، الى أغنياء مالكي الأرض في ألاباما والميسيسبي والتكساس . واختفت العبودية ذات الطابع العائلي وحلت محلها عبودية جديدة من نوع تجاري (موركانتيلي) ذات أصول وقواعد ونظام عسكري وقيادات للمزارع الكبرى ، ونظام للتشغيل الاجباري ، وأسواق للرقيق ، وسياسة عنصرية خاصة ، وانتهت السياسة العنصرية المائعة التي تجلت في القرن الثامن عشر ، وقام نظام جديد يعتمد على الدم ويملي على الزنجي الرقيق والزنجي الحر سلوكه العائلي والاجتماعي والجنسي والأخلاقي ، كما يملي على الأبيض سلوكاً معيناً .

هكذا أتاح الرقيق استصلاح اراض جديدة مكنت بدورها من رفع قيمة «القطيع البشري» . وانتشر نوع من الديناميكية الخاصة التي حركت نظام الرقيق ، وأفرزت دعاية وايديولوجيا قائمتين على التعصب القومي والعنف ، ورفض الحرية والمساواة العنصرية والديمقراطية . وكان اقطاب هذا التيار باو Bow والمستشار هاربر Harper والاستاذ توماس ديو Thomas Dew والحاكم هاموند

Hammond وهــنري هيوغز Henri Hugues وجورج فيتز هوغ Fitzhug George . فهم يعتقدون ان التفاوت العنصري هو أساس المجتمع ؛ وانطلاقاً من ذلك ذهبوا الى وجوب اعادة النظر في تدريس التاريخ ، وتدريس الانجيــل والاقتصاد. وظهرت نظريات مماثلة في الادب، نادى بها لونغ ستريت Longstreet وتومسون W . T . Thompson وهــوبر J . J . Hooper وبالدوين J . G . Baldwin وسواهم ، والتمس هؤلاء وغيرهم من العلم سنداً وتأييداً . فكان هناك الدكتور توماس كوبر (سنة ١٨٢٦) الذي صنف « الزنوج » في نوع ادنى ؛ وكان هناك الدكتور كارترايت S. C. Cartwright الذي كتب بحثاً بعنوان« العبودية في ضوء علم الأقوام» كان له من الاثر في امريكا ما لكتاب غوبينو « تفاوت الاعراق » في اوروبا .

وفي ميدان القوة برزت في الجنوب النزعة العسكرية ، اذ أنشئت لجان للتحري من البيض ، وميليشيا ، ومصانع للذخيرة ومستودعات للسلاح وأكاديميات عسكرية ، كلها خاصة بالبيض . ونتيجة لذلك فان أكبر نسبة من خريجي الكلية العسكرية « وست بوينت West Point » هي من ابناء الجنوب البيض .

وعلى الصعيد السياسي تجمع حول كالهون كبار المتطرفين ، والمنظمات السرية ، والمجموعات الامبريالية التي كان شعارها توسيع رقعة الجنوب ووقوفه في وجه الشمال .

ونجح الجنوب في فرض وجهة نظره، وحصل على اتفاقات كلاي ونبراسكا كانساس في سنتي ١٨٣٠و١٨٥٤، كما حصل في سنة ١٨٥٧ على قرار المحكمة العليا المؤيد لوجهة نظره في قضية دريد سكوت Dred Scott . وظل الشمال زمناً

طويلا غارقاً في ازدهاره ونشاطه الاقتصادي فلم يشعر بتهديد الجنوب . لقدارتبط رجال الأعمال الشماليون مع رجال الأعمال الجنوبيين بعلاقات عمل ، وصلات عائلية وصداقات . أما موقف الشمال من السود فقد كان موقف المتسامح تجاه حرياتهم ، غير انه لم يتسامح معهم بشأن منحهم المساواة مع البيض في الحقوق . وفي السنوات ١٨٥٠ — ١٨٥٥ كان ثمة حوالي ٢٥٠،٠٠٠ من الملونين يعيشون في الولايات المناهضة للرق . ومن هؤلاء الملونين كان يوجد ستة أطباء وسبعة معلمين وثلاثة عشر قسيساً ، كلهم من الزنوج . وكان دفع الضرائب او امتلاك العقار شرطاً لازماً لممارسة حق التصويت في اكثر الولايات. وهكذا اخذ الانزلاق يتحرك بسرعة من التمييز الاجتماعي الى التمييز العنصري : هكذا نشأت فيما بعد أسس « التمييز » في الولايات المتحدة .

حرب الانفصال :

كان اضطهاد الزنوج ، ولو بنسب متفاوتة ، قائماً اذن في الجنوب والشمال على حد سواء . وعم في الجنوب اضطهاد كل ماله صلة بالزنوجة وبالثقافة الزنجية ، كما انتشرت لدى الزنوج الاخلاق القائمة على الخضوع للسيد وعلى الطاعة في هذه الدنيا . ومثل هذا النظام اتاح قيام جماعة زنجية دون ان يتيح تكون أمة زنجية .

في هذا الجو من الضغط والانقسام والفساد ، أذعن بعض الزنوج لمبدأ الوصاية ، وحدث في الشمال ان حاول بعض الزنوج الاحرار الذين تجمعوا في بنسلفانيا حول روبرت برفيس Robert Purvis ان يتناسوا وجود الرق ليتمتعوا بأحكام النظام البرجوازي وينتسبوا الى مجتمع البيض ، غير أن تذمر

الزنوج كان عاماً ، أدى الى حدوث اعمال تخريب ، وهرب من العمل ومن الجيش وحركات تمرد زاد عددها عن ٢٥٠ ثورة خلال فترة الرقيق . واتسعت حركات المطالبة بالغـاء قوانين التميز ، وتراوحت انواعها من نموذج المقاومة السلبية والاقناع بالحسنى الى التمرد الثائر الذي تزعمـه الثائر الزنجي جون براون John Brown .

وتجلى خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر صراع في المصالح متزايد بين الشمال والجنوب ، كما تجلت في الوقت ذاته محاولة لاقامة جبهة مشتركة من المالكين في الشمال والجنوب ضد القوى التي تهدد امتيازاتهم . وما لبث صراع المصالح أن تغلب على التضامن الطبقي . فوقف داخل الحزب الجمهوري ديمقراطيو الجنوب في وجه متمردي الشمال .

لم تكن مشكلة الزنوج أبداً هي المشكلة الاساسية في الحرب الاهلية . ورغم استنكار لنكولن لمنطق الاسترقاق ، فقد كان متربصاً إزاء موضوع المساواة في الحقوق ؛ وقد كتب سنة ١٨٦٢ الى هوراس غريلي : « لو استطعتُ ان انقذ الاتحاد دون تحرير أي رقيق ، لفعلتُ » . والواقع ان البيت الأبيض قد تكيف مع ضرورات الحرب . وكان رفض منح السود المساواة في الحقوق مع البيض شديد الانتشار لدى الرأي العام وفي داخل الكونغرس ؛ ذلك إن إلغاء الرقيق يهدد حقوق التملك وكذلك حقوق الولايات في التشريع .

وكان الشمال مفعماً بالأوهام إثر انتصاره سنة ١٨٦٥ . فقـد ظن أن الانفصال هو من صنع فئة من المشاغبين ، وأن حل جميع المشكلات يكون بالنص في الدستور (المادة الثالثة عشرة) على إلغاء الرقيق . وبعد اغتيال لنكولن عاود خلفه أندرو جونسون ممارسة سياسة التوفيق بين الشمال والجنوب .

ولكن ولايات الجنوب قد تمسكت بنظامها الانتخابي الذي يسيطر عليه اقطاعيو الأرض ، فطالبت سنة ١٨٦٥ بوضع قوانين جديدة للزنوج تمنع من كانوا منهم عبيداً من ممارسة الحقوق الاجتماعية والسياسية . وفي داخل الكونغرس كان رد فعل الجناح اليساري للحزب الجمهوري عنيفاً ، لأن هـذا الجناح كان يمثل البورجوازية الصناعية والديمقراطيين الذين يرغبون في منح الزنوج المساواة السياسية. ففرضت الدولة الاتحادية على ولايات الجنوب التي كانت تحت الاحتلال العسكري منح حق الانتخاب للسود . ترى هل تمكن العبيد القدامى والبيض الفقراء من تكوين جبهة موحدة في سبيل اقامة نظام ديمقراطي حقيقي في الجنوب ؟ لقد كان بالامكان تحقيق هذه الامنية لو أن هذه الجماعات استمرت في الانتساب الى المنظمات الشعبية والى الأندية التي كانت تضم هذه الفئات ، مع دعم الشماليين لها . ولكن موقف الشماليين كان غامضاً ، بل مشوشاً ، اذ لم يفكروا باحـداث اي اصلاح زراعي . واذ أن السود كانوا بالاصل محرومين من أية ملكية زراعية فقد ظلوا ضعفاء بعد انسحاب الجيش الاتحادي من الجنوب . وبذلك فان اعادة بناء الجنوب لم تتضمن اقامة المساواة بين البيض والسود .

ولأن الحزب الجمهوري قد تمزق بسبب هذه المشكلة الكبيرة ، فقد آلت انتخابات ١٨٧٤ الى فوز الديمقراطيين بفضل تأييد ولايات الجنوب . وكان من نتائج ذلك ان انسحب الجيش الاتحادي من الجنوب سنة ١٨٧٦ . وكانت الفترة بين ١٨٧٧ - ١٨٩٠ حاسمة ، اذ اخذ الحزب الجمهوري يقترب اكثر فأكثر من السياسة العرقية (وكان من قبل نصيراً للسود) بينما اخذ الديمقراطيون يمارسون ازاء السود نوعاً من سياسة الوصاية ، تجلت بانشاء مؤسسات تعليمية خاصة بهم . ثم ازدادت المعتقدات العنصرية ترسخاً ، وظهرت في مجموعة من قوانين التمييز

العنصري ، هي ما يسمى بقوانين « جيم كرو Jim Crow » التي أقرتها المحكمة العليا سنة ١٨٩٦ . وبموجب هذه القوانين فإن البيض والسود هم متساوون نظرياً، ولكنهم منفصلون عن بعضهم . وبهذه العنصرية الجديدة استطاع اقطاعيو الجنوب ان يستمروا في تطبيق نظام الأجر المنخفض على العمال الزراعيين السود ، وفي تهديدهم لهم في رزقهم اليومي، اذ كان السود مهددين بالفصل من العمل دون ماسبب، وكان العمال البيض يحرصون على ابعادهم . وهكذا استمر التمييز متزايداً بين السود والبيض طوال ما تبقى من القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين بالذات .

الوضع الاجتماعي والاقتصادي للسود :

حتى سنة ١٩٤٠ كان حوالي ٧٥٪ من السود يعيشون في ولايات الجنوب. وقد لاحظ الرئيس روزفلت ان « المشكلة الاولى للولايات المتحدة هي مشكلة الجنوب » . فالسود في الجنوب هم في اكثر الاحيان عمال زراعيون بأجر يومي، او موسميون .وهم في غالبيتهم العظمى اميون ، مدينون بصورة دائمة، لا يتمتعون بحقوق مدنية حقيقية ، مهددون بالرجم .

ويعتبر الجنوب اليوم من اكبر مناطق الانتاج في الولايات المتحدة . فالارز والقطن هما ملك الشركات الرأسمالية . ومعروف ان الجنوب هو المصدر الثاني لتموين الولايات المتحدة . لقد زادت تربية الحيوانات فيه . كما أن المكننة قد خفضت من نسبة سكان الريف . وتشير الاحصاءات الاخيرة الى أن ٧٢٪ من مجموع السود في الجنوب (عدد السود في ولايات الجنوب هو ١٠ ملايين) يعيشون في المدن .

ان النهضة الصناعية في الجنوب اصبحت ممكنة بفضل وفرة المياه والموارد

الطبيعية التي لاتنضب . ويمكن القول ان المنطقة الممتدة بين (نيو اورليانز) و (باتون روج) تشبه منطقة الرور الالمانية (مصانع الكيمياء والتعدين والتكرير) . ولكن هذه النهضة لم تسهم في تحسين حال السود . فللعمل في المصانع لايزال الرجل الابيض القادم من المزارع الصغيرة هو المفضل . ومن ناحية اخرى فإن السود القلائل جداً الذين يملكون ارضاً زراعية يفتقرون الى رؤوس الاموال لتحويل مزارعهم الصغيرة الى مزارع لتربية الحيوانات . ونتيجة لذلك يهاجر السود بأعداد كبيرة الى مراكز المدن في الجنوب ، ومنها الى مدن الشمال الصناعية . ومنذ الحرب العالمية الثانية عجل نمو الانتاج الامريكي في احداث هذه التحولات لدى السود ، وساعد في الوقت ذاته على تخفيف البؤس لدى فئات كبيرة منهم . وتشير البيانات الاخيرة الى ان السود موزعون اليوم توزيعاً متساوياً تقريباً بين ولايات الجنوب وولايات الشمال (عدد السود في الولايات المتحدة حتى سنة ١٩٧٠ بلغ حوالي ٢١ مليوناً) ، وان نسبة الذين يعيشون في المدن منهم قد انتقلت في الخمسين سنة الماضية من ٢٧٪ الى ٧٣٪ ، وان نسبة المتعلمين قد ارتفعت كثيراً عن ذي قبل . كما ان نسبة الولادات عند السود تزيد بحوالي ٤٠٪ عن نسبتها عند البيض . ويقدر بعض الاجتماعيين ان يبلغ عدد السود الذين يعيشون في المدن هذه السنة حوالي ٢٠ مليوناً ، وأن سبع مدن من بين المدن العشرة الكبرى في الولايات المتحدة ستكون اكثرية السكان فيها من السود في الفترة بين ١٩٨٠ — ١٩٩٠ .

رغم ذلك يمكن القول إن هذه الجماعات السوداء مازالت مكبوتة مقهورة رغم التحولات الاقتصادية التي اصابتها وجعلت فئة منها تتحول الى طبقة اجتماعية متوسطة . إن السود مازالوا معتبرين سوداً لدى البيض الامريكيين ، ويلاحظ أن نسبة

واحد بالمائة فقط من السكان السود في ولايات الجنوب يمارسون اعمالا مصرفية وتجارية ، وان هذه النسبة الضئيلة معذلك لاتستطيع أن تمارس الا نشاطاً اقتصادياً هامشياً . ويلاحظ في الشمال أن التجار ورجال الأعمال السود ينشطون في قطاع اقتصادي ضيق ، فنشاطهم مقتصر على بعض المصارف الصغيرة ، وبعض مؤسسات التوفير وشركات الضمان البسيطة ، وقليل من صناعات مستحضرات التجميل ، والمطاعم ، وبعض قطاعات تجارة المفرق . ان افتقارهم الى رؤوس الاموال الكبيرة يقيد نشاطهم ويحول بينهم وبين المشاريع الضخمة . ولأن هذه الفئة من السود تتمتع بقسط من الرخاء فهي تخشى سياسة الدمج ، لأن الدمج يهدد مصالحها الصغيرة ، وهي تتمنى أن تتدخل الدولة في السياسة الاقتصادية الكبرى التي قد تؤدي الى زيادة نسبة أفراد الطبقة المتوسطة من بين جماعات السو ، وانكماش حركات التطرف والعنف لدى الأكثرية العظمى .

ان هذا الواقع قد أدى الى قيام هوة بين الطبقة المتوسطة السوداء وبين طبقات الكادحين وما تحت الكادحين . ذلك أن الاكثرية العظمى من السود مازالوا في مستوى اقل من مستوى البروليتاريا . أما الطبقة المتوسطة منهم فهي تخون تقريباً نضال الكادحين ، إذ انها تسير في طريق الاقتداء بالطبقة المتوسطة البيضاء .

إن حوالي ١٠ ٪ من السود يشكلون هذه الطبقة المتوسطة التي يتراوح دخل الفرد السنوي فيما من ٤٠٠٠ — ٦٠٠٠ دولار . ويتألف أفراد هذه الطبقة من العمال الاختصاصين ورؤساء الورشات ، والفنين الاختصاصين ، واصحاب المتاجر الصغيرة . وطبيعي أن يكون سلوك هذه الطبقة محافظاً . غير ان فريقاً

منها يهدده اليوم التطور التكنولوجي الحديث الذي قد يؤدي بهذا الفريق الى التردي والعودة الى مستوى الكادحين .

إن طبقة العمال السود تشهد اليوم زيادة كبيرة في افرادها . وإذ هي خاضعة للتمييز العنصري ، فان اكثر العمال السود محرومون من الاعداد المهني ومن التخصص التقني . واصبحت هذه الطبقة العمالية السوداء تشكل احتياطياً ضخماً لأداء الأعمال المؤهلة التي لا تتطلب تخصصاً او اعداداً وهي ذات أجر بخس . ان مستقبل هذه الطبقة يدعو الى القلق . ففي الشمال تبلغ نسبة العمال السود غير المؤهلين وغير المتخصصين تسعة اعشار مجموع العمال . وهناك بعض الخدمات غير المؤهلة التي يمارس السود أعمالها (كالحارس ، وعامل المصعد الكهربائي ، وخادم المنزل ، والحمال ، والحلاق ، وخادم اسطبلات الخيول) آخذة في التناقص والاختفاء ، فقد تطورت هذه الأعمال في نيويورك وحدها خلال السنوات العشر الأخيرة من ٣٥٠٠٠ عمل الى ١٠٠٠٠ عمل فقط .

على أن مشكلة التخصص تظل هي المشكلة الأولى بالنسبة للسود . إن نسبة ٢ ٪ فقط من العمال الاختصاصيين الامريكيين هم من الملونين . وتعطى دروس التخصص من قبل لجان مشتركة من النقابات وارباب العمل ، غير ان عدداً كبيراً من النقابات مازالت تمارس التمييز ، فلا تنظم دروساً في الاختصاص ، وبذلك يظل السود محرومين من الاعمال الاختصاصية . ان نسبة العمال السود الاختصاصيين في النقابات الحالية لاتتجاوز ٥،٠ ٪ من مجموع النقابيين . وقد وضعت وزارة العمل الامريكية خطة ترمي الى إحداث حوالي /٥/ ملايين عمل كل سنة لتتمكن من تخفيض نسبة البطالة المتزايدة . ومن هذا العدد من الاعمال لحظت الخطة تأمين الاختصاص لحوالي نصف مليون عامل فقط خلال ثلاث سنوات ، اي ان القسم الاعظم من هذه الاعمال هي اعمال غير اختصاصية ،

ومؤقتة . ونتيجة لذلك هبطت نسبة العمال السود المتخصصين ، اذ انتقلت في الفترة (١٩٤٤ — ١٩٦٤) من ٢٢ ٪ الى ١٠ ٪ ، علماً بأن اجر العامل الاسود المتخصص مازال في معظم الاحوال ادنى من اجر الابيض.

مستقبل السود

بفضل نظام الاتمتة (أي قيام الآلات بالعمل والانتاج من تلقاء ذاتها دون حاجة الى عمال يراقبون ويضبطون حركاتها) يشهد المجتمع الامريكي المعاصر تحولات كبيرة وعميقة . فأساليب العمل الآلي الجديدة تزيد في اضطراب حال السود ، لأن عدد العاطلين عن العمل يتزايد من سنة لأخرى ، ونسبة السود من بين هؤلاء مرتفعة جداً ، بل انها تبلغ خمسة اضعاف نسبة البيض . ان نسبة الذين لاعمل لهم اليوم من السود الشبان الذين تقل اعمارهم عن عشرين سنة هي ٣١ ٪ عند الذكور و ٤٦ ٪ عند الاناث . وفي سنة ١٩٦٥ نشرت لجنة وزارية امريكية (مؤلفة من وزارات الصحة والتربية والشؤون الاجتماعية) بياناً احصائياً مفاده ان ثمة عدداً من العائلات الامريكية تعيش في بؤس حقيقي ، وان عدد هذه العائلات هو سبعة ملايين عائلة (تضم حوالي ٣٠ مليون امريكي) ، وان عدد العائلات الزنجية منها هو حوالي مليونين ونصف المليون . ان هذه العائلات تعيش دون الحد الادنى المعاشي بكثير . وتشير إحصاءات احد المكاتب الفدرالية (Office of - Economic opportunity)إلى ان نسبة المعوزين من السود تبلغ الآن حوالي ٣٥ ٪ من مجموع الزنوج الامريكيين .

إن التحولات التقنية الأمريكية تستتبع تحولات في التعليم المهني - لأنها تتطلب مزيداً من التأهيل ، اصبح بالتالي محرماً على السود - وتؤدي ايضاً الى

تناقص الاعمال غير الاختصاصية . وقد اشار الى ذلك القائد النقابي الزنجي راستن B. Rustin : « ليس السود وحدهم ضحايا هذا التطور . فقد انخفض عدد الاعمال غير الاختصاصية او شبه الاختصاصية الى حوالي ٥٠ ٪ بالقياس الى عدد العمال الذين لم يتموا دراستهم الثانوية. ثم إن حوالي ثلث الشبان الذين سيطلبون عملا خلال السنوات السبعينات سيكونون محرومين من اية شهادة . ان نسبة السود الذين لايحملون شهادة هي ٥٧٪ على الصعيد القومي ، وهي في الوقت ذاته ٦٨ ٪ في مدينة نيويورك . هؤلاء الشبان جميعهم لا مستقبل لهم » .

ولأن التخصص سيزداد في الصناعات ، فان ثمة بعض الفروع الصناعية التقليدية ستزول ، مقابل زيادة ونمو في المستوى التقني الاختصاصي. وقد ابانت الاحصاءات ان نيويورك قد احتاجت خلال السنوات الستينات (١٩٦٠-١٩٧٠) الى احداث ١١٠٠٠٠ عمل في المهن الحرة والتقنية ، والى احداث اكثر من ٢٠٠٠٠ عمل في المهن الاختصاصية ، وحوالي ١٥٠٠٠٠ في قطاع الخدمات ، ولكنها استغنت في الفترة ذاتها عن اكثر من (٧٠٠٠٠) عمل من الاعمال نصف الاختصاصية أو غير الاختصاصية . وقد قال ليندن جونسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق في احدى خطبه : «ان ٨ ملايين من الامريكيين لم يكملوا خمس سنوات في المدرسة ، كما ان هناك ٥٤ مليوناً من الامريكيين لايحملون شهادة الدراسة الثانوية ». ونسبة السود من هؤلاء كبيرة جداً ، تتجاوز ٩٠ ٪ . فقد زادت التحولات التقنية الأخيرة في الصناعة من ازمة العمال السود . ذلك ان اعادة تأهيل العمال البيض تتم بصورة طبيعية ، بينما يظل العمال السود « آخر من يُقبلون في العمل ، واول من يُفصلون من العمل » .

وفي مرحلة التحولات هذه يقدم العامل الأسود صورة صارخة للتناقضات

التي يضج بها المجتمع الاميركي ، فهو محروم من اي مستقبل مضمون ، ووجوده في الوقت ذاته بهذا الشكل يفرض ازالة البنى القائمة وانشاء بنى اجتماعية وسياسية جديدة. ان نظام الانتاج عندنا غير جدير بالبقاء، فقد كانت الخيرات حتى الآن توزع على الناس مقابل جهدهم المنتج. بيد أن الأتمتة تفسح المجال لانتاج غير محدود مقابل كمية قليلة من العمل البشري . فإذا استمر المنطق القائم على ربط حق الكسب بانجاز العمل ، أدى ذلك الى إفقار نسبة كبيرة من السكان . ذلك أن المشكلة الأساسية ليست في أن ننتج أكثر فأكثر ، بل هي في أن نوزع المنتجات . . يجب أن تتبدل مفاهيمنا ومؤسساتنا تبدلاً جذرياً . إذ يجب على المجتمع أن يصون لكل فرد ولكل أسرة الحق في الحصول على دخل مناسب . تلك هي الوسيلة الوحيدة التي تتيح لربع أبناء المجتمع (وهم الفئة المحرومة) من الاندماج مع سائر المجتمع الاستهلاكي . وستكون تلك هي الخطوة الأولى التي تفرضها الأتمتة على قلب وتبديل سلم القيم في المجتمع » .

بذلك تسفر العنصرية عن مرتكزاتها وأسسها الرأسمالية في النموذج الأمريكي ، وفي نماذج أخرى عديدة من عالمنا الحديث .

نضال السود السياسي :

ان النظام الذي شرّع سنة ١٨٧٦ مازال قائماً حتى اليوم . غير أن المحكمة العليا الأميركية والكونغرس ورئاسة الجمهورية قد أصدرت منذ ١٩٦٥ بعض النصوص التي تحضّ على ازالة التمييز العنصري . وفي الوقت ذاته بيّن الرئيس السابق جونسون (بيان ٦ حزيران – يونيو ١٩٦٥). أن الأسلوب الحقوقي

لايكفي وحده لوضع حدّ « لفترة الظلم الاجتماعي الطويلة » التي فُرضت على السود ، ولا لإزالة « الأذى الذي تلحقه الأمة الأمريكية بنفسها بسبب هذا الظلم » .

وما دامت الأسس الاقتصادية للحرية السياسية لم تقم بعد في الولايات المتحدة ، فإن أيّ تشريع حقوقي يظلّ ناقصاً مؤقت الجدوى . فالتفاوت في الوضع الاقتصادي للجماعة السوداء بالقياس الى الجماعة البيضاء في الولايات المتحدة هو سبب للتفاوت السياسي ، ولحرمان السود من ممارسة حقوقهم المدنية كاملة . ثم أن تفتح الانسان ، دون تمييز في اللون والطبقة ، لايمكن أن يتم إلا بعد التحولات التكنولوجية الجادية ، بشرط أن تؤول السلطة السياسية الى القوى التقدمية في الولايات المتحدة .

ان الاضطهاد العنصري قد ولّد مايسمى « بالحركة » ، أي مسيرة الزنوج في طريق التحرر . ان هذه المسيرة التي بدأت في القرن التاسع عشر تضم الزنوج الرقيق والمتمردين الذين قاوموا عهد تجارة الرقيق الأسود ، وكذلك أعضاء حركة الاتفاق Convention Movment من سنة ١٨٣٠ ، والسود الذين كانوا يعملون في جيش الشمال ، وجميع الذين ناهضوا قوانين « جيم كراو » ، ومن جاء بعدهم من أحفادهم الذين انتظموا في هيئات وجامعات ومنظمات نضالية ، وهي مازالت تهبّ أحياناً وتخبو حيناً : « لن نكون راضين مادمنا لم نحصل على جميع حقوق الانسان بكامل مضمونها . وحتى ننال جميع الحقوق المدنية والاجتماعية ، فلن ننفك عن الاحتجاج والمقاومة وقرع آذان أمريكا بسرد الأعمال المخجلة المهينة التي ارتكبتها تجاهنا ... اننا نطالب بحق التصويت .. ونريد تحقيقه الآن .. ثم اننا نريد ازالة التمييز العنصري في الأماكن العامة . ونطالب ثالثاً بحق الزواج ممن يرغب في الزواج منا ، ونطلب

رابعاً أن تطبق القوانين على الأغنياء مثلما هي مطبقة على الفقراء ، وعلى الرأسماليين مثلما هي مطبقة على العمال . ونريد خامساً ، أن يتلقى أولادنا تربيـة وتعليماً لائقين » .

لقد سلك الأمريكيون البيض ازاء المواطنين السود سلوكاً استهدف بالدرجة الاولى جعل السود يكرهون أنفسهم ويكرهون سواد بشرتهم وزنوجتهم . وكان سلوك البيض وما يزال رفض دمج السود في مجتمع البيض .

حقاً إن التحزر الاجتماعي والتحزر العنصري قد اتخذا في الشمال اتجاهين مختلفين . فمنذ ١٨٦٦ تصدّى اتحاد العمال الوطني بصورة واضحة لموضوع العمال السود ووجوب مساواتهم بالعمال البيض ، بل ان أحد هؤلاء العمال السود قد أوفد آنذاك الى حضور الندوة الأممية الأولى بباريس . ولكنّ مالبث الحزب الجمهوري ونزعة الأكثرية البيضاء العنصرية أن خنقا التحالف الذي نشأ بين العمال السود والعمال البيض . ومنذ ذلك الوقت أخذ العمال السود يتخبطون في اكتشاف أنجع الوسائل لبلوغ ما يشتهون ، دون أن يصلوا الى نتيجة حاسمة .

ما العمل ؟ وكيف العمل ؟ تلك كانت ولا تزال هي المشكلة الأولى التي تواجهها منظمات السود في الولايات المتحدة الأمريكية ، بل يواجهها كل زنجي أمريكي . ان ثمة قاسماً مشتركاً بينهم كلهم يتألف من مشاعر الألم والأمل ، والحقد ، والصبر ، والغضب ، التي تسهم في تكوين شخصية الانسان المضطهَد ، مثلما تسهم في تكوين سلوكه العنيف ازاء الانسان المضطهِد . ان هذا الشعور الديالكتيكي لدى الانسان الأسود قد قاده الى التمرد ، وقد يقوده في مستقبل قريب الى الثورة المنظمة ، وهو بالتالي قد أنهى عهد المتمردين والمعتدلين والحياديين من السود .

وما من شك في أن حركات التحرر السوداء التي قامت بها شعوب أفريقيا ساعدت كثيراً على اذكاء النضال لدى زنوج الولايات المتحدة . وقد كان مؤتمر باندونغ (سنة ١٩٥٥) شعلة كبيرة أضاءت طريق التحرر أمام الشعوب المضطهدة . يقول مالكولم اكس : « ان الدمج هو من اختراع الليبراليين من أهل الشمال . ان الدمج خديعة ، انه ستار من الدخان ينشره ثعالب الشمال ليشوشوا بواسطته التطلعات الحقيقية للأمريكي الأسود » . معنى ذلك أن فكرة الدمج التي ينادي بها بعض الأمريكيين السود انما هي خطة شيطانية ترمي الى تجريد الزنجي الامريكي من سلاحه الحقيقي ومن خوض المعركة الأساسية . ثم انها خطة ترمي الى بعثرة القوى واضعافها ، وتحويل القضية الى « اضبارة رسمية » ، يمكن حلها بوسائل سلمية ، وبطرق غير طرق العنف ، واماتة القوة النضالية لدى الكثرة الساحقة ، والرد على عنف العنصريين باللاعنف الأسود . لذا فإن الدعوة السلمية الى « الدمج » قد فشلت ازاء ضغط القواعد الزنجية ، وبالمقابل فان « الحركة » قد تولت قيادتها عناصر طرحت شعار « سلطة السود Black Power » .

منظمات الحقوق المدنية

في سنة ١٩٦٣ نشأت هيأة ضمت في داخلها عدداً من المنظمات المطالبة بالدمج . وكانت تساعدها بعض جماعات البيض الذين كانوا يفضلون بقاء المطالبة بالدمج في إطار اللاعنف ، ويشجعون على اللاعنف باعتباره شكلا يختلف عن اللا مقاومة . ولكن اللاعنف قد يفيد في مجتمعات ، اكثريتها هي المضطهدة من الاقلية ، لا العكس . على اية حال كان يدعم هذا المنطق السود المنتسبون الى الطبقة المتوسطة ، وكانوا يتصورون ان اتساع الشعور لدى البيض بالمشكلة السوداء

سيؤدي الى إيجاد حل سلمي لهذه . وفشلت النظرة ، وهجر المتطرفون من السود هذا التفكير مثلما هجروا المنظمة وتبنوا شعار « سلطة السود » .

وفي أثناء ذلك قامت منظمات اخرى تضم بعض السود والبيض معاً . ويؤخذ عليها أنها تضم السود من الطبقة المتوسطة الذين يرغبون في الدمج بالبورجوازية البيضاء ، ويعالجون الأمور بنوع من منطق المصلحة القائم على الانتماء الطبقي . وهذه هي « حركة نياغارا » التي رأسها بورغارت دوبوا منذ سنة ١٩٠٩ . وهناك العديد من الحركات المماثلة لها ، يتجه نشاطها الى إلغاء التمييز العنصري ، والمطالبة بتقديم خدمات للسود في التعليم مماثلة للخدمات المقدمة للبيض ، وقبول السود في التصويت ، وتطبيق المادتين ١٤ و١٥ من الدستور الامريكي على السود في المستويين الحقوقي والدستوري .

وخلال السنوات الخمسينات اتضح للسود امران : اولا ان قوتهم الحقيقية ليست موجودة عند فئاتهم البورجوازية ، بل عند جماهيرهم ؛ ثانيا ان اسلوب الدفاع او المقاومة الفردية الذي تنادي به منظمات اللاعنف قد فات اوانه وينبغي ابداله بالتمرد الجماهيري . ونتج عن ذلك ان بدأت مرحلة جديدة سنة ١٩٥٥ شهدت قيام منظمات جديدة تطالب بالدمج ، رافقتها ثورة الطلاب التي بدأت سنة ١٩٦٠ ، ثم تعبئة جماهير السود سنة ١٩٦٢ . وفي الوقت نفسه كانت هناك بعض المنظمات الدينية السوداء التي التفت حول مارتن لوثر كنج . وكان شعارها المطالبة بالدمج عن غير طريق العنف ، وباحترام المبادىء المسيحية . وقد نظمت عدة تظاهرات ولقاءات جماهيرية للسود ، بيد انها لم تتمكن من إقامة أية بنية لتنظيماتها ؛ وكانت تعتمد على العفوية والاحتجاج المشروع ، دون ان تلاحظ ان الاحتجاج السلمي يزيد في شراسة العنصريين البيض واستهتارهم بالسود . والواقع ان ضعف هذه

المنظمات السوداء يرتد بالدرجة الاولى الى وجود قيادات بورجوازية على رأسها ، همها ان تحافظ على مصالحها الصغيرة وان تقنع بالحسنى مجتمع البيض كي يقبلها .

وحين رأى مارتن لوثر كنغ في أواخر أيامه فشل هذا الاسلوب من العمل ، اقترب اكثر فأكثر من الزعماء المتطرفين ، واراد ان يعتمد اكثر فأكثر على البروليتاريا السوداء ، دون ان يتخلى عن شعار اللاعنف . ويمكن القول ان اغتيال هذا القسيس كان نهاية لسياسة اللاعنف – رغم بقاء بعض المنظمات التي ماتزال تعمل في منطقه – وترسيخاً للحركة السوداء تحت شعار « سلطة السود » .

سلطة السود :

قامت هذه الحركة لمواجهة تقلب موقف العنصريين البيض من مطالب السود . وكان على الحركة ان تواجه استنكار البيض الليبراليين (الذين يشجعون حركات اللاعنف) والسود المعتدلين البورجوازيين . والواقع ان قيام هذه الحركة هو دليل على فشل سياسة الدمج التي تزعمها البورجوازيون السود . وقد اسهمت منظمتان كبيرتان اسهاماً حاسماً في ترسيخ شعبية حركة « سلطة السود » ، والمنظمتان هما « مؤتمر المساواة العنصرية Congress on Racial Equality » و « لجنة التنسيق للاعنف لدى الطلبة Student Non Violent Coordinating Committee » . أما الحركة الاولى فقد نشأت سنة ١٩٤٢ في جامعة شيكاغو ، أنشأها جيمس فارمر ، وكان نشاطها في البدء محدوداً في ولايات الشمال والغرب وولايات الحدود ، كما كانت مطالبها متجهة اول الامر الى مكافحة التمييز في النطاقين المهني والمدرسي . ثم انتشر نشاطها في الجنوب بدءاً من سنة ١٩٦٠ ، إذ أقامت فيه عدة منظمات واتحادات ، بدأت بالدعوة عن طريق اللاعنف وانتهت

الى رفع شعار « سلطة السود » . ان شعار الحركة هو « تعبئة جماعات السود لتقوم بجهد عملاق يرمي الى تقويض الاستلاب ، والكبت واليأس وفقدان الاعتبار ، من جذورها وقواعدها . انها وسيلة لدفع السود الامريكيين نحو ايجاد حل ، ووسيلة لاقامة مشاعر الاخوة ، انها لا تدعو الى تفوق العنصر الاسود ، بل هي صوت السود العاكس لافتخارهم بأصلهم وبتقاليدهم في مجتمع غير متجانس . انها حركة ترمي الى الاعتراف بالزنوجة حقيقة واقعة » .

أما الحركة الثانية فقد نشأت في ولاية جورجيا سنة ١٩٦٠ . بدأت نشاطها بالاعلام والاحتجاج ، ثم ما لبثت إن انصرفت الى « مساعدة ملايين السود المذلين ، المحرومين من حق التصويت ، الذين يستغلهم الجنوب أسوأ استغلال . » . نظمت سنة ١٩٦١ حركات عصيان في الجنوب ، واخذت تعمل على تكوين قيادات في الجنوب ذات طابع شعبي جماهيري حقيقي ، بعيدة عن الوجهاء السود التقليديين . وحين رفع زعيم الحركة ، ستوكلي كارمايكل ، شعار « سلطة السود » ظل الشعار رمزياً نظرياً بعض الشيء ، ولكنه أضاف اليه فكرة « الرفض الجذري لنظام البيض ولمفهومهم عن السود المندمجين او بالاحرى السود المنحلين » . انه يطالب السود بالسلطة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية حيثما كان السود هم الاكثرية : « ينبغي علينا ان ننظم صفوفنا . اننا جائعون لأننا سود . ان مشاعر الوصاية والشفقة نحو السود تفسد هويتهم وقواهم الحية وتضعف قدرتهم النضالية . ان القوانين المدنية لم تعد كافية . » ومعنى ذلك ان السود مستعدون لممارسة الدفاع عن انفسهم واتباع العنف وسلوك سبيـــل تمزيق النظام القائم ، تمهيداً لاستلام السلطة بأنفسهم .

وقد انتشرت هذه الحركة وما تزال بصورة سريعة وناجحة . وقد كان

لنجاحها في الشمال ـ اذ انضمت اليها منظمات عديدة كانت تنشط في نطاق اللاعنف ـ ذوي واثر كبير في الجنوب .

ان القسم الاكبر من اعضائها هم الشباب والطلاب السود . وقد تمكنت الحركة من التبشير بأن ثمة علاقة بين المشكلات الداخليـــة للولايات المتحدة ، ومشكلات العالم الثالث ، كما تمكنت من الكشف عن وجود علاقة بين التميز العنصري الذي يمارسه المجتمع الامريكي وبين حرب فيتنام . وهكذا اتجهت الحركة الى مزيد من الاهتمام بالموضوعات السياسية ، وتجاوزت نطاقها الاصيل الذي كان قائماً على مناهضة العنصرية والعمل على ازالتها ؛ واصبح نشاطها اليوم متجهاً الى مكافحة الفقر ، والى تغيير رجال السياسة السود التقليديين ، واحلال ممثلي القواعد الجماهيرية والكادحة محلهم ، ومكافحة بنية وأطر سلطة البيض ، والى اقامة حركة مشتركة للسود والبيض تناضل تحت شعارات تقدمية تحررية . ومن اجل ذلك كان لابد للحركة من ان تخوض معارك ضارية لا ضد العنصرية البيضاء وحسب ، بل وضد الحركات السوداء الاخرى ، النقابية والاجتماعية ، القائمة على اللاعنف او على حماية المصالح الصغيرة للبورجوازية السوداء .

نضال على جبهتين ، ما زالت تخوضه حركة « سلطة السود » : الجبهـــة الداخلية في احضان الجماعات السوداء غير المنظمة ـ والجبهة الخارجيـــة ، لاتنظيم الحملة على التميز العنصري وحسب ، بل على النظام الاجتماعي الامريكي كله . بذلك تجاوزت الحركة الابعاد الاولى التي انشئت من اجلها . يقول كارل مايكل في حديث له في بورتوريكو : « ان مفهوم سلطة السود يتطلب منا ان نتحرر من البنى العرقية المضطهدة التي تمارسها سلطة البيض . وهذا يفرض علينا ان نتمكن من الاشراف على جماعاتنا الافريقية ـ الامريكية ، وان نتمكن من ادارة شؤوننا

بأنفسنا ، وأن يكون لنا حق التقرير في الشؤون الخاصة بالسياسة والاقتصاد .. اننا نعمل بالتالي على تبديل موازين القوة في العالم . ان على المستغلين اليوم أن يقولوا كلمتهم، لهذا السبب نحن نرفض الانضمام الى الجيش الامريكي لمحاربة الشعب الفيتنامي . ان الجيش الامريكي يستغل جماهير الافرو - امريكيين . انه يستخدمها لمكافحة اخوتنا . يقول لنا الجيش الامريكي اننا ذاهبون للدفاع عن (الديمقراطية) ونحن نعرف كذب هذا القول . لذا فاننا نعارض بضراوة تجنيد الشبان المضطهدين، من أية جنسية كانوا . واذا كان علينا ان نحارب ، فسوف نحارب ، في سبيل بلادنا ، في سبيل تحرير شعبنا » .

لقد أفاد زعماء الحركة من نضال شعوب العالم الثالث ومفكريه . وقد أثرت كتابات فرانز فانون تأثيراً كبيراً عليهم . وكما قلنا اتسع نضال الحركة بحيث لم يعد مقتصراً على موضوعات عنصرية بالمعنى الضيق للكلمة ، بل متجهاً الى المشاركة في حركة التحرر العالمية ، على نطاق امريكي . وربما كانت حركة « سلطة السود » هي الحركة الوحيدة في الولايات المتحدة الامريكية التي ادركت بأن جذور التمييز العنصري لاتكمن في فقدان التشريعات المنادية بالمساواة ، بل تكمن في البنية الرأسمالية للنظام الامريكي ، لأن العنصرية هي نتيجة حتمية للرأسمالية القائمة على مستغِل ومستغَل .

يقول كارمايكل : « لقد بدأ السود يستعملون الكلمات التي يريدون هم استعمالها، لا الكلمات التي يرغب البيض في سماعها منهم . ان هذا هو ما سيفعلونه، مهما تحاول الصحافة لايقاف هـذا الشعار والادعاء بأنه مرادف للنشاط الانفصالي والعنصري ... ان سلطة السود يمكن تعريفها بسهولة لاولئك البيض

الذين لايتخوفون من طرح هذه الموضوعات على انفسهم . لنبدأ بالمشكلة الاساسية. وهي أن للسود الامريكيين مشكلة مزدوجة : فهم فقراء ، وهم سود . ان جميع المشكلات الاخرى ناشئة من هذه الحقيقة : فقدان التعليم والزعم بأن السود بليدون . ان اي برنامج ينزع الى ازالة العنصرية، يجب ان ينطلق من هذه الحقيقة المزدوجة .

« ولقد حاولت حركة «سلطة السود» منذ البدء أن تعني بهذين الموضوعين، فوضعت برنامجاً يرمي الى حصول السود الجنوبيين الفقراء على السلطة السياسية . كان علينا أن نبدأ بالموضوع السياسي لأن السود الامريكيين محرومون من أية ملكية في بلد تمثل الملكية فيه المقام الاول . كان علينا ان نبحث عن السلطة لأن الأخلاق والمحبة ، واللاعنف ، ليست هي التي تحرك هذا البلد ، بل السلطة ...

« إن سلطة السود معناها ، في ولاية ألاباما ، أنه اذا كان احد السود هو الشريف ، استطاع أن يضع حداً لفظاظة البوليس . واذا تم انتخاب أحد السود حاكماً للولاية ، تمكن من جمع اموال لانشاء طرق ومدارس أفضل للسود ، ليتيح بذلك الانتقال من السلطة السياسية الى المجال الاقتصادي . إن السود في مناطق ولاية ألاباما هم الاكثرية ، وسيحاولون حينذاك أن يفيدوا من السلطة ليمارسوا الاشراف بأنفسهم . ان مايبحثون عنه هو هذا الاشراف . وحينما يكون السود أقلية ، فإن « سلطة السود » تعني تمثيلا كاملا واشرافاً جزئياً . فالمطلوب إذن هو انشاء مرتكزات تكون للسود فيها السلطة، ومن هذه المرتكزات يتمكنون من العمل على تبديل نظام الاضطهاد ، في نطاقه المحلي والقومي ، وهم في موقع القوة لا موقع الضعف . أما مفهوم « سلطة السود » على الصعيد السياسي ، فيعني : اتحاد السود لكي ينتخبوا ممثلين عنهم ، ويرغموا هؤلاء الممثلين على ان يستجيبوا لمطالبهم.

ليست القضية إذن ان نكتفي بتنصيب أشخاص سود الوجوه . إذ ليس مؤكداً أن أي أسود ، رجل او امرأة ، آتٍ من الكوخ ، يستطيع ان يتحدث استناداً الى حاجات السود. ان اكثر السياسيين السود الذين نراهم اليوم في البلاد لا يناسبون ابداً ما نسميه نحن بمفهوم « سلطة السود ». ان السلطة ينبغي أن تكون سلطة الجماعة مثلما ينبغي أن تصدر عنها ... »

وينهي كارمايكل مقاله بالتركيز على الأساس الرأسمالي للتمييز العنصري في الولايات المتحدة ، فيقول : « ان فكرة الدمج تعالج مشكلة السود معالجة مهينة . فأهدافها تستند الى قبول فكرة أنه لكي يكون للسود بيت لائق وتعليم لائق ، يترتب عليهم ان يسكنوا في احد احياء البيض ، وان يبعثوا اولادهم الى احدى مدارس البيض. ان هذا المفهوم يرسّخ لدى السود والبيض معاً الفكرة الزاعمة ان « الابيض » هو بالبداهة الأحسن وان « الأسود » هو بالبداهة « الأدنى » . ليس معنى ذلك اننا نرفض اية مساعدة واية صداقة، انما نطالب بحقنا في ان نختار نحن اصدقاءنا ، أياً كان هؤلاء الأصدقاء . لقد كان الأسود حتى اليوم هو الانسان الوحيد الذي يستطيع اي انسان ان يقول عنه انه صديق له . نعم ، كنا رموزاً، كنا أشياء. لقد كنت أنا كذلك بالنسبة لكثيرين من الشبان البيض، حين كنت في المدرسة ، لأنهم كانوا يريدون أن يكون لهم « صديق اسود » . نريد بعد اليوم أن نقرر نحن من هو صديقنا ، وأن نرفض كل من يأتي الينا ويقول : « إذا فعلتم كذا و كيت ، ساعدنا كم » . أما البيض ، فقد يكون ممكناً أن يتوقفوا عن التنديد « بسيادة السود » وبالقومية السوداء ، وبالعنصرية المعكوسة ، وقد يكون ممكناً ان يبدأوا برؤية الواقع كما هو . والواقع هو أن هذه البلاد عنصرية، كلياً وبصورة مطلقة ، وان هذه العنصرية ليست مشكلة علاقات انسانية بالدرجة

الاولى ، بل مشكلة استغلال يمارسه مجتمع باكمله ، بصورة فعلية او بصورة تلقائية ».

ويلح زعيم آخر من زعماء حركة « سلطة السود » هو راب براون Rap Brown على هذه النقطة بالذات ليبيّن العنصر الرأسمالي الذي يثوي وراء العنصرية الامريكية . يقول براون :

« اذا كان لابد من الحديث عن إقامة تحالف مع ما يسمى باليسار الجديد ، فان الاتفاق على هذا التحالف سيكون مقرراً من قبلنا نحن . لقد قال احد السفراء الافريقيين، وقوله حق ، ان على المحرومين ألا يقبلوا أبداً بمشاركة غيرهم في قيادة الحركة التي يرتبط بها مصيرهم . إن عليهم وحدهم أن يكونوا مشرفين ، وليس يمكن القول ان اليسار الجديد قد انبثق من المحرومين . فنحن إذن نقرر صلاح التحالف الذي نريد اقامته . ونحن بالطبع مستعدون كلياً للتعاون مع اية جماعة تقبل بمساعدتنا على بلوغ أهدافنا . ان الامريكيين يتندرون بالقول إن حركتنا هي تنظيم مناوىء للبيض . هذا القول خطأ كله . فنحن نقف في وجه جميع اولئك الذين يناهضون السود . ومعنى ذلك أننا قد نضطر الى ان نقف في وجه بعض السود مثلما نقف في وجه بعض البيض . اننا حرب على العنصرية ، ننطلق من مبدأ معاداة كل من يظهر مشاعر مناوئة للسود ، ومعاداة أي عنصري كان » .

« اننا لانستطيع ان نتحدث بلغة الطبقية عن بلد عنصري . فمعركتنا اصبحت واضحة ، وهي النضال ضد امريكا البيضاء العنصرية ، لأنها هي التي تضطهدنا . هذا واضح جداً بالنسبة لجماعات السود . .

« ان ماركس لم يواجه ابداً العنصرية التي نعاني نحن منها . ان عندنا في هذا البلد طبقتين من العمال ، العمال البيض والعمال السود . طبقتان من البروليتاريا

لايمكن أن تتحدا ولا ان تتعاونا ، لان البروليتاريا البيضاء هي عنصرية مثل البورجوازية الصغيرة والكبيرة لدى البيض . ان البروليتاريا البيضاء قد انطلقت دوماً من منطق البيض الذي يمنحها مزايا خاصة . ان اي تحالف مع جماعة بيضاء ، وأي اتفاق معها ، هو أمر مستحيل التحقيق لأن السود لم يبلغوا بعد الدرجة التي يستطيعون ان يحاوروا فيها وهم في موقف قوي . وحين نبلغ هذه الدرجة وتكون جماعاتنا قد انتظمت ، نستطيع آنذاك ان نعقد أحلافاً » .

★ ★ ★

واليوم ، في هذه السنوات السبعينات ، تتحرك جماعات السود في الولايات المتحدة بطرق ووسائل اكثر دقة وتنظيماً ، ويمكن القول ان قطيعتها مع مجتمع البيض قد اصبحت نهائية منذ ١٩٦٦ ، باعتبار ان البيض يمثلون الاضطهاد والعنصرية ، والتمييز الاقتصادي .

وتشير جميع الدلائل الى ان الحركة غير قابلة للتوقف ، بله العودة الى الوراء . ان الاكثرية الساحقة من السود اصبحوا مقتنعين بأن السبيل الوحيد امامهم هو تقويض سلطة البيض الذين يضطهدونهم ، رغم ان اقلية من السود فقط يجعلون من هذه الحركة حركة سياسية ، ورغم ان فئة واعية منهم توحّد نضالها بالنضال من اجل احداث تغيير ثوري في المجتمع الامريكي : مجتمع السود ، ومجتمع البيض ، على حد سواء .

نموذج آخر للتمييز العنصري

الاستعمار الاستيطاني في جنوب أفريقيا

جورج جبور

آ ــ تمهيد في مكان هذا البحث ومخططه :

تمثل جمهورية جنوب افريقيا ، منذ عقد ، الدولة الاكثر انعزالاً دولياً في العالم على الرغم من انها لاتزال عضواً رسمياً في المجتمع الدولي ممثلا بمنظمة الامم المتحدة وعائلتها ، اذ انها لم تطرد حتى الآن الا من قبل عدد محدود من المنظمات المختصة ، بينما قاطعت هي منظمات اخرى . اما الدولة التي تليها في العزلة الدولية فهي ، لاشك البرتغال ، وتليها اسرائيل . ولم نذكر جمهورية روديسيا بهذا الصدد لان حكومة سميث العنصرية في سالزبوري لم يعترف بها المجتمع الدولي عضواً فيه من حيث الاساس ، ومن غير المتوقع ان تغير منظمة الامم المتحدة من موقفها الاصلي مهما « جملت » بريطانيا من اتفاقيتها الاخيرة مع سميث .

ويلاحظ بالنسبة للكيانات الثلاث العضوة في المجتمع الدولي ، والاكثر انعزالاً دولياً معاً ، وهي جنوب افريقيا والبرتغال واسرائيل، وبالنسبة للمشكلتين الاهم أفريقيا وبمعنى ما دولياً - اي من حيث التنظيم الدولي - وهما مشكلتا زمبابوي (جنوب روديسيا) ونامبيا (جنوب غرب افريقيا) ، يلاحظ بالنسبة لهذه الحالات الخمس جميعها انها حالات استعمار استيطاني (١) .

وعلى هذا فان البحث في السياسة الخارجية والعلاقات الدولية لجمهورية جنوب افريقيا ، الكيان الذي مازال عضواً في المجتمع الدولي والاكثر انعزالا في ذلك المجتمع، لابد له الا ان يلقي مزيداً من الضوء على حالة اسرائيل ، ولا بد له أن يكون ذا فائدة ومغزى لنا في مجال العمل على عزل اسرائيل - وعلى طردها بالنتيجة من عضوية المجتمع الدولي كما طالب القطر العربي السوري في الدورة الحالية للجمعية العامة للامم المتحدة وفي دورات ومناسبات سابقة .

واذا كنا نقدم في هذا البحث خطوطاً اولية عريضة لا دراسة تامة التدقيق والتوثيق فما ذلك الا لسببين ، اولهما ان قارىء السياسة عندنا ملول عجول لابد من ربطه مباشرة بالمحسوس المفاجىء حتى يستمر اهتمامه . وثانيهما اننا نأمل كتابة سلسلة من البحوث بالعربية حول مواضيع متعلقة بمجالات خاصة من الاستعمار الاستيطاني والمقارنة بينها ، تبين مدى امكانات افادة العرب من دراسة وتطوير ونشر مفهوم الاستعمار الاستيطاني ، عسى ان يقنع ذلك

---

(١) هي في الحقيقة ست حالات من الاستعمار الاستيطاني لان البرتغال تمارس سياسة الاستعمار الاستيطاني في حالتين معاً هما انغولا وموزامبيق . اما غينيا بيساو المستعمرة البرتغالية الثالثة في افريقيا فلا تعاني حقاً من مشكلة وجود استيطاني واسع .

التبيان مسؤولي الثقافة والاعلام في الدول العربيــة بالعمل على توفير الشروط لقيام فريق من الباحثين العرب يكرس نفسه لمهمة يعجز عنها باحث بمفرده (١) .

هذا وسنبتدىء البحث الحالي بعد مقدمة في نظرية الفصل العنصري التي تقوم عليها جمهورية جنوب افريقيا ، باستعراض اهم اسس السياسة الخارجية لتلك الجمهورية بغية استعراض مراحل الرفض الدولي لسياسة بريتوريا العنصرية . ثم نركز بعد ذلك على نقطتين هامتين هما دور الاعلام في السياسة الخارجية لجنوب افريقيا ، وعلاقات افريقيا الدولية في عام ١٩٧١ ، ولا سيما علاقتها مع اسرائيل .

(١) اما من يود من القراء مزيداً من التفصيل عن مفهوم الاستعمار الاستيطاني - مع تركيز على القضية الفلسطينية - فيمكنه الرجوع الى كتـاب الاستعمار الاستيطاني في الاقطار الجنوبية من افريقيا وفي الشرق الاوسط (بالانجليزية) لكاتب هذه السطور (جامعة الخرطوم ومركز الابحاث الفلسطينية ١٩٧٠) . كذلك ثمة كتيبان هامان ، يقارن احدهما بين فلسطين وجنوب روديسيا وهو الاستعمار الصهيوني في فلسطين (بالعربية وعدة لغات اجنبية) للدكتور فايز صايغ (مركز الابحاث الفلسطينية ١٩٦٥) ، ويبحث الثاني في العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل وهو : الصهيونية وجنوب افريقيا والابارتايد ، مثلث المفارقة (بالانجليزية) للاستاذ الدكتور ريتشارد ستيفنز (مركز الابحـاث الفلسطينية ١٩٦٩) . هذا وبالامكان تزويد من يرغب متابعة الموضوع من الباحثين بقوائم بيبلوغرافيـة مشروحة متضمناتها (annoti) وببعض مصادر اساسية استطعنا الحصول عليها .

ب ــ نظرية الفصل العنصري :

بدأ التميز العنصري الفعلي في جنوب افريقيا ، تاريخياً ، منذ بــدء الاستيطان الاوربي هناك في منتصف القرن السابع عشر . اما من يمارس ضدهم ذلك التميز فهم الافريقيون ، سكان البلاد الاصليون ، ويبلغ عددهم الآن حوالي ١٥ مليوناً ، والملونون (وهم اولئك السود الذين يحملون معهم شيئاً من الدم الابيض) ، والآسيويون وعددهم يقارب المليونين ونصف . تمارس ذلك التميز اقلية من البيض بلغ مقدارها ، حسب احصاء ايار ١٩٧٠ ، ثلاثة ملايين وثلاثة ارباع المليون ، اي مايزيد قليلا على نسبة السدس من مجموع السكان العام البالغ اكثر من واحد وعشرين مليوناً .

التميز العنصري الفعلي الذي مارسه البيض تاريخياً منذ بدء استيطانهم أخذ مع الزمن يتحول الى قوانين فرضها المستوطنون، الى ان نما التميز العنصري في العالم خلال الثلث الاول من هذا القرن بظهور النظريات العنصرية التي تحاول ان تبني لنفسها استحقاقاً علمياً (كالنازية) . فتلقف مفكرو وسياسيو جنوب افريقيا تلك النظريات ورأوا فيها تبريراً لممارساتهم ، فتبنوها وطوروها « واغنوها » نظراً وعملا حتى بعد سقوط النازية ، وانشأوا لها جهازاً « اكاديميا » خاصاً عام ١٩٤٧ هو « مكتب جنوب افريقيا للعلاقات العنصرية » (او مايعرف عادة باسم سابرا Sapra) ، صعد واحد من مؤسسيه على الاقل الى منصب رئاسة الوزراء وهو الدكتور فير فورد (Verwoerd) ، واعطوها اسماً جديداً لامعاً وهو نظرية التطور المنفصل او الابارتايد ، اسماً سرعان ماخبا بريقه تحت وطأة الادانات الدولية فأصبح يعرف باسم الفصل العنصري ؛ وهو اشد انواع التميز

العنصري ، « وجريمة ضد الانسانية » كما سيلي بحثه (١) . وهكذا بعد ان كان التميز العنصري عشوائياً يجد التعبير عن نفسه في قوانين متفرقة ، اصبحت نظرية الفصل العنصري مصدراً للتشريع والسياسة والممارسة و « العلم » ،

اما فحوى النظرية فيمكن اجماله بكلمات قليلة : لكل عنصر (Race) من العناصر التي تشكل جنوب افريقيا (والعالم افتراضاً) ميزة خاصة لايصلح امره الا بالاعتراف له بها لذلك ينبغي الفصل بين هذه العناصر كي يطور كل عنصر ميزاته بشكل مستقل .

وتساق من اجل « برهنة » الاستحقاق العلمي لهـــذه النظرية العلوم الانتروبولوجية التي تطورت في المانيا خاصة خلال الثلاثينات والتي تدرس جسم الانسان ، وتساق ايضاً العلوم الاجتماعية والنفسية بجملها . ويرفد كل ذلك بفيض من العلوم اللاهوتية محورها التوراة خاصة ، ويقرن ذلك الفيض بدراسات تاريخية جغرافية « يثبت » بنتيجتها ان الافريكانيين كانوا فعلا في ارض جنوب افريقيا قبل سكان تلك الاراضي الاصليين ، وانهم شعب اختاره الله لسكنى واعمار تلك

---

(١) كلمة ابارتايد نحت من كلمتين افريكانيتين همـــا Apart (منفصل) و Outwihheling (تطور) . اما اللغة الافريكانية ، التي تستعملها اغلبية مستوطني جنوب افريقيا ، فهي لغة نشأت عن المزاوجة بين الهولاندية الغالبة فيها وبعض المفردات والتعابير الافريقية المحلية . اما عن تاريخ الافريكانيين وتطور مجتمعهم فيمكن للقارىء أن يرجع بشـــأنه الى اثر حاسم في هذا الصـــدد ، حبذا لو يترجم الى العربية ، هـــو كتـــاب الحجر الابيض ، نشوء القوميـــة ... الافريكانية (بالانكليزية) لوليـــام فاتشـــر W . H . Vatcher (لنـــدن ، دار برغر ، ١٩٦٥) وقد بسطت نظرية الابارتايد بالعربية في بحث لصاحب هذه السطور نشرته مجلة المعلم العربي (دمشق ، وزارة التربية) المجلد الرابع والعشرون . العدد الثالث (آذار ١٩٧١) ص : ١٥—٢١ .

الاراضي . واوضح ذلك « باشارات » في كتب العهد القديم (١) ، ومن الجدير بالذكر ان تلك هي وجهة نظر الكنيسة الهولاندية الاصلاحية التي ينتسب اليها الافريكانيون والتي ادانها من اجلها مجلس الكنائس العالمي .

فاز الحزب الوطني (افريكاني التركيب ومنشىء سابرا) بانتخابات عام ١٩٤٨ وما يزال الحزب الحاكم منذئذ رغم بعض الانشقاقات في صفوفه . ومنذ ذلك الوقت ايضاً بدىء بتهييج النظرية وتقنينها ، وجاء القانون - القمة في هذا المسعى عام ١٩٥٩ وهو قانون انماء الحكم الذاتي لدى البانتو (٢) :

Promotion of Bantu Self - Government (Bantu Anthorities) Act

والذي تمخض بالنتيجة عن انشاء « دول » للعناصر الافريقية ، دول مستقلة ضمن نطاق جمهورية جنوب افريقيا يطلق عليها عادة اسم بانتوستان .

اهم واول هذه الدول - المقرر ان يصل عددها الى ثمانية تمتد على حوالي ١٣٪ من مجموع اراضي جنوب افريقيا - هي دولة الترانزسكاي ، التي صدر دستورها عام ١٩٦٢ واستكملت مؤسساتها الدستورية في آخر عام ١٩٦٣ . ورغم مرور ما يقرب من العقد على تجربة الترانزسكاي « الرائدة » - كما يسميها عنصريو جنوب افريقيا - فإن التجربة اثبتت فشلها اكثر مما اثبتت نجاحها ، على الصعيد

---

(١) لم يتح لنا ان نطلع شخصياً على دراسات سابرا التي ينشر بعضها بالانكليزية. ولكننا لانشك ان بامكان مؤسسات القطر المهتمة بمكافحة التمييز العنصري الحصول عليها فيما اذا طلبت ذلك رسمياً من منظمة الامم المتحدة .

(٢) يطلق عنصريو جنوب افريقيا كلمة البانتو كتعبير عن كل شخص ينتسب الى عنصر أو قبيلة ذات أصل افريقي .

الاقتصادي خاصة وعلى مختلف الاصعدة الاخرى (١) .

الا ان اجماع رأي المراقبين على فشل تجربة « الدول الافريقية المستقلة ضمن النطاق العـــام لجمهورية جنوب افريقيا » لم يكن له اي تأثير على الحماسة المستمرة للفصل بين العناصر ، فمازالت حكومة بريتوريا مستمرة في التجربة ، مصرة على ان نظرية الفصل العنصري هي الحل العملي المستند الى العلم لمشكلة التعايش بين عناصر مختلفة . وقد انتهجت في مواجهة العالم الرافض للابارتايد سياسة خارجية سنستعرض فيما يلي اهم اسسها .

ج ـ اهم اسس السياسة الخارجية لجمهورية جنوب افريقيا :

بزغت جنوب افريقيا الى العالم عام ١٩٠٨ ، كدولة مستقلة لها الوضع الحقوقي « للدومنيون » في نطاق الولاء للتاج البريطاني ، وكانت عضواً اصيلا في جمعية الامم التي منحتها انتدابا على ناميبيا (او مايعرف باسم جنوب غرب افريقيا) من الدرجة الثالثة (٢) ، هذا المنح يدل هو وحده على الواقع الدولي القوي لجنوب

---

(١) آخر وصف صحفي مفصل اطلعنا عليـــه لتجربة الترانزسكاي هو تقرير Jean Knecht في الموند الفرنسية (١٩٧١/١/٥.) . أما عن الحيـــاة الاقتصادية في الترانزسكاي فيمكن الرجوع الى بحث بعنوان « ترانزسكاي : مستنقـــع اقتصادي » لنورمان بولوك N. Pallock في الفصلية اللندنية شؤون افريقية (بالانجليزية) المجلد ٦٨ عـدد ٢٧٢ (تموز ١٩٦٩ ص ٢٥٠ — ٢٥٦ . كذلك نود ان نلفت النظر الى نشرة بيانات ووثائق الصادرة عن الوحدة المختصة بالفصل العنصري في الامانة العامـــة للامم المتحدة بتاريخ ايلول ١٩٧١ ورقم ٧٠/٢٦

(١) كانت الانتدابات على ثلاث درجات ادناها الدرجة الثالثة واعلاها الدرجـة الاولى (كانتداب فرنسا على سوريا ولبنان) . انتداب الدرجة الاولى يقتضي تحقيق الاستقلال اما انتداب الدرجة الثالثة فليس فيه نص واضح يلزم السلطة الانتدابية بذلك . —

افريقيا اذ ذاك ، فقد كانت دولة في « صلب » النظـــام الدولي وليس على هامشه (Periphery) كما كانت العراق مثلا اثناء انتسابها لجمعية الامم .

كذلك ساهمت جنوب افريقيا مساهمة فعالة في صياغة ميثاق منظمة الامم المتحدة ولعب سمطس Smuts رئيس وزرائها اذ ذاك دوراً كبيراً في المشاورات المغلقة والمناقشات المفتوحة التي ادت الى قيام منظمة الامم المتحدة .

وهكذا يمكن القول باجمال ان موقع جنوب افريقيا الدولي كان ممتازاً منذ بزوغها ، وقد استمر كذلك حتى نهاية النصف الاول من هذا القرن . اما في فترة الخمسينات فقد بدا هذا الموقع بالتدهور ، ليبلغ قمة تدهوره منذ بداية الستينات بمذبحة شاربفيل — وحتى الان .

السياسة الخارجية الراهنة لجنوب افريقيا تعود جذورها اذن الى بدء مرحلة التدهور في موقفها الدولي ، ويمكن لنا ان نتبين ارتكازها على الاسس التالية :

— فهم جنوب افريقيا المستمر والمعلن لسياسة الدولة هو انها صراع بين « العالم الحر » و « الطغيان الشيوعي » ، في هذا الصراع فة لجنوب افريقيا دور هام كطليعة للعالم الحر ، لاسيما وان افريقيا تشكل ميدانا رئيسياً لذلك الصراع ،

— اذا كانت افريقيا ميدانا رئيسياً لذلك الصراع فان مهمة جنوب افريقيا

— حين انهارت جمعية الامم ، ورثت عنها منظمة الامم المتحدة التزاماتها وورث مجلس الوصاية في المنظمة الجديدة وظائف لجنة الانتدابات في المنظمة المنهارة . على ان جنوب افريقيا ضمت جنوب غرب افريقيا اليها وما تزال ترفض تدخل منظمة الامم المتحدة بهذا الصدد . وهكذا نشأت قضية ناميبيا التي شغلت محكمة العدل الدولية مرتين وشغلت كل اجهزة الامم المتحدة وتشكل قضية ناميبيا اليوم احدى القضايا الاكثر اهمية في الحقوق السياسية الدولية .

الاساسية هي مقاومة « الطغيان الشيوعي » الزاحف الى القارة عن طريق الدول التقدمية الافريقية وعن طريق حركات التحرر الوطني الافريقية .

— لجنوب افريقيا في هذا الصراع حلفاء لهم وجود مادي على الارض الافريقية ، واخصهم البرتغال والمجتمع الابيض في روديسيا ، ويلحق بهم بالدرجة الاولى عدد من الدول الافريقية الموالية للعالم الحر كملاوي وبعض دول افريقيا الناطقة بالفرنسية .

— الحلف العسكري السياسي بين جنوب افريقيا والبرتغال وروديسيا ينبغي توطيده دائماً وتطويره ، بحيث يشمل — سياسياً على الاقل — الدول الافريقية ذات الولاء للعالم الحر .

— اما نظرية الفصل العنصري وتوابعها فأمر داخلي من اختصاص جنوب افريقيا وحدها وكل تدخل فيه من قبل منظمة الوحدة الافريقية (١) او من قبل منظمة الامم المتحدة يشكل خرقاً لسيادة جنوب افريقيا ، وبالتالي لايمكن قبوله ، وعلى الدول الافريقية المهتمة بدفع خطر التطرف والشيوعية عن القارة ان تتعاون من اجل هذا الهدف مع جنوب افريقيا دون ان تثير اي اعتراض على تلك النظرية ومشتقاتها . اما اقناع هذه الدول باتباع سياسة تحالف فعال مع جنوب افريقيا فيتم بتقديم المعونات الاقتصادية اليها .

— ان « الخطر الشيوعي » المصطدم بقلعة « العالم الحر » في افريقيا، التي هي جنوب افريقيا ،لا يأتي فقط من الشمال بل ابتدأ بالاتيان من الجنوب ايضاً عن

---

(١) حول منظمة الوحدة الافريقية ونشوؤها ودورها في مناهضة الابارتيد ، يمكن الرجوع خاصة الى اعداد الفصلية القاهرية : السياسة الدولية ، والى بحث مطول لصاحب هذه السطور نشرته البعث الاسبوعية العدد الثاني في ١٩/٢/١٩٦٦ .

طريق المحيط الهندي . ولذلك تنشط جنوب افريقيا حالياً في السعي للتحالف مع دول المحيط الهندي والموالية « للعالم الحر » : زيلاندا الجديدة واوستراليا ومدغشقر والبرازيل وارجنتين (١) .

هذه الاسس التي ترتكز عليها السياسة الخارجية لجنوب افريقية تتيح لنا الخلوص الى الملاحظة الاساسية التالية : ان فهم جنوب افريقية لحقيقة الصراع في العالم هو فهم رجعي الى اكبر حد ممكن حتى انه يفوق الولايات المتحدة ودول « العالم الحر » رجعية ، ويتفق عموماً مع فهم المستوطنين في انحاء اخرى من العالم ، مثلاً ، مستوطنو الجزائر الفرنسيون كانوا يأتون بالتحليلات نفسها ، ويتبنى الخطوط العامة لهذه التحليلات الآن مستوطنو زيمبابوي (حكومة سميث) ، والمستوطنون الصهاينة في فلسطين المحتلة. وتقود هذه الاسس الى مفارقات طريفة خطيرة معاً :

— تتصور جنوب افريقيا نفسها — ويشاركها في ذلك المستوطنون عموماً — « ضميراً » للعالم الحر ، ذلك الضمير الذي خانته وتخونه الولايات المتحدة نفسها احياناً (حسب مزاعم المستوطنين) . وهكذا فكل تبريد في حدة الحرب الباردة تنظر اليها جنوب افريقيا على انها خيانة لمبادىء العالم الحر .

— يترادف في جنوب افريقيا مفهوما الشيوعية والقومية الافريقية، والحق

---

(١) زار مناحيم بيغن جنوب افريقيا مؤخراً ، وقد صرح ان من مصلحة « العالم الحر » ان تبقى قناة السويس مغلقة ، حتى لايستطيع « الخطر الشيوعي » في المتوسط التلاقي مع « الخطر الشيوعي » في المحيط الهندي .

هذا ويمكن من خلال هذا المنظور — منظور الوضع في المحيط الهندي — ان نعلل جزئياً على الاقل اتفاقية هيوم — سميث الاخيرة بشأن روديسيا، وقرار الولايات المتحدة الاخير بشأن استيراد معدن الكروم من روديسيا وقرار بريطانيا في مطلع ١٩٧١ تزويد جنوب افريقيا بالاسلحة بعد ان « بعثت » اتفاقية سايمونزتاون .

ان مفهوم الشيوعية هنـــاك هو اوسع مفهوم ممارس في العالم : كل من يعارض الحكومة لاي سبب كان ينظر اليه على انه شيوعي وهدام .

– ترى جنوب افريقيا ان الامم المتحدة قد سيطر عليها الشيوعيون ، وان لا امل منها يرتجى . وتحرم جنوب افريقيا دخول ما تدعوه « الكتب الشيوعية » اليها مثل كتب غالبريت الاقتصادي الاميركي المعروف والذي كان مستشاراً في البيت الابيض . ويلاحظ في هذا المجال ان سياسة جنوب افريقيا اكثر رجعية حتى من المكارثية .

– ومع كل ذلك – وهذا هو الاهم – تعرف جنوب افريقيا ان بقاءها مرهون ببقاء الهيمنة الاميركية في العالم ، ولذلك فهي حين تلوم وتعاتب وتتهم اميركا بالخيانة ، فهي انما تفعل ذلك « حبياً » بغرض فرض الوصل ، الذي تفرضه ايضاً عن طريق سخائها في تشجيع التوظيفات الاميركية والغربية عموماً .

– لجنوب افريقيا موقف واضح تجاه قضية فلسطين : ان اسرائيل مثال يحتذى وصديق يدعم . وقد احتذت جنوب افريقيا ذلك المثال ، واحتذت اسرائيل بجنوب افريقيا . ويتبادل الصديقان الدعم بشكل مستمر منذ عام ١٩٤٨ : عام انشاء الكيان الصيهيوني في فلسطين وعام تسنم الحزب الوطني مهام الحكم في جنوب افريقيا . اما اشارة بداية تلك الحقبة فهي زيارة مالان ، وكان اذ ذاك رئيس وزراء جنوب افريقيا ، لاسرائيل في حزيران ١٩٤٨ . وقد حفظ صهيونيو جنوب افريقيا للدكتور مالان مايستحق من ود فلقبه فريق منهم ، لدى تقاعده عام ١٩٥٦ ، بلقب « موسى الشعب الافريكاني » (١) .

(١) عن ستيفنز Op . cit ص ١٥ . ويشير ستيفنز الى انه اخذها عن ادوين منغر Adwin S . Munger : اليهود والحزب الوطني (نيويورك ، الخدمات الميدانية للجامعات الاميركية . A . U . F . S ، ١٩٥٦) ص : ٦٣ .

- تدعم جنوب افريقيا سياستها الخارجية ، بجيش قوي هو - اجماعاً - اقوى جيش في افريقيا باستثناء جيش مصر العربية .

تلك هي اسس السياسة الخارجية لجمهورية جنوب افريقيا ، استعرضناها باختصار وقدمنا بعض ما يشتق منها من متضمنات . ومن الواجب هنا ان ننبه الى ان لجنوب افريقيا سياسة خارجية نشطة وان لديها دبلوماسيين دربين .

وتنعكس سياستها الخارجية هذه على اسلوب اعلامها الخارجي . وليس من العجب ان نجد لدى جنوب افريقيا جهازاً اعلامياً ممتداً في العالم ، يقارن في نجاعته بالاعلام الصهيوني ، وهذا ما نتطرق اليه الآن .

د - دور الاعلام في السياسة الخارجية لجنوب افريقيا :

من السهل للمستوطنين - كقاعدة عامة - ان يكسبوا اعلاماً مناسباً لهم في البلاد التي قدموا منها اصلا لأسباب واضحة . وقد استفاد الافريكانيون من ظرف خاص في تاريخهم لكسب اعلام مناسب ، كما استفاد الصهاينة من قضية سياسة هتلر المعادية للسامية . ذلك الظرف الخاص في التاريخ الافريكاني هو اصطدامهم (وكانوا يعرفون اذ ذاك باسم البوير) بالانجليز الذين استطاعوا بالنتيجة التغلب عليهم ومن ثم مصالحتهم . الاصطدام البويري الانجليزي ولد لدى شعوب اوربا شفقة على البوير ، وولد لدى الانجليز انفسهم خاصة شعوراً « بعقدة ذنب تجاه ذلك الشعب البطل المناضل الذي سحقته السياسة الاوربية » . وهكذا كان الدفاع عن حقوق البوير في مطلع هذا القرن مرادفاً لليبرالية والتقدمية والبعد عن التعصب القومي الذميم .

واستمرت جنوب افريقيا تتمتع بهذا النفوذ الاخلاقي في الغرب طيلة

النصف الاول لهذا القرن حتى اذا تدهور سريعاً ذلك النفوذ الاخلاقي في الخمسينات والستينات صار من اللازم زيادة الاعتناء بالاعلام وبالجهاز الاعلامي لمجابهة هـذا التدهور والحفاظ ما امكن على بقايا ذلك النفوذ الاخلاقي . ويبدو انه قد أسند للاعلام خاصة دور « تجميل » نظرية الفصل العنصري ومشتقاتها الممارسة ، بينما اسند لسياسة تشجيع الرساميل المالية الغربية دور ربط جنوب افريقيا ربطاً مصلحياً وثيقاً بدول الغرب الكبرى ، وخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية .

ونلاحظ هنا هذه الحقيقة الهامة : ان اعلام جنوب افريقيا ليس عليه ان يواجه الاعلام الافريقي او اعلام حركة التحرر الوطني في افريقيا فقط ، بل عليه ان يواجه اعلام منظمة الامم المتحدة وعائلاتها كلها ، والذي ابتدأ بشكل جدي منذ منتصف الستينات(١) .

وعلى هذا فان اعلام جنوب افريقيا الآن هو في موقع الدفاع ضد اجهزة اعلام دولية قوية . ما هو الجهاز الاعلامي لجنوب افريقيا وكيف يعمل وما هي مقوماته ؟

---

(١) اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة في ١٩٦٦/١٠/٢٦ قراراً برقم A ٢١/٢١٤٤/ يقضي بانشاء وحدة خاصة في جهاز الامانة العامة للقيام باقصى حملة اعلامية وتثقيفية ضد مخاطر نظرية الفصل العنصري . وتشمل فعاليات هذه الوحدة نشر وثائق نظرية الفصل العنصري واظهار بطلانها . وتتبع هذه الوحدة ادارة الشؤون السياسية وشؤون مجلس الامن وهي تقوم الآن بمهمتها خير قيام . وقد اعتمدنا في هذا الجزء من البحث الخاص بالاعلام على نشرتها رقم ٧١/٢٦ تاريخ حزيران ١٩٧١ الصادرة في سلسلة بيانات ووثائق . ولعل من المناسب ان نذكر هنا ان ثمة حركة نشطة في بريطانيا لمناهضة الابارتايد هي « حركة مناهضة الابارتايد » وتصدر نشرة شهرية ولها صلات وثيقة بالهيئة التي تصدر النشرة الشهرية Free Palestine اللندنية والمناصرة للمقاومة الفلسطينية .

الهيئة الاعلامية الرئيسية هي : هيئة جنوب افريقيا الاعلامية South African Information Service وقد بلغت ميزانيتها المعلنة عام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ اكثر من ٧ ملايين دولار اميركي زيدت في العام التالي ١٩٧٠ — ١٩٧١ الى ما يقرب من عشر ملايين دولار(١) . اما موظفو هذه الهيئة فأغلبهم صحفيون بارعون لايقتصر همهم على توزيع المعلومات المُجَمَّلة عن نظرية وممارسة الفصل العنصري ، بل يتعداه الى هم التصدي لكل نقد مهما كان ضئيلا لسياسة جنوب افريقيا ، ولا سيما في دول اوربا الغربية .

ويصف كولن ومارغريت ليغوم Colin and Margereth Legum في كتاب : جنوب افريقيا ، ازمة تواجه الغرب كيفية عمل اجهزة اعلام جنوب افريقيا كما يلي :

« ان اي مقال او برنامج فيه نقد لجنوب افريقيا ـ سواء في بريطانيا او السويد او المانيا الغربية او هولاندا او كندا او سويسرا او الولايات المتحدة ـ يقتنص مباشرة ويمحص . احياناً تقدم احتجاجات رسمية عليه ، ودائماً تصدر انكارات رسمية لما يقدم من معلومات نقدية . ولا يقتصر امر المتابعة التي يقوم بها الجهاز على الناقد صاحب المقال او البرنامج ، بل يتعداه الى محرر الجريدة او منتج البرنامج والى رؤسائهم . ولا يكتفى بتوجيه الرسائل بل يعتمد تكتيك المواجهة الشخصية ، والنقاش ، والدحض والرد . وفي بعض المناسبات يتدخل السفير بنفسه ،

---

(٢) انظر دوغلاس ساندرز وسانفورد بدرمان في Ibid ص ٧ ، وجون لورانس في Ibid أيضاً ص ١ . ولهذا الاخير تحليل واف للدعاية الجنوب ـ افريقية في كتاب بعنوان بذور النكبة (بالانجليزية) الصادر عن دار غولانس البريطانية عام ١٩٦٨ .

وفي اغلب الاحيان يتدخل كبار المتنفذين في الكالوس الجنوب افريقي(١)، فيتصلون بمالكي الجريدةالناقدة ، او التلفزيون او الراديو الذين بث منها البرنامج لدعم الشكوى . بعض الاحيان ينحصر الطلب في نشر او اذاعة مقال او برنامج « يوضح وجهة النظر الاخرى » ، وفي الغالب يكون الهدف اقناع الجرائد او دور الاذاعة والتلفزيون باستخـــدام بعض الكتّاب واصحاب البرامج الموالين لجنوب افريقيا . ان مخرجي البرامج في هيئة الاذاعة البريطانية مثلا يعلمون يقيناً ان اي برنامج فيه انتقادلجنوب افريقيا ستنتج عنه اوتوماتيكياً شكوى رسمية(٢).

وتلجأ اجهزة اعلام جنوب افريقيا الى اسلوب نشر الدعايات في الصحف، كما تلجأ الى اسلوب الارسال المجاني للنشرات والكتب لكل من يطلبها وحتى لمن لا يطلبها . ويذكر ساندرز وبدرمان في مقالهما المشار اليه آنفاً(في الحاشية ١٢) ان « هيئة اعلام جنوب افريقيا تعمدالى شراء قوائم التوزيع البريدي من شركات تختص بتحصيل مثل هذه القوائم وبيعها لمن يدفع الثمن (١) » .

(١) نستعمل كلمة كالوس ترجمة لكلمة Lobby الانجليزية،والمقصود بالكالوس هو تلك الطائفة من اصحاب المصالح المتنفذين الذين يدافعون عن هدف معين او دولة معينة . واشهر الكواليس في العالم الرأسمالي التي تعمل لدول معينة هي الكالوس الصهيوني في امريكا وغرب اوروبا، والكالوس الثان كاي شيكي في امريكا ـ والطريف الآن متابعة كيفية تصفيته بعد التطورات الاخيرة ـ وكالوس جنوب افريقيـــا القوي خاصة في بريطانيا . طريقة عمل الكالوس هي الطريقة المعروفة عندنا باسم « التطبيق » ، عن طريق الحفلات والدعوات وتبيان مصلحة لمن يجري عليه التطبيق في العمل الذي يراد تطبيقه من أجله وهكذا. ظاهرة الكالوس ترافق بالطبع نمط الديمقراطية المتبع في النظام الرأسمالي .

(٢) المقتطف في ص ٤٤ ٢ من الكتاب الذي نشرته دار بريغر بنيويورك ١٩٦٤. وقد أخذناه عن ساندرز وبدرمان OP. set ص ٧ .

(١) op. cit ص ٨ . ومما يذكر ان اجهزة الاعلام الصهيونية تتبع هذا ـ

. كذلك تعمد اجهزة اعلام جنوب أفريقيا الى تشجيع المؤسسات الثقافية والاكاديمية العالمية التي يمكن ان تستشم فيها القدرة على « تجميل » نظرية الفصل العنصري او تبريرها او تطويرها في نطاق العلوم التي تبحث الفروق بين الاجناس البشرية ، كالانتروبولوجيا مثلا ، وتمدها بأساتذة ومحاضرين وتهدي اليها كتب ودراسات سابرا .

وتستخدم جنوب افريقيا منجزات العلم في اراضيها لتتباهى وتفتخر وتظهر استحقاق نظرية الفصل العنصري . وقد جاءت عمليات الطبيب برنارد لتزود جنوب افريقيا بقنبلة اعلامية اطلقتها في اربع ارجاء المعمورة . ولا ندري بالطبع مدى مساهمة برنارد المتنواة في هذه القنبلة الاعلامية ، وان كانت قد نقلت عنه احيانا تحفظات لانعلم مدى صحتها بشأن نظرية الفصل العنصري . المهم ان رحلاتـــه العالمية ومؤتمراته الصحفية كان يتبعها سيل من الاعلام عن جنوب افريقيا ، سيل قد يكون بعضه عفويا وبريئاً ولكن بعضه الاخر لايمكن اعتباره كذلك حتى يثبت العكس .

ويعمد أعلام جنوب افريقيا الى ارسال نماذج « زعامية » من الافريقيين موالية للفصل العنصري تطوف انحاء العالم لتصف الاستحقاق العلمي والعملي لنظرية الفصل العنصري ، ولتبرهن على نجاح تجربة البانتوستانات ، ولتتكلم عن الفرص الكبرى المفتوحة امام الافريقي لإنماء شخصيته في « وطنه » . وقد كانت

— الاسلوب . انظر مثلا مقال ابراهيم عزت « رسائل اسرائيل الى المثقفين العرب » روز اليوسف العدد ٢١٢٤ تاريخ ١٩٦٩/٢/٢٤ وانظر ايضاً كتاب خالدالقشطيني : الحكم غيابيا (بالعربية وبالانجليزية) الذي اصدره مركز الابحاث الفلسطيني ، عام ١٩٦٩ لرؤية التماثل بين اساليب اعلام جنوب افريقيا واساليب الاعلام الصهيونية .

آخر زيارة مُقحَمة في هذه السلسلة زيارة قام بها ثلاثة « زعماء بانتوستانات » الى بريطانيا في اوائل شهر تشرين اول من هذا العام . وقد كانت مفارقة ذات دلالة ان تلك الزيارة توافقت مع اجتماع المجلس البرلماني الدولي في باريس حيث ارسلت « اسرائيل » وفداً شارك فيه « عربي » عميل اخذ يمتدح تجربة جنوب افريقيا على نحو ما اوردت الخبر صحفنا المحلية (١) .

مما تقدم يمكن لنا ان نقول ان اعلام جنوب افريقيا يسند اليه دور كبير في محاولة « تبرئة » وتوطيد السياسة الخارجية لجنوب افريقيا او تجميل سياستها الداخلية العنصرية . ومما يلفت النظر في هذا الاعلام هي اوجه الشبه الكبرى بينه وبين الاعلام الصهيوني واعلام روديسيا الجنوبية . واذا كان اعلام الكيانين الاستيطانيين الافريقيين « مفضوحاً » ، بمعنى ان الامم المتحدة نفسها تضطلع بمهمة مقاومته ، فإن دراسة افتضاح ذلك الاعلام ودراسة اسراره المعلنة على صفحات الجرائد العالمية وغيرها تتيح لنا كعرب المامـاً اكبر بالاعلام الصهيوني ، ويتيح لنا ذلك الالمام بالتالي مزيداً من الخبرة والقدرة على مقاومة اعلام العدو .

---

(١) انسحبت الوفود العربية البرلمانية من جلسة المؤتمر أثر ذلك . وقد كان مفيداً لو رأى العرب اليها ان تملىء باريس اذ ذاك بتصريحات ذلك العميل الى جريدة يودوت اهارانوت الصادرة في ١٤/١٠/١٩٦٦ التي قال فيها « ان النواب العرب في الكنيست من انصار التحالف العمالي لايكاد يستشيرهم أحد في كيف يجب ان يصوتوا بل يوجهون الى ذلك توجيهاً » عن جاكوب لاندو : العرب في اسرائيل (لندن ١٩٦٩) .

(١) انظر مثلا اعداد جريدة الابزرفر اللندنية الاسبوعية في تشرين ثاني ١٩٧١ ، حيث قامت بتحقيقات واسعة عن اعلام جنوب افريقيا وكيفية عمله ، وعن التعاون بين اجهزة الامن في جنوب افريقيا وبريطانيا « لملاحقة » مناهضي الابارتايد النشطين من الافريقيين والبريطانيين على حد سواء .

ب ـ علاقات جنوب افريقيا الدولية في عام ١٩٧١ :

لكي نفهم نمط العلاقات الراهنة لجنوب افريقيا بالعالم لا بد لنا من مقدمة مختصرة حول تطور معالجة هيئة الامم المتحدة لنظرية الفصل العنصري .

ابتدأت الامم المتحدة في معالجة جوانب من التمييز العنصري في جنوب افريقيا منذ الأيام الاولى لمولد الهيئة الدولية . وبالتحديد منذ ان طلبت الهند منها ذلك في ٢٢ / ٦ / ١٩٤٦ . كان طلب الهند اذ ذاك محدداً جداً ، وهو معالجة «موضوع معاملة حكومة جنوب افريقيا الهنود في اراضيها» . ومن المناسب ان نتذكر في هذا المجال ان المهاتما غاندي كان قد قاد في مطلع القرن حملة لالغاء وتخفيف التمييز العنصري الممارس ضد الهنود في جنوب افريقيا .

ومنذ عام ١٩٤٦ تبنت جنوب افريقيا موقفاً سلبياً من بحث الامم المتحدة للموضوع متذرعة بان معاملتها لرعاياها تدخل ضمن نطاق اختصاصها الداخلي بمقتضى المادة ٢ / (٧) / من ميثاق الامم المتحدة . ومنذ ذلك الوقت ايضاً ترفض الامم المتحدة هذه الذريعة . وتصر على ان قضايا حقوق الانسان تدخل في اختصاصها الاصلي بموجب الميثاق نفسه .

واصدرت الامم المتحدة قراراتها بشأن معاملة الهنود والاسيويين منذ عام ١٩٤٦ ايضاً ، ولكنها كانت قرارات «عادية» تطلب الى الاطراف المعنية ـ وهي جنوب افريقيا والهند ثم اضيفت اليها الباكستان ـ ان تجتمع وتناقش الامر فيما بينها وتضع له حلولا مناسبة .

على ان جنوب افريقيا لم تكن لتذعن ـ بل اخذت تزيد من ممارسة التمييز العنصري وبدأت تبنيها الرسمي لسياسة الفصل العنصري . كذلك اخذت

الامم المتحدة من جهة ثانية تزداد علماً بمضامين سياسات جنوب افريقيا العنصرية) واخذت بالتالي توسع من اختصاصها في معالجة هذا الامر . وهكذا فمنذ الدورة السابعة للجمعية العامة (١٩٥٢) ادخل موضوع آخر اوسع في جدول الاعمال، ذلك هو موضوع « العلاقات العنصرية في جنوب افريقيا على هدى توافقها مع اهداف ومبادىء الميثاق » . هكذا انتقلت الامم المتحدة من مرحلة « العتاب والمناشدة » في موقفها تجاه السياسة العنصرية في جنوب افريقيا الى موقف العداء الصريح الواضح تأسيساً على ان الميثاق يمنع التمييز العنصري .

على أن الخطوات الاكثر حسماً انما جاءت اثر مذبحة شاربفيل المعروفة (١) بتاريخ ٢١ / ٣ / ١٩٦٠ حيث عالج قضية المذبحة ومضامينها واسبابها مجلس الامن الدولي - وللمرة الاولى - وقد تم ذلك بناء على طلب مجموعة الدول الآفرو - آسيوية. حين بحث مجلس الامن مذبحة شاربفيل اثارت كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا قضية اختصاص المجلس باعتبار المذبحة امراً داخلياً تجاوز هذه النقطة ، وطلب الى حكومة جنوب افريقيا ترك سياسة الفصل والتمييز العنصريين . اما الجمعية العامة التي بحثت المذبحة في دورتها السابعة عشرة (١٩٦٢) فقد طالبت بقطع العلاقات الدبلوماسية مع جنوب افريقيا ومقاطعتها اقتصادياً وعدم تقديم تسهيلات لاتصالاتها الجوية والبحرية .

---

(١) لم يتح للكثير من المذابح التي قام بها الصهاينة ضد العرب الفلسطينيين أن تعرف على نطاق واسع او ان تبحث دولياً كما اتيح لمذبحة شاربفيل ولهذا الامر اسباب ليس التقصير العربي بأقلها شانا . هذا وقد عقدنا مقارنة بين مذبحة شاربفيل . ومذبحة كفر قاسم (٢٩ - ١٠ - ١٩٥٦) في مجلة الطلائع الاسبوعية الناطقة بلسان اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية نخلص فيها الى ان جريمة الصهاينة أفدح من جريمة عنصريي جنوب افريقيا، ونقترح طرقاً لتدويل تخليد ذكرى مذبحة كفر قاسم . انظر (الطلائع الاثنين ٢٥ - ١٠ - ١٩٧١) .

وبما يذكر ان جنوب افريقيا اعلنت نفسها «جمهورية» بعد كونها اتحاداً، وذلك عام ١٩٦١، وانسحبت بالنتيجة من مجموعة دول الكومنولث البريطاني تلك المجموعة التي انتقدت بأغلبيتها الافرو آسيوية سياسة الفصل العنصري .

وهكذا بدأت مرحلة انعزال جنوب افريقيا دولياً تحت وطأة قرارات الامم المتحدة التي تزداد اصراراً وتضيقاً على الكيان العنصري هناك . ومما يذكر ان المنظمات الاكثر راديكالية في عائلة الامم المتحدة كمنظمة العمل الدولية طردت جنوب افريقيا من عضويتها .

اما الامم المتحدة فلم تكتف بقرارات الادانة بل اتجهت، خاصة منذ عام ١٩٦٧، الى كشف المصالح المالية العالمية المختبئة وراء سياسة الفصل العنصري والداعمة لها، فأخذت تصدر منذ ذلك العام نشرات خاصة حول التوظيفات المالية الاجنبية في جنوب افريقيا .

هذه النشرات التي تقوم بتحضيرها ونشرها وحدة مناهضة الفصل العنصري في جهاز الامانة العامة للامم المتحدة تعتمد على افتراض حقيقي واضح هو ان ثمة مستفيدين من الفصل العنصري وان هؤلاء المستفيدين هم الذين يساعدون جنوب افريقيا على الاستمرار في تحدي الرأي العام الدولي والهيئة الدولية وانه يجب كشفهم ولفت النظر اليهم . اما مصادر تلك النشرات فهي الصحف والمجلات والبيانات والمعاملات الرسمية الصادرة في جنوب افريقيا . وفيما يلي نعتمد على آخر نشرة من هذه النشرات(١) لنتبين من يقف حقيقة وراء عنصرية جنوب افريقيا .

يتضح من تلك النشرة ان مقدار رأس المال الاجنبي الموظف في جنوب افريقيا في العام المنتهي في حزيران ١٩٧١ قد بلغ ما يزيد على الف مليون دولار

---

(١) رقم ٤٢ / ٧١ الصادرة في شهر تشرين اول ١٩٧١ وتقع في / ٢٤ / صفحة فولسكاب .

بمقابل نصف ذلك المقدار للعام ١٩٦٩ – ١٩٧٠ ، وربعه للعام ١٩٦٨–١٩٦٩ ،

اما التجارة الخارجية لجنوب افريقيا لعام ١٩٧٠ فقد بلغت ارقاماً هائلة. فقد بلغ صادر جنوب افريقيا باستثناء الذهب ما يزيد على الف وخمسمائة مليون راند (يساوي الراند ١،٤٠ من الدولار الامريكي) وبلغ واردها ما يزيد على الفين وخمسمائة راند.

وفي مقدمة الدول المتاجرة مع جنوب افريقيا نجد المملكة المتحدة دائماً في المقام الاول. اذ بلغ صادر جنوب افريقيا اليها عام ١٩٧٠ حوالي ٤٥٠ مليون راند ، ووارده منها ٥٦٠ مليون راند ؛فهي بذلك تحتل المكانة الاولى في التصدير والاستيراد.

اما الدول الاخرى التي تلي المملكة المتحدة في تصديرها الى جنوب افريقيا عام ١٩٧٠ فهي بالتالي :

الولايات المتحدة	:	٤٢٣	مليون راند
المانيا الغربية	:	٣٧٢	مليون راند
اليابان	:	٢٢١	مليون راند
ايطاليا	:	١٠٤	مليون راند

وتلي المملكة المتحدة في الاستيراد من جنوب افريقية الدول التالية :

اليابان	:	١٨٠	مليون راند
الولايات المتحدة الامريكية	:	١٢٩	مليون راند
المانيا الغربية		١٠٩	مليون راند
بلجيكا		٥٥	مليون راند

ويظهر من الارقام المذكورة اعلاه ان ميزان جنوب افريقيا التجاري

مع هذه الدول التي تحتل الدرجة الاولى في معاملاتها التجارية هو ميزان خاسر . وفي الحقيقة أن الميزان التجاري لجنوب افريقيا خاسر مع كل القارات الا مع افريقيا، حيث بلغ صادر جنوب افريقيا الى هذه الدول لعام ١٩٧٠ مبلغ /٢٦٣/ مليون راند، ووأردها منها مبلغ /١٣١/ مليون راند . وتعوض جنوب افريقيا هذا العجز في الميزان التجاري بتصديرها للذهب .

اما سر التوسع الكبير المستمر في التوظيفات المالية الاجنبية الواردة الى جنوب أفريقيا فيكمن في ان تلك التوظيفات تعطي ربعاً هو من بين الربوع الاعلى في العالم . ذلك بالطبع لايعود فقط الى غنى الموارد الطبيعية هناك، بل الى رخص اليد العاملة الافريقية ، ذلك الرخص الذي تستغله الرأسمالية وتؤيده عن طريق نظرية الفصل العنصري والذي يمتد الان حثيثاً ليشمل مزيداً من الاقطار الافريقية عن طريق المساعدات الاقتصادية التي تقدمها جنوب افريقيا وتعد بتقديم المزيد منها للدول الافريقية التي تود اجراء حوار معها في مقابل صفقات « التعاون » الاقتصادي .

والدول الافريقية التي اقامت علاقات اقتصادية مع جنوب افريقيا خلال عام ١٩٧٠ هي : ساحل العاج ، ليسوتو ، ليبيريا ، مدغشقر ، مالاوي وموريشوس (١) .

اما الدول الاخرى في العالم ذات العلاقات التجارية مع جنوب افريقيا — بالاضافة الى ما ذكرناه اعلاه — فهي الارجنتين ، البرازيل ، فورموزا ، فرنسا ،

---

(١) يلاحظ بالنسبة لكل هذه الدول تعاونها الوثيق ايضاً مع اسرائيل ومناصرتها لوجهة النظر الصهيونية في المحافل الدولية . اما اثيوبيا التي تتعاون ايضاً مع اسرائيل فليس لها ذكر هنا لانها تصر على موقف منظمة الوحدة الافريقية من جنوب افريقيا اذ فيها مقر المنظمة .

اليونان ، ايران ، اسرائيل ، كوريا الجنوبية ، هولندا ، البرتغال ، اسبانيا وفنزويلا .

والان فلننظر بشكل اكثر تفصيلا الى العلاقات التجارية بين جنوب افريقيا واسرائيل .

لا تمتاز العلاقات التجارية بين جنوب افريقيا واسرائيل بحجم كبير في التبادل ؛ فقد كانت صادرات جنوب افريقيا الى اسرائيل في السنوات الاخيرة كما يلي :

١٩٦٨	:	٢ر٩٣٦	مليون راند
١٩٦٩	:	٣ر٤٤٦	« «
١٩٧٠	:	٣ر٩٣٧	« «

اما واردات جنوب افريقيا من اسرائيل فقد كانت كما يلي :

١٩٦٨	:	٣ر٨١٩	مليون راند
١٩٦٩	:	٤ر٨٣٣	« «
١٩٧٠	:	٦ر١٢٣	« «

وهذه ارقام ليست بالكبيرة نسبياً ولكنها ذات دلالة واضحة : انها تتقدم سريعاً وبشكل ثابت .

على ان ما تمتاز به العلاقات التجارية بين جنوب افريقيا واسرائيل هو التنوع والتشابك . ان النشرة المشار اليها آنفاً تعطي لتغطية العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل مساحة لا تتجاوزها حجماً الا المساحات المعطاة للمملكة المتحدة والمانيا الغربية والولايات المتحدة واليابان .

ولننظر الى تنوع وتشابك هذه العلاقات :

زادت شركة الطيران الاسرائيلية (العال) رحلاتها الجوية الى جنوب افريقيا من رحلة واحدة اسبوعية الى رحلتين اسبوعياً وذلك بدءاً من ١١/١٢/١٩٧٠ . (١)

كما ان بعثة تجارية من جنوب افريقيا زارت اسرائيل لمدة /١٥/ يوماً وذلك في كانون ثاني – شباط ١٩٧١ .

وكتبت جريدة ساوث افريكان فاينتشال غزيت في ٢٢ كانون ثاني ١٩٧١ ان مهمة البعثة آنفة الذكر – وهي اول بعثة تجارية ترسلها جنوب افريقيا الى اسرائيل – انما هي للتحقق من استفادة اسرائيل الكاملة من قرض بمقدار (١٠) ملايين راند منحتها اياها مؤسسة التطوير الصناعي في جنوب افريقيا (Indnstrial Development corp.) ، ولارساء اسس مزيد من العلاقات التجارية بين البلدين . وتضطلع برئاسة البعثة غرفة الصناعة ومؤسسة التطوير الصناعي . وتشمل عضويتها ممثلين عن اكبر مصانع جنوب افريقيا المختصة بالهندسة الثقيلة (heavy engeneering) والتعمير وشركات الصب والصهر وما اليها . كذلك تشمل البعثة ممثلين عن مصرف

---

(١) النشرة ص ٩ نقلاً عن جريدة South African Digest الصادرة في بريتوريا : ٤/١٢/١٩٧٠ .

هذا وقد تعمدنا الاشارة الى مصادر النشرة بصدد علاقات جنوب افريقيا مع اسرائيل وذلك لفائدة من يرغب التوسع في متابعة الموضوع . وحبذا لو تقوم جهة اعلامية عربية ما بتقصي هذه المصادر لتعد منها نشرات اعلامية عربية توزع على نطاق واسع . وحبذا على الاقل لو تعد نشرة اعلامية عربية من النشرة التي نقتطف منها ومن مثيلاتها . فهذه النشرة ومثيلاتها وثائق دولية اصدرتها الامم المتحدة بالذات وسيكون لتوزيعها الواسع في افريقيا خاصة فائدة اعلامية كبرى . كذلك حبذا لو يسلط الضوء على العلاقة التاريخية بين هرتزل وورودس كما اقترحنا في مقال نشرته جريدة « البعث » بتاريخ (١٨/٣/١٩٧١) .

ستاندارد ومصرف باركليز . وقد قامت بتنظيم زيارة البعثة رابطـة التجارة الاسرائيلية الجنوب افريقية .

كذلك ذكرت جريدة ساوث افريكان دايجست في ١٩٧١/٥/٧ ان ثمة مساعي كبرى يقوم بها رأس المال الخاص لزيادة التجارة بين جنوب افريقيا واسرائيل ، ولا سيما بعد ان اسس بنك يافث الاسرائيلي تمثيلا دائمـاً له في جوهانسبرغ ،وهو اول تمثيل مصرفي اسرائيلي في جنوب افريقيا .

وذكرت جريدة ساوث افريكان فانيشال غازيت في ٢٨/ ٥ / ١٩٧١ ان حكومة جنوب أفريقيا قد رفعت الحظر عن التوظيف المباشرلرؤوس الأموال لجنوب افريقية وذلك فيما يختص باسرائيل في حدود مبلغ / ١٠ / ملايين راند . ومن المتوقع ان يرفع هذا الرقم قريبـاً . واسهبت جريدة الفانيشال غازيت في شرح المشاريع الجديدة فلاحظت ان الشركات الجنوب افريقية كانت توظف رؤوس اموالها في اسرائيل منذ مدة في صنع الملابس وفي صناعة الانابيب ولكن الامر الهام في التطورات الاخيرة وهو ان حكومة جنوب افريقيا وللمرة الاولى قد اعطت تشجيعها الرسمي لمزيد من التوظيفات الجنوب افريقية في اسرائيل »(١) .

• • •

يبدو من النافل بعد ما ذكرنا اعلاه ان نبحث في معنى هذه العمليات التوظيفية المتواضعة حتى الآن والمتنامية سريعـاً . ولكنه يبدو لنا طبيعياً ان نفتح ملفاً جديداً امام العالم وبالذات في الامم المتحدة عن التوظيفات المالية الواردة الى الكيان الاستيطاني الصهيوني ودور هذه التوظيفات في استمرار التمييز العنصري الذي تمارسه اسرائيل ضد العرب الذين وقعوا تحت سيطرتها سواء عام ١٩٤٨ او

---

(١) النشرة ص ١٠ .

عام ١٩٦٧، اذ من المعلوم ان الصهاينة يستخدمون هؤلاء العرب كأيد عاملة رخيصة او يجهدون في استخدامهم كذلك خدمة لرؤوس الاموال العالمية الكبرى .

* * *

وختاماً اذا كان لا بد لنا من عود الى بدء ، فاننا نرجو ان يكون هذا البحث قد اظهر لنا كعرب فائدة تتبع نشاط الكيانات الاستيطانية العنصرية في العالم وتماثلها البنيوي وعلاقاتهـــا المشتركة . وفي اعتقادنا ان مثل هذا التتبع لن يكون ذا فائدة لنا كعرب، بل تمتد فائدته الى اصدقائنا في أفريقيا(١) . كما انه سيكون ذا فائدة لحركة التحرر الوطني العالمية من جهة ثانية ، وسيمثل من جهة ثالثة اغناء لطرق البحث وتوسيعاً لآفاق العلم في ميدان السياسة الدولية ونظم الحكم المقارنة .

---

(١) يلاحظ ان احد الباحثين الانجليز انتبه في معرض تعليقـه على كتاب الاستعمار الاستيطاني (المذكور سابقاً) الى ان وضع برنامج دراسات لمفهوم الاستعمار الاستيطاني سيكون مفيداً لجامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية معاً . انظر : بيتر هيللير في شؤون فلسطينية العدد (٣) تموز ١٩٧١ ، ص ١٨٣ .

العنصرية والابادة في الولايات المتحدة (١)

كونستانس بارت

ترجمة : ظافر عبد الواحد

ويليم باترسون William Patterson ، أحد قادة الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة ، ترتبط حياته ارتباطاً وثيقاً بحركة السود الامريكيين في سبيل تحررهم . وكتابه الانسان الذي نادى بالابادة (٢) هو سيرة ذاتية وتأريخ لمناهضة العنصرية في الوقت نفسه .

---

(١) - Bart, Constance, Racisme et génocide aux Etats - Unis, La nouvelle revue internationale, Paris, Octobre 1971 pp. 230 - 232 .

(٢) W. L. Patterson : The Man Who Cried Genocide . New York, International publishers, 1971, 224 p.

يعرف و. باترسون البؤس والهموم الاجتماعية، منذ طفولته. ويصبح حقوقياً، رغم العقبات. وكثيراً مايصطدم المحامي الشاب في هارلم Harlem، بتحيز القضاء الامريكي والتعسف الذي ينهب شعبه ضحية له. ويظن أولاً أن أعداء السود الامريكيين هم مواطنوهم البيض. وتفتح دعوى ساكو Sacco وفانزيتي Vanzetti عينيه. ويناضل مع كل أمريكة التقدمية، في سبيل إنقاذ الإيطاليين المحكومين بالكرسي الكهربائي من أجل «معتقداتهما الراديكالية». ويفهم بمساعدة أصدقائه الجدد الشيوعيين أن التمييز العنصري والاضطهاد الطبقي مظهران من مظاهر السياسة الامبريالية: فالعنصرية تسمم شعور الجماهير، وتبذر التفرقة بين صفوف العمال، وتشكل إحدى وسائل استثمارهم:

«كنت اكتشفت أنه يجب لإنهاء اضطهاد الملونين والبؤس، تغيير الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي ولدتها تغييراً أساسياً».

يرى أن الحزب الشيوعي هو القوة الوحيدة القادرة على قيادة نضال الجماهير الموحد للتحرر من نير رأس المال. ويصبح وليم باترسون شيوعياً؛ تزوده دراسة الماركسية اللينينية ورحلة الى الاتحاد السوفيتي بفهم أعمق للنضال الطبقي، وتزيدانه قناعة بأنه لايمكن لغير الاشتراكية تخليص المجتمع من الاستثمار والظلم العنصري. ويملأ مثل الاتحاد السوفيتي والبلاد الاشتراكية الاخرى التي زالت منها الامية والبؤس والاضطهاد القومي، ملايين الناس الذين يكافحون في سبيل مساواة السود التامة أملا.

يجعله علمه وتجربته ومعرفة متبحرة بسيكولوجية العنصرية أحد قادة حركة المساواة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لسكان الولايات المتحدة السود.

ويسجل النضال ضد تعسف القضاء مرحلة هامة في تاريخ هذه الحركة . ويكشف للعالم كله أن القانون والنظام اللذين تسوّدهما الطبقات الحاكمة في الولايات المتحدة هما مرادف إرهاب واضطهاد ملايين العمال السود والبيض . وفي سنة ١٩٣١ نظمت أول حملة دولية للدفاع عن السود الامريكيين ضحايا المرافعات القضائية ، تلك الحملة التي اشترك فيها وليم باترسون . وهي بشأن الامر الشهير شهرة أليمة ، أمر الشباب التسعة السود الذين حكمت عليهم المحكمة العنصرية في سكوتسبوره Scottsboro (ألابامة Alabama) بالموت بتهمة ملفقة . وتوج هذا الكفاح سبع عشرة سنة ضد القضاء الامريكي بالنجاح : فأطلق سراح المتهمين أخيراً . ولكن ينبغي أن تنتهي كل الحملات المعبأة ضد المحلفين الامريكيين مثل هذه النهاية الطيبة ، كما يكتب مؤلفنا . وفي سنة ١٩٥١ - عهد الماكارثية - رفعت من كل حدب وصوب دعوى « المارتينسفيلين السبعة »، في عز « قنص المشعوذين ». وكسبها العنصريون هذه المرة ، وأعدم سبعة أبرياء .

تابعت الحملات ، ولم يلق وليم باترسون السلاح يوماً . وهو اليوم مع أولئك الذين يناضلون في سبيل حياة إنجيلة ديفيس Angela Davis وحريتها .

أثارت الدعوى الدنيئة المحركة ضد الفتاة السوداء الشيوعية استنكار العالم أجمع . وأكدت مرة أخرى أن القضاء الامريكي أداة اضطهاد طبقي وتمييز عنصري .

تتمثل العنصرية بأكثر الصور تنوعاً ، وتأخذ ألف وجه . هل جلدك أسود ؟

حسبك هذا لتتعرض للاضطهاد ، قتل شرعي أو غير شرعي ، بناء على

قرار محكمة أو لمجرد تهمة ، تمييز في الاستخدام ، انعدام المساعدة الطبية أو نقصها مع زيادة في الوفيات ـ بالتالي ـ بين السكان السود ، شروط لحق التعلم ، إذلال واهانة في كل خطوة .

« يعلم ملايين السود الامريكيين ، وهم يغادرون بيوتهم صباحاً ، أنهم قد لا يعودون اليها مساء اذا لم يرق تصرفهم او طريقة ردهم على سؤال لاحد البيض ، (جنحة قد تؤدي ، وغالباً ما تؤدي ، الى الموت أو سنوات من السجن » .

يشير باترسون ، الى أن الاضطهاد العنصري في الولايات المتحدة ، يؤدي الى الإبادة . ولا ينطبق تعريف الإبادة كما صاغته لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة انطباقاً تاماً على سياسة الإبادة الجماعية الهتلرية في معسكرات الموت وحسب ، بل على الجرائم التي لا تحصى التي ارتكبها العنصريون الامريكيون أيضاً . ويرى باترسون ضرورة تشرب شعور ملايين العمال بهذه الفكرة تشرباً عميقاً . ويستشير رفاقه في الحزب ، فيحوز على تحبيذهم وتأييدهم . وهكذا ولدت مصادرة « نتهم جريمة الحكومة بحق السكان السود ، بالإبادة » ، التي توضح العلاقات بين السياسة العنصرية المطبقة في الولايات المتحدة وجرائم الاوساط الحاكمة بحق شعوب أفريقية وآسية وأمريكة اللاتينية ، وتدل على أن سياسة الإبادة والميول العدوانية أصلها في طبيعة الامبريالية نفسها . وقدمت المصادرة في باريس الى وفود الدورة الخامسة للجمعية العامة للأمم المتحدة ـ سنة ١٩٥١ ـ في الوقت نفسه الذي نقلها فيه بول روبسون Paul Robeson الى أمانة الأمم

المتحدة في نيويورك . وهذه هي المرة الأولى التي اتهمت فيها حكومة الولايات المتحدة أمام الملأ بجريمة إبادة السكان السود .

وأكدت الحياة عدالة الافكار المعروضة في تلك المصادرة ، بعد مضي عشرين سنة : وتتخذ سياسة الإبادة صوراً جديدة ، أشد غدراً ، فتتسلل بطرق ملتوية إلى حيث تم تقدم تافه : مكتسبات رمزية تماماً .

يروي المؤلف (الذي كان مع رفاقه مؤسس حركة حقوق السود المدنية) كيف نجحت هذه الحركة في تدريب جماهير السود الامريكيين المروّعة على العمل السياسي ، كيف اكتسب أناس أبعدوا سابقاً عن السياسة الثقة بأنفسهم وتعلموا العمل الجماعي وتعودوا على التفكير .

« في الحملة العقائدية في سبيل كسب
الفكر ، يصبح النضال ضد العنصرية
جزءاً لا يتجزأ من الكفاح في سبيل
السلام والحرية »

يسلط كتاب باترسون النور على الدور الذي تلعبه حركة تحرير السود في الهجوم المعلن على الامبريالية الامريكية في الولايات المتحدة نفسها .

★ ★ ★

النظام الاستعماري والصناعات التعدينية (١)

تأليف: م.س. روزين

ترجمة: غسان رسلان

تأثرت الصناعات التعدينية الافريقية بشكل كبير نتيجة لانهيار النظام الاستعماري الذي حدث بسرعة .

وفي قطاع الصناعات التعدينية هذا ، الذي يعتبر قطاعاً مهماً في الاقتصاد الافريقي ، تحدث الآن تطورات ذات طبيعتين :

من الناحية الاولى نجد الدول الاستعمارية الرأسمالية التي أرغمت على الاعتراف بالاستقلال السياسي للدول التي كانت تحكمها ، تسعى بكل مالديها من قوة لابقاء نفوذها وتوسيعه في اقتصاد تلك البلدان .

(١) م . س . روزين : تطور الصناعات التعدينية في افريقيا ، موسكو ، ١٩٧٠ .

واذا كانت الاحتكارات العالمية قد فقدت السيطرة على المستعمرات ، إلا أنها لا تتوقف عن اتخاذ أية اجراءات (اقتصادية ، سياسية وعسكرية) كي تبقي في يديها مصادر الثروة الطبيعية في البلاد التي كانت تستعمرها قديماً ، بالاضافة الى أخذ مصادر جديدة . ولما كانت دول المعسكر الاشتراكي العالمي قد بدأت منذ مدة طويلة بأخذ دورها في تحديد مسيرة التطور التاريخي ، نجد ان الاحتكارات الرأسمالية باتت تستخدم أساليب جديدة لنهب واستخدام مصادر الثروة الطبيعية والمواد الخام . وهذا يظهر في الاتجاهات الآتية:

● التغيير نوعاً ما من شروط الامتيازات التي تنالها هذه الاحتكارات للتنقيب ولاستثمار الثروات الطبيعية من مصادر وجودها (ومن تلك الشروط ، زيادة العائدات التي تمنحها هذه الاحتكارات للدول صاحبة الثروات الطبيعية ، التقليل من مساحة الاراضي ومن مدة الامتياز ، والتعهد بتصنيع جزء من الثروات الطبيعية في البلدان التي يتم التنقيب فيها) .

● تشكيل شركات مختلطة تساهم فيها الاحتكارات الاستعمارية والدولة الوطنية ورأس المال الخاص للدول الافريقية .

● تشكيل اتحادات بنوك رأسمالية دولية (الكونسورتيوم) .

● تقديم القروض والمساعدات عن طريق بنوك الدولة أو منظمات دولية خاصة لرأس المال الاحتكاري والسعي بعد ذلك ، بحجة مراقبة استخدام القروض الممنوحة ، لوضع إشراف تلك المؤسسات الاحتكارية على اقتصاد البلدان الفتية .

● المساهمة في بناء مشاريع الري وبعض المصانع التي تشرف على قطاع التعدين ، وذلك لربط تلك المصانع باقتصاد الدولة الاستعمارية المتطورة .

ويمكننا ان ندلـــل على أقوالنا هذه بحقائق ووقائع دامغة . ففي ليبيا الملكية كان قد صدر قانون يرغم الشركات الاجنبية التي حازت على امتياز للتنقيب عن النفط هناك ، يرغمها أن تعيد ٧٥٪ من الأراضي الخاضعة لامتيازها وخلال عشرة أعوام الى الحكومة الليبية . واما حكومة الكاميرون فقد اعادت النظر في الاتفاق المعقود بينها وبين الشركة الفرنسية « اليوكام » التي تستثمر مصنع الالمنيوم في مدينة ايدا . وبموجب الاتفاقية الجديدة تتعهد الشركة صاحبة الامتياز بتنظيم استثمار مناجم البوكسيت محلياً ، وببناء مصنع لاوكسيد الالمنيوم. وتنتشر الآن الشركات المختلطة، حيث تساهم الحكومات الافريقية فيها الى جانب شركات احتكارية عالمية او تابعة لدولة رأسمالية واحدة .

وبعد ان حصلت تونس على استقلالها اعيد تنظيم الشركة التي تستثمر مناجم الفوسفور وتسيطر على جزء من الخطوط الحديدية ، بحيث انتقـــل ٥٠٪ من أسهمها الى يد الحكومة التونسية .

وفي ليبريا تشكلت شركات مختلطة ساهمت فيها الحكومة لاستثمار مناجم الحديد الموجودة في مقاطعة مدينة نيمبـــا (رأس المال سويسري وأمريكي) ، وفي مقاطعة مانو (رأس المال ألماني غربي) . وكثيراً ماتلجأ الاحتكارات الى تأسيس اتحادات رأسمالية (كونسورتيوم) على اعتبار انها خير وسيلة وأضمن لاستثمار رؤوس الاموال في عهدنا هذا ، حيث انهار النظـــام الرأسمال الاستعماري .

وهكذا تم في غينيا تأسيس كونسورتيوم بمساهمة كل من الولايات المتحدة الامريكية والاحتكارات الانكليزية والفرنسية والسويسرية والالمانية الغربية ، وذلك من اجل بناء مصنع لاوكسيد الالمنيوم في منطقة فريا. وقد بدأ هذا المصنع انتاجه عام ١٩٦٠ (١) .

---

(١) « Metal Bulletin » , 16 - 3 - 1962 .

كما تأسست شركة لاستغلال مناجم الحديد في موريتانيا (ميفرما) ساهمت فيها كل من فرنسا وانكلترا وايطاليا والمانيا الغربية (١) .

وللتنقيب عن خامات المنغيز واستخراجه تأسست في جمهورية الغابون شركة (كومياوغ) ، ساهمت فيها الشركات الفرنسية ومكتب التعدين الفرنسي الذي يدرس المساحات والأراضي الاجنبية ، بالاشتراك مع اتحاد المعادن الأمريكي . ومثل هذه الوقائع والشواهد لايمكن حصرها ، فهي عديدة .

ومن المعروف جيداً انهذه الشركات الأجنبية ذات رأس المال الاحتكاري ، يساعدها عن طواعية البنك الدولي للاعمار والتطوير . ففي عام ١٩٥٩ قدم لشركة « كومياوغ » قرضاً قيمته ٣٥ مليون دولار من أجل بناء منجم المنغنيز ولشراء التجهيزات المعدنية ، ولشق وفتح الطرق الحديدية ، كما ان هذا البنك قدم لشركة « ميفرما » في موريتانيا قرضاً قيمته ٦٦ مليون دولار عام ١٩٦٠ لشراء التجهيزات المعدنية ولتنظيم مناجم الحديد ، ولمد الخطوط الحديدية ولبناء الميناء وتجهيزه (٢) .

وعن الضغط الذي تمارسه الدوائر الاحتكارية الامريكية والأوروبية الغربية على دول افريقيا الفتية ، تشهد قصة القرض الذي كان سيقدم لغانا لتمكينها من بناء سد ومحطة كهربائية ومصنع للالومنيوم على نهر الفولطا ومن استخراج البوكسيت الموجود باحتياطات كبيرة .

وفي عام ١٩٥٦ تم وضع مخطط تفصيلي لهذه المشاريع بواسطة لجنة تحضيرية خاصة تألفت تحت اشراف الشركات الانكليزية والكندية لصناعة الالومنيوم والتي شكلتها الحكومة الانكليزية وادارة المستعمرات . إلا أنه بعد حصول غانا

---

(١) « The World Bank - its role in mineral development », « Mining Journal », 1963 № 6699 ,

(٢) « Ghana today » , 1961, vol. 4, ive 24 .

على استقلالها عام ١٩٥٧ لوحظ تباطؤ في تنفيذ هذا المشروع الذي كان من أسبابه، حسب قول الصحف،هو تلك المطالب الجائرة التي اعلنتها الدول الممولة للمشروع، والتي تشكل مساساً باستقلال غانا الوطني . وبعد مباحثات طويلة تم في عام ١٩٦١ الوصول الى اتفاقية مع الحكومة الامريكية والانكليزية ، وتتعهد كل منها بتمويل بناء محطة توليد الكهرباء على نهر الفولطا ، وبنـــاء مصنع الالومنيوم في الميناء الجديد المسمى تيما (هذا المصنع الذي تم التعاقد على بنائه بعد تشكيل لجنة خاصة وشركة اطلق عليها اسم (فولطا الومنيوم) والتي يرأسها احتكار « هنري كايزر »(١) . عند ذلك فقط قرر البنك الدولي منح غانا قرضاً قيمته ٤٧ مليون دولار لبناء محطة توليد الكهرباء وما يتعلق بها من المشاريع(٢) . وعلى ما يظهر كان لقرار البنك الدولي هذا علاقة كبيرة بقرار الحكومة الغانية المتعلق بتمويل المشروع حسب الخطة المرسومة بين أعوام ١٩٥٩ - ١٩٦٤ ، بمقدار ١٠٠ مليون جنيه استرليني .

ان تأسيس حكومات وطنية في أفريقيا يؤثر بشكل جيد على نمو وتوزع صناعاتها التعدينية . وفي هذا المجال تلاحظ تطورات متنوعة :

(آ) ـ انتقال المؤسسات التعدينية التي كانت تمتلكها ادارة المستعمرات الى يد الحكومات الوطنية الافريقية بشكل كلي أو جزئي .

(ب) ـ تلاحظ في بعض الدول ظاهرة تأميم المؤسسات التعدينية ونمو قطاع الدولة .

(جـ) ـ التشريعات الجديدة التي سنتها الدول الافريقية للحد من صلاحيات

---

(١) « Mining Journal » , 1963, № 6669 .

(٢) الاحصاءات الواردة عن غانا تتعلق بالفترة الواقعة حتى ٢٤ شباط ١٩٦٦ .

الاحتكارات الامريكية والاوروبية الغربية .

(د) — تنظيم اعمال التنقيب والاستكشاف الجيولوجية في تلك الدول .

(ﻫ) — تهيئة الكوادر الفنية اللازمة في قطاع الجيولوجيا واعمال التنقيب عن الثروات الطبيعية .

(و) — بناء مؤسسات الصناعة التعدينيـــة ، وبناء مؤسسات تصنيع واستخراج المعادن والتي تعتمد على المواد الخام المعدنية الموجودة في البلد ذاته .

ان ظهور الدول المستقلة يعطي لهـــا الحق في تسلم المؤسسات والمصانع والثروات التي كانت تحت سيطرة الادارة الاستعمارية سابقاً . وقد حدث هـذا التطور في بعض البلدان المستعمَرة دون أية تعقيدات . ففي مراكش مثلا كانت مناجم المنغنيز مركزة في يد شركة « اوفيس شيرفين دي فوسفات » التي كانت تخص ادارة المستعمرات . وبعد اعلان الاستقلال انتقلت هـذه الشركة بجميع مؤسساتها الى يد الحكومة المراكشية ، التي منحتها حق التنقيب عن الفسفور وتصنيعه وتصديره .

إلا أنه كثيراً ما يحدث أن تلجأ الاحتكارات الرأسمالية الى جهاز الدولة التي تتبعها ، وتحيك المناورات والاعمال العدائية ، حتى تحرم الحكومات الوطنية من حقها الطبيعي في امتلاك مناجمها ومصانعها الاخرى .

وقد حاولت الاحتكارات الامريكية والانكليزية والبلجيكية القيام بأعمال عدائية ضد جمهورية الكونغو (كنشاسا) الفتية ، بعد أن حصلت هذه على استقلالها . وكان الدافع من وراء هذه الاعمال العدائية هو عدم رغبة الاحتكارات فقدان رقابتها واشرافها على الثروات الفنية لمقاطعة كاتنجا . وحاولت هـــذه

الاحتكارات أيضاً منع الدولة الافريقية الفتية من الاشتراك والمساهمة في عمل الشركة ، مع انه او بموجب القوانين الدولية ، كان يجب ان تنتقل الاسهم التي تملكها المؤسسة الحكومية ، وهي لجنة كاتنغا الخاصة في الشركة المشهورة باسم (اونيون مينير كونغو او كاتنغا) ، الى حكومة الكونغو كينشاسا بصورة اوتوماتيكية .

ومن الخطوات الفعالة التي تهدف الى الحصول على الاستقلال الاقتصادي، تعتبر مسألة تأميم مؤسسات استخراج المعادن وتصنيعها ، بالاضافة الى تأسيس منظمات تابعة للدولة تشرف على ادارة المؤسسات المؤممة وعلى بناء مصانع جديدة .

وفي هذا المجال تم تحقيق بعض الخطوات المنفردة في غينيا (تأميم صناعة الماس) وفي جمهورية مصر العربية (تأميم شركات النفط مع دفع التعويضات لها، تأسيس تنظيمات حكومية خاصة مثل : الهيئة العامة للبترول، الهيئة العامة للصناعات التعدينية ، الهيئة الحكومية لتصنيع فلزات الحديد ، بناء معمل الصناعات التعدينية في حلوان) ، وفي الجزائر (تم بناء انابيب النفط الحكومية التي تمتد حتى أرزف ، تنظيم الدولة لاستخراج الفلزات الحديدية من بني سعف ، بناء مصنع تعديني في عنابة) ، وفي غانا (تم تأميم خمس مصانع لاستخراج الذهب ودفعت لأصحابها التعويضات المناسبة ، الغاء امتياز الشركة الهولندية التي كانت تصنع الماس ، وتأسيس الادارة الحكومية المكلفة بشراء وبيع الماس عام ١٩٦٢) (١) ، وفي تانتزانيا (أممت البنوك الاجنبية والشركات الكبرى) ، ومثل هذه الاجراءات تمت في دول افريقية اخرى .

---

(١) « Mining Journal » , 1962, № 6617 .

وقد وضعت الحكومات الوطنية قيوداً على اعمال الاحتكارات الرأسمالية الاجنبية ، وكان لهذا الاجراء قيمته العملية الكبرى .

فمثلا ، بموجب القانون الذي صدر في عام ١٩٦١ في الجمهورية العربية المتحدة حددت حصة مساهمة الدولة في الشركات المختلطة بنسبة ٥٠٪ وخاصة في شركات النفط .

وأما حكومة جمهورية غينيا فقد اتخذت عام ١٩٦١ قراراً بمنع « شركة البوكسيت والنحاس » من متابعة تحرياتها وعملها في غينيا ، هذه الشركة التي تشرف على تمويلها جماعة «ميلون»، كما منعتها الحكومة الغينية من استثمار مناجم البوكسيت واوقفتها عن عملها نظراً لانها - أي الشركة - رفضت بناء مصنع ينتج اوكسيد الالمنيوم اللازم لصناعة الالمنيوم . وكان من الأسباب الموجبة لذلك ان الشركة تستخدم اساليب استعمارية في استثمارها لمناجم البوكسيت الذي ترسله الى بلاد اجنبية لتصنعه . واتخذت حكومة غانا عام ١٩٦٠ مرسوماً يقضي بأن «تتم عمليات بيع الماس بواسطة السوق الذي تشرف عليه الحكومة في مدينة اكرا»(١) . وفي عام ١٩٦٢ اصدرت قانوناً حول استخدام الثروات الطبيعية ، يقضي بأن تدفع الشركات الاجنبية المساهمة ٦٠٪ من دخلها وربحها من استخراج الثروات الطبيعية لتوظيفه واستثماره في غانا .

وفي شهر كانون الثاني من عام ١٩٦٢ أصدرت حكومة سيراليون قراراً أوجب على الشركة الانكليزية التي تستثمر مناجم الماس (سيراليون سيليكش تراست) أن تبيع الماس المستخرج بواسطة المكتب الحكومي ، الذي يشرف على عمليات بيعه (٢) .

وفي الامتيازات الجديدة التي تمنحها حكومات الدول الافريقية للشركات

---

(١) « Annual review », 1963 ; « Mining journal » . 1963 , May .

(٢) « Nachrichten für Aussenhandel » 7. IX. 1959 .

الاجنبية ، تضع هذه الحكومات شرطاً مهماً: وهو تصنيع المواد الخام المستخرجة كلياً أو جزئياً ضمن البلد ذاته .

ومع أن احتكارات الولايات المتحدة والدول الغربية ما تزال تسيطر على القطاعات الرئيسية في الصناعات التعدينية لبلدان أفريقيا ، الا أننا نجد اهتماماً ملحوظاً في هذه البلدان بتنظيم أعمال التنقيب والبحث عن الخامات المعدنية (كما يحدث في الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية غينيا ومالي وغيرها من الدول الافريقيـــة) .

وهكذا تم في عام ١٩٦٢ اكتشاف فلزات الاورانيوم في مكان قريب من مدينة القصير على ساحل البحر الأحمر ، وقد اكتشف هذا المعدن على يد هيئة الجيولوجيين المشرفة على الطاقة الذرية في الجمهورية العربية المتحدة . وقبل ذلك اكتشفت مناجم الفحم في شبه جزيرة سيناء ، واكتشفت أيضاً مواطن الفسفور في شمال مدينة ادفو(١) .

وعثر في الكونغو (برازافيل) على اماكن كبيرة مليئة بأملاح البوتاسيوم في مقاطعة اول سان بول .

---

(١) ان الاخصائيين الأجانب عادة ينتقصون من قيمة النفط والغاز التي تحتويها البلدان الافريقية . وهكذا مثلاً في كتاب الاخصائي البورجوازي الكبير فريد نسبورغ الذي يبحث في مصادر الثروة الطبيعية ، نجد في مقاله عن ليبيا أنه لايعطي اية فكرة جيولوجية عن طبيعة مناطق الغاز والنفط وعن مستقبل صناعة استخراج النفط ، مع أن هذه الصناعة بلغت عام ١٩٦٦ مايقرب من ٧٢ مليون طن . انظر المرجع الآتي :

F. Friedensburg, die Bergwirtschaft der Erde, 6 - te Auflage Stuttgart, 1965 .

كما عثر على كميات كبيرة من أملاح البوتاسيوم في مراكش وتونس .

التغيرات التي طرأت على بنية وجغرافية الصناعة التعدينية :

بنتيجة تلك التطورات التي حدثت سابقاً وتحدث الآن طرأت تغيرات على بنية وجغرافية الصناعة التعدينية في أفريقيا .

عندما بلغت أزمة الرأسمالية العالمية مرحلتها الثانية والثالثة حدث تقدير مبالغ فيه لثروات أفريقيا الطبيعية ولعدد من أنواعها الهامة ، بحيث ارتفع انتاجها بشكل كبير .

وهكذا مثلاً كان القسم الأكبر من أفريقيا يعتبر ، حتى اشتعال الحرب العالمية الثانية ، منطقة خالية من النفط . اذ استخرجت كميات قليلة منه في مصر. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ابتدأت أعمال التنقيب والاستكشاف تجري على مناطق واسعة من أفريقيا ، ثبت أنها غنية جداً بالنفط وخاصة المناطق الشمالية والغربية منها(١) .

ونتيجة لاستخراج النفط من آباره تغيرت بشكل جذري بنية الطاقة الكهربائية الحرارية في أفريقيا، كما تغيرت جغرافية المصادر الرئيسية للمواد الخام.

وحتى عام ١٩٦٠ كان الانتاج الرئيسي لافريقيا يقتصر على استخراج الفحم بشكل رئيسي (في جمهورية جنوب أفريقيا وروديسيا الجنوبية) ، وأحياناً (في شمال مراكش والجزائر) وأفريقيا الغربية (نيجريا) ، كما كان الانتاج يعتمد على المستوردات النفطية . وفي عام ١٩٦٢ — ١٩٦٣ أصبحت كميات الفحم

---

(١) جريدة الازفستيا ٨ / ٤ / ١٩٦٧.

والنفط المستخرجة متساوية ، وفي عام ١٩٦٦ زاد انتاج النفط بمرتين ونصف عن انتاج الفحم .

وقد اصبحت مراكز الحصول على الطاقة الحرارية موزعة بشكل رئيسي في شمالي أفريقيا (الجزائر وليبيا) وفي غربها (نيجريا) .

ونظراً للتطورات التي تمت في هذا المجال أصبح من الضروري وضع خطة تسير عليها الصناعة النفطية وصناعة استخراج الغاز في شمالي وغربي أفريقيا . والوضع الحالي هنا يتلخص في كون الشركات الاحتكارية الامريكية والانكليزية والفرنسية ، التي تسيطر بشكل رئيسي على منابع هذه المادة ، والتي بنت انابيب خاصة لنقلها ، هذه الشركات نراها تفضل ارسال النفط والغاز خارج حدود القارة الأفريقية وخاصة إلى دول أوروبا الغربية .

وان دول أفريقيا مهتمة كثيراً باستخدام هذه المواد في التصنيع . وتقرير هذه المسألة يرتبط الى حد كبير بتحرير منابع النفط والغاز من سيطرة الاحتكارات الرأسمالية .

ويلاحظ اهتمام كبير ببناء مصانع لتكرير البترول . وكما أثبتت التجربة العلمية فإن مصانع تكرير البترول لا تبنى فقط في الدول المنتجة لهذه المادة كما في الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وليبيا ونيجريا ، ولكنها تبنى أيضاً في بلدان أفريقية تستورد النفط مثل ليبريا ، مراكش ، تنجنيقا و كينيا وغانا والسنغال . والأمر المهم هنا بالنسبة لتطور الاقتصاد ، هو ما إذا كانت هذه المصانع ملكاً للدول الأفريقية ذاتها ، أم ملكاً للشركات الاحتكارية الغربية .

وغالبية المصانع تبنيها شركات مختلطة أو أجنبية ، زد على ذلك أن هذه

الشركات الأجنبية تسعى للحصول على أرباح باهظة ، لقاء استخدام اليد العاملة الرخيصة في أفريقيا .

والى جانب ذلك نجد في بعض الدول الأفريقية مصانع انشأتها الدولة كما في الجمهورية العربية المتحدة (مصانع السويس) وفي اثيوبيا (آساب) . وقد بني هذا المصنع بمساعدة الاتحاد السوفيتي ، ويستطيع بما ينتجه سنوياً (٥٠٠ الف طن) أن يغطي جميع احتياجات السوق المحلية من المنتجات النفطية ، كما يستطيع أيضاً فرز قسم كبير منها للتصدير (١) .

وحدثت تطورات مهمة في نمو وتوزيع الصناعات الحديدية .

وهكذا بقيت ليبريا حتى عام ١٩٥٠ تعتبر من الدول التي لا تحوي على احتياطيات الحديد. وفي عام ١٩٥٢ انعقدت الدورة التاسعة عشرة لمجلس الجيولوجيا الدولي وقدرت احتياطيات الحديد في ليبريا وقتها بـ ٣٠ مليون طن . وفي نشرة الأمم المتحدة لعام ١٩٥٥ تم تقدير الاحتياطي العام من الحديد بـ ١٠٠ مليون طن والإحتياطي الكامن بـ ٢٠٠ مليون طن . وفي المدة الأخيرة برز رقم /١٠٠٠/ مليون طن للاحتياطي العام بما في ذلك ٧٠٠ مليون طن من الاحتياطيات الموجودة فعلا والاحتياطيات المحتمل وجودها (٢) .

وفي عام ١٩٢٠ قدر احتياطي غنيا من فلزات الحديد من ٣٦٠ مليون

---

(١) « Survey of World Iron Ore Resources » , New York, 1955 .

(٢) « Mineral Facts and Problems » , Washington, 1960; « Annales des mines » , 1960 .

طن الى ١٠٥ مليار طن في منطقة كوناكري . الا أن هذه الاحتياطيات بقيت ما يقرب من ٣٠ عاما دون أن يستفاد منها .

وابتدأ باستثمارها في عام ١٩٥٣ فقط . وقد اكتشفت في السنوات الأخيرة في كل من غينيا وليبريا وعلى الجبال الممتدة هناك (نيمبا) احتياطيات كبيرة من الحديد تقدر بـ ٢٥ مليار طن تقريباً(١) .

ونتيجة لاكتشاف مناجم الحديد واستخراج فلزاته في ليبريا وغينيا وموريتانيا ، ونتيجة لزيادة استثمار مناجم سيراليون ، نجد أن صناعة استخراج الفلزات الحديدية قد اتسعت في أفريقيا بشكل كبير .

وانتقل المركز الرئيسي لاستخراج الحديد الى أفريقيا الغربية التي سبقت المراكز السابقة في أفريقيا الشمالية (الجزائر ، تونس ومراكش) وفي أفريقيا الجنوبية (جمهورية جنوب افريقيا) .

وبلغت القدرة العامة لمناجم الحديد في كل من ليبريا ، موريتانيا ، وسيراليون ، في عام ١٩٦٦ ما يقرب من ٣٠ مليون طن (٢) .

أما بالنسبة لصناعة استخراج المنغنيز فقد زاد دورها في افريقيا الوسطى نظراً لاكتشاف مصادره الغنية في الغابون (منطقة مواندا) .

---

(١) « Mining Journal », 1961, № 6561 .

(٢) G, Schnellmann, Iron Ore Reserves and the World's Changing Needs, « Optima » 1966, № 2 .

من صفحة ٧٣ الى ٨٣

وهكذا توضحت في افريقيا معالم أربع مراكز رئيسية لاستخراج المعادن وهي : افريقيا الجنوبية (جمهورية جنوب افريقيا) ، وافريقيا الوسطى (الكونغو كنشاسا والغابون) ، وافريقيا الغربية (غانا) وافريقيا الشمالية (مراكش) .

وقد بقيت صناعة الحديد، اذا ما استثنينا بعض المعامل الصغيرة التحويلية، حتى السنوات الأخيرة معدومة في بلدان افريقيا باستثناء جمهورية جنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية . ومع أن التحولات الجذرية في هذا القطاع ، والتي تناسب الثروات المعدنية الغنية في افريقيا لم تحدث بعد ، إلا أن الجليد بدأ يتحرك .

ففي الجمهورية العربية المتحدة بني في مدينة حلوان مصنع تعديني يستمد خاماته الحديدية من منطقة أسوان .

وفي الجزائر تم بناء مصنع تعديني كبير في منطقة عنابة بمساعدة الاتحاد السوفيتي ، ويستمد هذا المصنع موارده المعدنية من خامات الحديد الموجودة في ونزا وبوخرده .

وفي مراكش من المقرر أن يتم بناء مصنع تعديني طاقته السنوية ٢٥٠ ألف طن من الحديد . وسوف يأخذ حاجته من الفحم من منطقة جراد ، والحديد من منطقة بني بوفرود .

وفي نيجيريا ، التي تمتلك احتياطيات كبيرة من خامات الحديد ، تم حسب الخطة الاقتصادية الانمائية (١٩٦٢ — ١٩٦٧) ، بناء مصنع تعديني طاقته ٢٥٠ الف طن سيقدمها سنوياً ، من المنطقة الغنية بالفحم والمسماة اينوغو .

وفي تونس تم بناء مصانع صغيرة للتعدين (في قرية بورقيبة وقدرته ٧٠ الف طن حديد) وفي غانا (تيما وقدرته من ٣٠ — ٤٠ الف طن).

ومن الخامات غير الحديدية نجد خامات النحـــاس في وسط افريقيا (الكونغو كينشاسا وزامبيا) تحتل مركزاً مهماً بما تحتويه من النحاس. الا أنه قد يحدث في المستقبل أن تحتل صناعة استخراج البوكسيت المكانة الأولى (نظراً لما تحتويه من الالومنيوم)، بعد أن ظلت حتى عام ١٩٥٠ مغمورة تقريباً.

وبهذه المناسبة نذكر أن خامات البوكسيت قد تم اكتشافها في غينيا عام ١٩٠٥ (١).

وفي عام ١٩١٢ حصلت «شركة البوكسيت والنحاس» التي تشرف عليها جماعة ميلون، على امتياز للتنقيب عن البوكسيت واستخراجه من مناطقه في جزر لوس(٢). إلا أن البدء باستثمار هذه المناطق لم يتم إلا في بداية الحرب العامة الثانية، أي بعد ثلاثين عاماً من الحصول على الامتياز.

وهذا يعتبر خير دليل وأصدق تصوير للطريقة المجربـــة التي تستخدمها الاحتكارات الرأسمالية لتثبيت امتيازاتها التعدينية من أجل الفوز على المنافسين لها، ولإعاقة عمليات التنقيب الجديدة.

وحسب احصاءات مكتب التعدين الامريكي التي طبعت عام ١٩٥٣

---

(١) « Mining Journal », 1962 № 6639.

(٢) R, Furon, Inventaire des minéraux et des roches de l'Afrique Occidentale, Paris, 1954. صفحة ٢٨٢

بلغت احتياطيات البوكسيت في غينيا قدراً ضعيفاً جداً (٦ ملايين طن) (١) ، مع أنــه ظهرت في عام ١٩٤٦ احصاءات تقول بوجــود ١٠٠ مليون طن (٢) . وتغير الوضع كثيراً في السنوات الأخيرة ، إذ قدرت احتياطيات غينيا على النحو التالي : الاحتياطيات العامة بمليار طن(٣) ، وأما الاحتياطيات الكامنة فتقدر بـ ٢ مليار طن (٤)

إن نمو صناعة الألمنيوم في البلدان الغربية ،وسعي الاحتكارات الامبريالية التكيف مع الوضع السياسي في افريقيا ، أدى إلى أن تلك البلدان أخذت تظهر اهتماماً زائداً باستثمار الالمنيوم من مكامنه الغنية في افريقيا .

وفي زمن الحرب العالمية الثانية ابتدأ باستثمار مناجم البوكسيت في غانا ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تم استثمار مناجم البوكسيت في غينيا .

وفي غينيا تم بناء مصنع ينتج اوكسيد الالمنيوم ، أما في الكامرون فبني مصنع لانتاج الالمنيوم (حيث اكتشفت مكامن غنية بالبوكسيت) .

ومن المقرر أن يبنى مصنع كبير للالمنيوم في غانا (طاقته الانتاجية

---

(١) « Handbuch der praktischen kolonial wissens - chaften » Bd III, T. 2, Berlin, 1942 . صفحة ٦٤

(٢) « Materials Survey. Bauxite » , washington 1953 ,

(٣) « Aluminium. United States Tariff Commission » washington, 1946 .

(٤) « Mineral Facts and Problems », washington 1960

ما يقرب من ١٠٠ الف طن في العام) (١) وبعتمد في انتـاجه على مكامن واحتياطيات البوكسيت الغنية وعلى طـاقة محطـة التوليد الكهربائية لنهر الفولطا التي انتهى بناؤها في كانون الأول ١٩٦٤ .

ويجدر القول ان استخدام الالمنيوم يزيـد بشكل اكبر عن استخدام المعادن غير الحديدية الأخرى .

وحسب الاحصاءات التي قدمها غ . لاندسبرغ الخبير في الاتحادالامريكي المسمى « موارد للمستقبل » سوف تتزايد حاجةالولايات المتحدة الامريكية الى المعادن الاولية خلال الفترة الواقعة بين عام ١٩٦٠ ـ ٢٠٠٠ ، من النحاس بـ٥ر٢ مرة ومن الرصاص بـ ٤ر٢ مرة ، ومن التوتياء بـ ١ر٧ مرة ومن الالمنيوم بـ٣ر٦ مرة (٢) .

ويمكننا ان ننظر الى هذه النتائج من منظورات مختلفة، إلا أنه، وحسب تزايد الطلب على المعادن غير الحديدية ، نجد الألومنيوم من أكثر المعادن استعمالا وطلباً .

واذا ما اخذنا بعين الاعتبار تلك الاحتياطيات الهائلة التي تحويها افريقيا الغربية من البوكسيت ، فإن مكامنه هناك يمكن ان يكون لها دور مهم في تأسيس صناعة الالومنيوم لتطوير وتنمية الاقتصاد الوطني لدول أفريقيا .

وفي بلدان افريقيا توجد مكامن عظيمة للنحاس وخاصة في زامبيا والكونغو

---

(١) H. Landsberg, L. Fishman, J. Fisher, Resources in American's Future, Baltimore, 1963 .

صفحة ٤٥٩

(٢) « Mining Journal » , 1967, № 6851 .

كنشاسا ، واقتصاد هذه البلدان يتعلق الى حد كبير بصناعة استخراج المعادن وتصنيعها .

وبعد ان حصلت الكونغو (كنشاسا) على استقلالها اتخذت الاحتكارات الرأسمالية للولايات المتحدة وانكلترا وبلجيكا اجراءات عدائية ضد هذه الجمهورية الفتية محاولة بذلك منع الحكومة الوطنية من المساهمة بالشركة التي تستثمر الموارد الطبيعية الرئيسية في البلاد .

وبنتيجة للاجراءات الحاسمة التي اتخذتها حكومة الكونغو ، اضطرت الاحتكارات الرأسمالية في عام ١٩٦٧ الى عقد اتفاقية تتعلق بالمساعدات التكنيكية مع الحكومة الوطنية وبشروط مقبولة ومناسبة .

وتمكنت حكومة زامبيا بعد حصولها على الاستقلال وبنتيجة المباحثات الطويلة ان تتوصل الى إلغاء الحقوق الممنوحة لشركة « بريتش ساوث آفريكا كومبانيا » التي ارغمت على دفع تعويضات مادية لقاء استغلالها الخامات الاولية في البلاد .

وقد أثر نظام حكم الأقلية العنصرية في جنوب روديسيا على الصناعات التعدينية في زامبيا وسبب لها مصاعب كبيرة وخاصة فيما يتعلق بنقل منتجاتها،على اعتبار أن الخطوط الحديدية التي تؤدي الى الموانىء تمر في أراضي جنوب روديسيا. وبهذه المناسبة فقد عقدت حكومة زامبيا اتفاقاً مع حكومات تانزانيا والكونغو (كنشاسا) يتعلق بنقل منتجاتها من المعادن عبر أراضي هاتين الدولتين (١) .

---

(١) « H. Landsberg, Future Requirements of Major Metals », - « Quarterly Colorado School Mines », 1993 , № 1 .
(أشار هذا المؤلف في بحث آخر الى أن زيادة امكانية استخدام الالمنيوم هي ٨٠٠٪) .

وكثيراً ما كانت تختلط القطاعات الاولية للصناعات غير الحديدية في البلدان التي تستخرج الفلزات الملائمة والتي تعتمد على المعادن الثقيلة ، فمثلا ، في الكونغو (كنشاسا) وزاميا (رودیسیا الشمالية) كان هناك حتى الحرب العالمية الثانية مصانع لصهر النحاس الاولي ، ومصانع اقل لتنقيته وتكريره .

إلا اننا نلاحظ في توزع الصناعات غير الحديدية وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية تغيرات مهمة .

وهكذا تم توسيع صناعة النحاس وصهره في زاميا (رودیسیا الشمالية) وفي الكونغو (كنشاسا) ، كما تم انشاء مصنع لصهر النحاس في اوغندة (في مدينة دجنيدة) ، كما نظمت صناعة التوتياء الالكتروليت في الكونغو (كنشاسا) وتم بناء مصنعين لصهر القصدير في نيجريا (بدأ عملها في عام ١٩٦١ — ١٩٦٢) ، وبنيت مصانع لصب القصدير وصهر النحاس في جنوب غربي افريقيا . (في هذا البلد الذي تسيطر عليه جمهورية جنوب افريقيا ما يزال النظام الاستعماري سائداً هناك) .

وبين الثروات الطبيعية غير المعدنية في افريقيا يشغل كل من الماس مكانة مرموقة (بقيمته) ، والفسفور (حسب وزنه) .

ولم يحدث أي تغير في توزع الماس في افريقيا (التي تعتبر المصدر الرئيسي له) ؛ هذا اذا ما اخذنا بعين الاعتبار ان غينيا وليبريا كان يتم فيها استحصال الماس وتصديره بشكل غير قانوني ، أما الان فقد وضع اشراف الدولة على تصديره .

وتشغل دول شمال افريقيا اهمية حاسمة بانتاج الفسفور ، كما كان وضعها سابقاً ، حيث تشغل المكانة الاولى مراكش والثانية تونس . أما في الجزائر

ونتيجة للبحث والتنقيب فقـــد اكتشف الفسفور في جبل عنق وقدر بـ ٥٠٠ مليون طن . (١)

وفي عام ١٩٦٥ تم بناء منجم يعطي في السنة ٨٠٠ الف طن ، وهذا القدر يزيد عن كل ما كانت تعطيه المناجم السابقة من الفسفور في الجزائر (٥٠٠ ـ ٦٠٠ الف طن في السنة) .

وفي السنوات الاخيرة زاد الاهتمام باستخراج الفسفور في افريقيا الغربية (السنغال وتوغو) وافريقيا الجنوبية (في جمهورية جنوب افريقيا) . اما مكامن الفسفور التي تقع في شمال افريقيا والتي تشتهر بغناها ، فقد خصص فسفورها للتصدير بالدرجة الاولى .

وأما مصانع السوبر فوسفات الموجودة في هـــذه الدول فتستثمر جزءاً قليلا من الفوسفور المستخرج فيها .

وبعد أن حصلت دول شمال افريقيا على استقلالها بدأت باتخاذ الخطوات العملية الاولى لاستخدام واستثمار مادة الفوسفات الخام فيها .

وقد بني في مراكش عام ١٩٦٢ مصنع كيميائي كبير قرب مدينة اسفي معتمداً في انتاجه على الفسفور الموجود هناك .

وكان باستطاعة الدول الافريقية ان تحقق نجاحات اكبر في مجال صناعة استخراج المعادن وتصنيعها ، لولا ان الاحتكارات الرأسمالية الغربيـــة ماتزال تحتفظ بسيطرتها على أغلب قطاعات الصناعة التعدينية في تلك الدول .

أهمية التعاون الاقتصادي والتكنيكي مع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى :

(١) « Mining Journal » , 1966, № 9831 .

ان المساعدة التي يقدمها الاتحاد السوفيتي وغيره من الدول الاشتراكية تعتبر ذات أهمية كبرى في تدعيم الصناعات التعدينية واستخراج المعادن في دول افريقيا ، بالاضافة الى جعل تلك الصناعات تسير في طريق التطور المستقل بعيداً عن ضغط الدول الرأسمالية . وتتجلى تلك المساعدات في اعمال البحث والتنقيب واستكشاف الثروات الطبيعية ، وفي تحضير الكوادر الوطنية القادرة على تنظيم اعمال البحث والتنقيب واستثمار الثروات الطبيعية في بلدانها ، وفي تقديم القروض لتلك البلدان بشروط متساهلة حتى تستطيع تنفيذ خطط تنمية الاقتصاد الوطني . وتتجلى المساعدات السوفيتية ايضاً في المساهمة المباشرة ببناء المصانع التعدينية والمصانع التي تستخرج المعادن .

ومن المفهوم جداً أن التعاون بين الدول الافريقية والاتحاد السوفيتي وغيره من الدول الاشتراكية يؤثر بشكل كبير على الشروط التي تعرضها الاحتكارات الرأسمالية عندما تعقد اتفاقات اقتصادية وتكنيكية مع دول أفريقيا المستقلة .

ومع ان الدول الغربية كانت تحاول سابقاً الانتقاص من قيمة المساعدات الاقتصادية والتكنيكية التي يقدمها الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية للدول المتخلفة اقتصادياً ، إلا أنه تحت تأثير عوامل كثيرة أضطرت الدول الغربية شيئاً فشيئاً الى الاعتراف بقيمة تلك المساعدات .

وكتب ب . بيدول ، وهو من المفكرين الاستعماريين الامريكيين ، حول هذه النقطة مايلي : « حتى السنوات الاخيرة كانت الولايات المتحدة الامريكية تنظر بشكل غير جدي الى منافستها روسيا بخصوص المساعدات

الاقتصادية التي تقدمها للدول النامية ، الا انه نتيجة لنمو الصناعة السريع في روسيا أصبح بامكانها أن تصدر الماكينات والتجهيزات الصناعية الثقيلة ، وتقدم المساعدات التكنيكية والقروض » .(١)

وقد قال لينين عام ١٩٢١ في المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الروسي مايلي : « في الوقت الحاضر يمكننا أن نؤثر بشكل رئيسي على الثورة العالمية عن طريق سياستنا الاقتصادية . والجميع ينظرون الى الجمهورية السوفيتية الروسية ، والشغيلة في كل بلدان العالم ينظرون الينا أيضاً دون استثناء أو أية مغالاة . وفي هذا المجال نجد أن النضال قد اتخذ شكلاً ومقاييس عالمية ، فلنتوصل الى حل هذه المهمة ، وعندها سوف ننتصر بالتأكيد وبصورة نهائيـــة في المجال الدولي »(٢) .

ومثل هذا الوضع اكتسب أهمية بالغة نظراً للنجاحات العظيمة التي حققها الاتحاد السوفيتي وغيره من دول المنظومـــة الاشتراكية العالمية في مجال النمو الاقتصادي .

ان المساعدة التي يقدمها الاتحاد السوفيتي وغيره من الدول الاشتراكية لدول افريقيا وغيرها التي اخذت تتبع طريق التنمية المستقل ، ان هذه المساعدة سوف تزداد بكل تأكيد .

طرق استثمار الثروات المعدنية الافريقية في هذه المرحلة الجديدة من مراحل ثورة التحرر الوطني

(١) « Minerals Yearbook », 1961 , vol. 1, Washington 1962 .

(٢) P. W. Bidwell, Raw materials, Mew York, 1958 . من صفحة ٣٥٢ الى ٣٥٣

إذا كانت غالبية الدول الافريقية قد تحررت سياسياً من الاستعمار ، إلا أن استثمار المواد الخام الرئيسية فيها مايزال يحمل آثاراً ظاهرة خلفها الماضي الاستعماري .

ومن هذه المرحلة الراهنة من تطور ثورة التحرير الوطني لابد للبلدان التي تحررت سياسياً ان تنتزع استقلالها الاقتصادي أيضاً . وتحقيق تحول جذري في هذا المجال يصطدم بعدد من المشاكل الصعبة . وأهمها تحرير اقتصاد تلك البلدان الفتية ، وخاصة الصناعة التعدينية ، من سيطرة الاحتكارات الرأسمالية الغربية . ونجد التنظيمات القيادية ورجالات الدولة البارزين في الدولة الافريقية تعير مشكلة انتزاع الاستقلال الاقتصادي أهمية كبيرة . إلا أن تحرير الاقتصاد من رقابة رأس المال الاحتكاري يصطدم عادة بمقاومة شديدة من رأس المال ذاته .

إن الاتحاد الامريكي المسمى (ثروات المستقبل) عند تقديره لحاجة الدول الرأسمالية الرئيسية من المواد الخام للفترة القريبة ، أو للفترة الواقعة (بين ١٩٨٠ — ٢٠٠٠) ، يولي أهمية كبرى لمسألة استثمار الخامات الطبيعية الموجودة في الدول المتخلفة . وهذه المسألة تكون دائماً الموضوع الرئيسي لكثير من الاجتماعات والمؤتمرات . وقد انعكست مخاوف الاحتكارات الرأسمالية من خطر المرحلة الجديدة لحركة التحرير الوطني ، وذلك في الخطاب الذي القاه ر . لوندا في المؤتمر الرابع لثروات الغرب والولايات المتحدة ، وقال فيه مايلي :

« إنه بالنسبة لكثير من شركات التعدين الامريكية التي تنفذ اعمالاً حيوية خارج حدود الولايات المتحدة ، أصبحت تواجه بشكل متزايد تهديدات خطيرة فيما يتعلق باستمرار عملياتها الرابحة في كثير من مناطق الصناعة التعدينية

المهمة . ومثل هذه التهديدات تحمل كثيراً من المشاكل والمسائل التي يصعب تعدادها هنا ، إلا أنها على اية حال تتضمن المشاكل والمسائل التالية : زيادة ورفع الضرائب ،تحديد صارم للقوة العاملة ، تغيير طبيعة وبنية التوظيفات ، برامج توسيع المصانع ،عدم الوضوح الاجتماعي والسياسي ، والانتفاضات،واخيراً انتزاع كلي للملكية تلك المصانع من قبل الدولة الفتية(١)».

إن الاستعمار الجديد بعد ان وجد نفسه أمام دول مستقلة فتية وذات سيادة يحاول بشتى السبل الحفاظ على مواقعه في افريقيا ، لابل واكثر من ذلك يحاول ان يوسع نفوذه في اقتصادها وذلك بطرق كثيرة (كمنح قروض حكومية، ومايسمية مساعدة بمختلف الصور،وارسال المستشارين للسيطرة على جميع القطاعات، هذا عدا تلك الاجراءات غير الاقتصادية) .

وعلى الدول الوطنية الفتية ان تبذل جهوداً كبيرة لتتغلب على مقاومة الاحتكارات لها ، وتوقف من توسعها في المستقبل ، كي تصل الى استقلالها الاقتصادي .

وفيما يتعلق بمشكلة تحرير الاقتصاد من رقابة الاحتكارات واشرافها على الصناعة التعدينية ، مع الاخذ بعين الاعتبار أن هذه الصناعة مخصصة للتصدير،تبرز أمامنا مسألتان مرتبطان ببعضها وهما :

تأمين طرق جديدة لتصريف منتجات الصناعة التعدينية في افريقيا ، وتصنيع بلدان افريقيا بالاعتماد على ثرواتها الطبيعية .

وطبيعي جداً أن تكون هناك أمور تحول دون تحقيق هذه المهام بنجاح،

(١) « وثائق المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي » موسكو ١٩٦١ صفحة ٣٥٧ — المرجع بالروسية — .

كعدم وجود رأس المال اللازم ، وغياب الكوادر الفنية المؤهلة . وكما نتصور فإن التغلب على هذه الصعوبات يتطلب سعياً متواصلا من جانب الدول النـــامية مع الاخذ بعين الاعتبار الظروف الخاصة في كل منها . واختيار الطرق التي تؤدي الى حل هذه المهام الصعبة يعتبر عملا داخلياً لكل دولة مستقلة .

وتكسب النقاط التالية اهمية كبرى نظراً للتجربة العملية التي تمت في عدد من دول افريقيا ، تنحصر في :

أ ـ حشد الثروات الداخلية لكل بلد افريقي .

ب ـ الاسراع بتطبيق افكار الوحدة الاقتصادية الافريقية .

جـ ـ الاستخدام العملي للمساعدة المتزايدة التي يقدمها الاتحاد السوفيتي وغيره من الدول الاشتراكية .

وبهذه المناسبة يستحق الاهتمام ما اعلنته الدول الافريقية المتقـــاربة عن استخدام مشترك للمواد المعدنية والخام في سبيل تنظيم قطاعات الصناعة التعدينية الرئيسية ، وهذا ما يتوافق تماماً مع الميثاق الذي وضعته منظمة الوحدة الإفريقية ، والذي تم وضعه في مؤتمر رؤساء حكومات ودول افريقيا المنعقد في اديس أبابا (في أيار ١٩٦٣) . وقد جاء في مقدمة الميثاق ان رؤساء الدول والحكومات الافريقية « يتحملون مسؤولية استخدام الموارد الطبيعية والاحتياطات البشرية بشكل علمي في سبيل تقدم شعوبهم في جميع المجالات الانسانية (١) »

وكمثال على التعاون الاقتصادي بين دول أفريقية تقع في منطقة محددة ،

---

(١) R. J. Lund, U. S. Mineral Problems and Goals, The Broad Picture, - « Quarterly Colorado School Mines », 1963, № 1.

يمكن القول إنه إذا ماوقعت اتفاقية بين الدول الافريقية المعنية ، فإنه يمكن تنظيم الصناعات الحديدية في غربي أفريقيا بالاعتماد على ماتحتويه أجواف هذه المنطقة من ثروات معدنية ، وخاصة الفحم والنفط في نيجيريا ، فلزات الحديد في غينيا ، وليبريا ، وموريتانيا ، وسيراليون ونيجيريا ، وفلزات المنغنيز في غانا ، والكروم في سيراليون .

وتملك افريقيا الشمالية مصدرين غنيين بالمواد الخام المعدنية التي تساعد على التطور ، وهما : الصناعات الحديدية بالاعتماد على الفحم الموجود في الجزائر (مقاطعة بشار) وفي مراكش (جراد) ، وعلى النفط والغاز الموجودان في الجزائر وليبيا ، وعلى فلزات الحديد في الجزائر ومراكش . والمصدر الثاني هو الصناعات الكيميائية بالاعتماد على نفط وغاز الجزائر وليبيا ، وفسفور جميع دول المغرب العربي ، وتوجد في دول افريقية أخرى مجموعات من المواد الخام المعدنية .

إن توحيد المصادر المالية والطبيعية في منطقة أفريقية مناسبة ، وذلك لتطوير وانشاء قطاعات صناعية حيوية ، سيؤدي بالتالي إلى تصنيع بلدان أفريقيا ، والى تغير جذري في اقتصادها وتكتيكها وطبيعة اقتصادها ، والى تحولات مهمة في بنية وجغرافية حركة المرور ، والتجارة الخارجية وفي مختلف قطاعات الاقتصاد الوطني .

وهنا يمكننا ان نشير إلى قرار مؤتمر غربي أفريقيا والذي عقد في باماكو في تشرين الاول من عام ١٩٦٤ :

وفي أيار عام ١٩٦٧ توصل ممثلو اثنتي عشرة دولة افريقية غربية (وهي

ساحل العاج ، فولطا العليا ، غانا ، داهومي ، ليبريا ، موريتانيا ، مالي ، نيجر ، نيجيريا ، السنغال ، سيراليون وتوغو) الى عقد اتفاقية لانشاء رابطة اقتصادية لدول افريقيا الغربية ، هذه الرابطة التي أوكل إليها مهام التنمية المتكاملة لقطاعات الاقتصاد ، وتوسيع التجارة بين دول الرابطة والدول الأخرى . وأمام هذه المنظمة هناك مهمة وضع مشروع لاتفاق ، هذه المهمة التي أوكلت الى مجلس وزراء الدول المؤقت ، وهناك أيضاً مسألة التوصل الى اتفاق تقبله جميع الأطراف ويتعلق بالمسائل المحددة (١) .

إن تأسيس الاتحادات الاقتصادية الاقليمية للدول النامية يعتبر بلا شك ظاهرة ذات طابع تقدمي .

وفي المؤتمر الذي عقد لدراسة مشاكل التصنيع في الدول النامية ، ونظمه معهد الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية ، قال المحاضر السوفيتي ف . ل. تياغونتكو : « ان الاستخدام غير المحدود والواسع لميزة تقسيم العمل دولياً ، وعلى أساس اقليمي أو بين الأقاليم ، وانشاء صناعات ذات مردود مرتفع ، وأكثر ملائمة من وجهة النظر الطبيعية والجغرافية والتاريخية والظروف الأخرى ، كل هذا يمكن أن يكون أساساً للتصنيع بالنسبة لكثير من الدول التي تتبع هذا الطريق » (٢) .

ومن الأهمية بمكان ايقاف محاولات الدول الرأسمالية الاستعمارية

---

(١) « مؤتمر الدول الافريقية التاريخي » ، — « آسيا وأفريقيا في الوقت الحاضر » ١٩٦٣ ، رقم ٦ ، صفحة ٥٦ . — المرجع بالروسية —

(٢) « مجلة وراء الحدود » ، ١٩٦٧ ، رقم ٢٠ ، صفحة ٤ — بالروسية —

لوضع اتحادات الدول النامية تحت اشرافها ورقابتها ، حتى تتمكن من اخضاعها لخدمة مصالحها الاستعمارية .

ان فعالية تلك الاتحادات الاقتصادية الاقليمية تتعلق الى حد كبير بدرجة تطور قطاع الدولة ، وبمهمة الدولة الاقتصادية وتوجيهها للاقتصاد في البلدان المشتركة .

يعتبر قول الباحث السوفيتي س . ي . تولبانوف صحيحاً كلياً ، فقد حدد للدولة في البلدان النامية مهمتها الاقتصادية واعتبر ذلك « سلاحاً مهماً يضمن الاستمرار للثورة المعادية للامبريالية ، ووسيلة موضوعية وايجابية للتوصل الى الاستقلال الاقتصادي ، وللتغلب على التخلف الاجتماعي والاقتصادي ، ووسيلة بالغة الأهمية للحفاظ على سيادة الدولة واستقلالها »(١) .

والدول المستقلة التي اختارت طريق التطور غير الرأسمالي تمتلك ظروفاً ملائمة لتطبيق ما أشرنا اليه

كما ينطبق ذلك بصورة كاملة على دول أفريقيا النامية .

---

(١) « مشاكل التصنيع في البلدان النامية » ؛ « الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية » ، ١٩٦٧ ، رقم ٥ . صفحة ١٠٨ – بالروسية –

التيارات الفكرية

اخبـار ثقافية

الزير سالم

نص صعب وتفسيرات متعددة

رياض عصمت

في دمشق العتيقة يمتد زقاق ضيق على كتف الجامع الأموي محاطاً بالدكاكين الصغيرة ، وبقع الضوء والظلمة ، والتعاويذ والأساطير ، وأغاني الصبية في الشوارع. وينتهي الزقاق بدرجات قليلة حيث تقع قهوة اسمها « النوفرة » ، وفيها مازال (الحكواتي) يروي أساطير عنترة والظاهر والزير سالم الشعبية ، ويستصرخ لجمهوره صوراً من تاريخ قديم شديد الثراء . « فما الذي ألهم أجيال المصريين والعرب ، وثبتهم على كراسي المقاهي وندوات الاستماع مئات السنين ينصتون لسيرة الأمير سالم العجيبة ؟ » . من هنا يقول ألفريد فرج انه انطلق . ولكن ما هو السر الذي يجعل من الأسطورة شيئاً حياً باقياً في خيال الناس ؟ لقد طرحت على نفسي التساؤل نفسه وأنا أخرج من قهوة « النوفرة » بعد الاستماع الى الحكواتي .

الملحمة والتراجيديا :

جذب صديق انتباهي الى علاقة ممكنة بين السير الشعبية وفن التراجيديا . وعزى الى ذلـــك خلودها تماماً كالاغريقيات رغم سذاجة تركيبهـــا فنياً . وما لبثت ان رفضت الفكرة نهائياً عنـــدما وجدت انه من الخطأ الفادح اعتبار شخصية الزير او عنترة صورة تقترب من البطل التراجيدي في شيء. إن هذه السير ليست الا ملاحم شعبية قديمة صورها خيال شاعر مجهول وظلت تتناقلها الألسن والكتب بسبب اتساع إطار الملحمة والتصاقه بوجدانيات الشعب الذي تعبر عنه. الزير سالم كأسطورة شعبية تقترب في أبطالها وبنيانهـــا من « الالياذة » او « الأوديسة » لهوميروس أكثر بكثير ممـــا تقترب من تراجيديات اسخيلوس أوسوفوكليس أو يوربيديس . تلك كانت محاولة ألفريد فرج : بناء تراجيديا عربية معاصرة وملحمية لها أكثر من مستوى (مستوى فلسفي مطلق ثم تفسيرات سياسية تتبدى مع اختلاف العروض) تستلهم التراث الشعبي وتستفيد منه . لقد حاول فرج مستفيداً من تأثيرات سوفوكليس وشكسبير وبرخت وتوفيق الحكيم والمسرح الشعبي أن يقدم مأساة عربية حول موضوع طلب العدل المطلق ، فهل نجح ؟

يقول ألفريد فرج في حوار أجرته معه مجلة « المسرح والسينما » (العدد ٥٠) متحدثاً عن أبطاله مفسراً مواقفهم : « كلهم يبحث عن العدل المستحيل . فاذا كان من حقي أن أقول أن التراجيديا هي صراع مع قوى عليا .. او تطرف في طبع الانسان ، فان ما أستطيع قوله هو أن الانسان طموح .. ومصدر قلقه انه لا يستطيع ان يحقق المطلق ، بينما هو يفهم المطلق ، يعرفه ولا يستطيع تحقيقه ، فالكون بطبيعته لا يعطي المطلق تحت أي ظرف من الظروف ، فقلق الزير سالم من أجل العدل يكمن في أن لاشيء يحقق « المطلق » إلا عودة كليب . كان الزير قلقاً لأن الكون يعبث بالانســان ، لكن هذا القلق أخذ شكله الحاد بعد مقتل

أخيه ... العدل لا يشترى لأنه حق مشروع » . بهذه الكلمات الجميلة يتحدث ألفريد فرج عن « العدل المطلق » ، ولكن ترى هل يصدق ؟ ألم يسقط طالب العدل المطلق سالم الزير ويقبل بالتسوية في ختام المسرحية؟ وألم يكن الهدف الفني للمسرحية هو تقديم « تراجيديا عربية معاصرة » ؟ ألم تكن هذه أهداف ألفريد فرج المتصاعدة منذ « سقوط فرعون » و « حلاق بغداد » و « سليمان الحلبي » الى « الزير سالم » ثم كوميديا « علي جناح التبريزي وتابعه قفة » ؟ فأين معاصرتها واتصالها بنا اذن ، أم ترى هي مجرد قالب فني لقضية فلسفية ؟

قصة الزير

محور المسرحية هو ان جساس البكري يقتل ابن عمه كليباً ملك التغلبيين بعد أن أبعدت الملكة جليلة أخا كليب سالم الزير عن القصر لمجونه واستهتاره. ويصمم الزير على الانتقام رافضاً مع ابنة كليب يمامة ما يعرضه أمراء بكر من تعويض الا أن يعود كليب حياً ، فذلك هو العدل المطلق رغم انه عدل لامعقول . وبعد معارك تسيل فيها دماء الطرفين (حرب البسوس) يظن البكريون ان الزير قد قتل، بينما يرقد ذاك جريحاً سبع سنوات يفقد بعدها ذاكرته. ويلتقي هجرس ابن كليب الذي اخفته امه عن العدو بأخته يمامة ، ويلتقي الزير بخصمه القديم وقاتل أخيه جساس فيقتلا بعضهما ويعتلي هجرس العرش ليحل السلام بين الطرفين بعد حرب ضروس بين الاخ وأخيه منادياً بفكرة الائتلاف القومي .

هل « الزير » تراجيديا أم ملحمة ؟

أفضل ألا نتوقف لتحليل ظاهرة الاسطورة الشعبية عند العرب من وجهة نظر علم الاجتماع ، رغم ما لذلك من أهمية لفهم حضارتنا وأنفسنا ، بل ان نبحث

في الشكل الفني للزير سالم (المسرحية) قبل ان ننتقل لمناقشة المضمون من خلاله.

« الزير سالم » عبارة عن تراجيديا عربية في ثياب اوربية : شخصيات لها اصول في التاريخ العربي تتحرك على صلبان وألوان وأشكال هندسية وعلاقات مدروسة . قصة العدل المطلق كان يمكن أن تدور ببساطة في إطار الصعيد المصري او أي ريف عربي . ألم يقدم محمود دياب تراجيديا عربية في « الزوبعة »؟ألم يستلهم التراث الشعبي في « ليالي الحصاد » ؟ كذلك فعل يوسف ادريس ورشاد رشدي (الفرافير – بلدي يا بلدي) . اذن ، ماذا اضافت « الزير سالم » ؟

انها محاولة ، كما ذكرت ، لبناء تراجيديا « كلاسيكية اوربية الشكل كثير من المشاهد يذكرنا بشكسبير ، ومشهد لقاء يمامة وهجرس في المقبرة مماثل تماماً لقرينه بين الكترا وأورست عند سوفوكليس . أبطال الاسطورة الشعبية تحولوا فعلا الى ابطال تراجيديين يقع كل منهم في « زلة » . واستطاع ألفريد فرج في هذا أن يحقق اقصى النجاح، إذ جعلهم جميعاً عدا هجرس متساوين في أخطائهم . خطأ كليب هو كبرياءه، واهماله، وانكاره لجساس وهمام وسلطان اولاد عمه ، وخطأ الزير هو المطالبة بالعدل المستحيل هو ويمامة مما أدى لحملات إبادة وحشية سقط فيها المئات من الطرفين ، وخطأ جليلة انها تسببت عمداً في طرد سالم من قصر زوجها فأفسحت لقاتله مجال الطمأنينة ، وخطأ يمامة هو جنون مطلبها ، وخطأ جساس هو التحول الى الشر والقسوة المطلقين . وحافظ فرج على الاصل النبيل للبطل التراجيدي ، لكنه لم يغفل عنصر الشعب (المشهد الاول ، الفصل الثالث) (المزاوجة بين ارسطو وبرخت) .

واستطاع تحقيق رعشة الخوف والشفقة خصوصاً في ختام الفصل الثاني

(مقتل الزير) ، وفي مشهد لقاء هجرس بيامة ، وفي مشاهد (أسماء) وهي تنوح على زوجها الذي قتل بسبب أخيها ثم على أخيها نفسه .

لقد لاقت المسرحية يوم قدمها المسرح القومي في القاهرة في عرض أخرجه حمدي غيث ، وتقاسم دورا البطولة فيه سميحة أيوب وعبد الله غيث ، لاقت نقاشاً طويلا بين النقاد . فبينما امتدحها فاروق عبد القادر (مجلة المسرح) ، وبهاء طاهر (الكاتب) ، ووقف أمامهـــا الدكتور عبد القادر القط وقفة مناقشة حيادية (المسرح)، هاجمتها بحدة شديدة الناقدة صافي ناز كاظم . ولم تجمع جماهيرياً على ما يبدو النجاح المتوقع لها ، والذي يبدو أن عرض المسرح القومي في سورية قد لاقاه .

« الزير سالم » هي سيف عربي وهاج اخترق جدار المسرح العربي المعاصر فعلا ، ولكن هذا السيف ما عاد عربياً تماماً ، وهذا السيف حمل على حده كثيراً من الثلم التي لا تخفى عن عين الناقد لأعمال المسرح الكلاسيكي نفسه ، لا لشيء سوى لأنه صار من الممكن الاستغناء عنهـــا في المسرح الحديث . لقد ابتعدت « الزير سالم » عن التراجيديا التي تسعى لتحقيقها بكمال بكثرة مشاهدها الى حد الترهل من جهة، وكأنما مفهوم المسرح الحديث يفرض هذا الأسهاب دون معنى. فمشهد قتل التبع حسان يروى أولاً ثم نراه ممثلا ، وكذلك مشهد محاولة اغتيال الزير وخطف جثته . كل هذه مجرد سرد أفقي وليس هرمياً تصاعدياً لأحداث لا يهمنا منها سوى دلالاتها التي تعمق مفهوم الشخصية والحبكة المسرحية . لذا أتى هذا السرد من قبيل المحافظة (ربما اللاشعورية) على اسلوب الملحمة « التركيبي » وليس على اسلوب التراجيديا « التحليلي » ، وأتى كمحاولة للابهار باستغـــلال التكنيكات المادية للمسرح الحديث من اضاءة ومسرح دوار ومتفرج اعتاد متابعة

السينما والتلفزيون . في التراجيـــديا الكلاسيكية لا عنف على المسرح كما قدمت المسرحية (خصوصاً عروض المبارزات والقتل في عمل المسرح القومي السوري) . لكننا نظلم ألفريد فرج اذا حاسبناه على اسس ارسطالية بحتة ، لأنه منذ البداية أعاد رواية الحدث مقلوباً ، مؤكداً استفادته من اسلوب برخت . ان الاعتراض يأتي هنا على الافاضة التي تضعف التأثير . ثم ان نقص المتطلبات الفنية كان يملي على كاتب كشكسبير مونولوجات وحوار ذاتي طويل ، ولكن هل نحن مضطرون في مسرحية كالزير أن نوزعها بالتساوي على جميع الشخصيات في محاولة لاقناع الجمهور بالأفكار الفلسفية الذي تطرحها المسرحية كمقالة وليس كمسرح ؟

كان على ألفريد فرج أن يقرر هل هو يرغب في خلق تراجيديا معاصرة أم مسرحية ملحمية معاصرة ؟

تلك ثغرات يجدر الاشارة اليها في « الزير سالم » ، ولكنها ثغرات تفرضها صعوبة المحاولة التي تظل علامة مضيئة في المسرح العربي وأفضل ما كتب ألفريد فرج حتى الآن .

من هو الزير ؟

« هو ابن ربيعة ملك بني قيس ، بكريين وتغلبين ، وأخو كليب صاحب بادية الشام وتخوم دولة الروم وشمال الجزيرة العربية وسيد القيسيين ، الشاعر الخالد ، الماجن العربيد ، المنتقم لمقتل اخيه انتقاماً دامياً عنيفاً تحدث به التاريخ ، أبو ليلى المهلهل ، الأمير سالم الزير النساء فارس الوقائع العجيبة وصاحب السيرة الغريبة » . هو : « الفارس المغوار » و« المحب لأخيه فوق كل اعتبار » ، الداعر الماجن ، الداهية ، والبطل المدافع عن حقه » .

الزير كان يطلب معجزة .. معجزة صغيرة فقط هي أن يعود اخاه الذي اغتيل حياً .

هذا التوحد الى حد التقمص : الزير مخاطباً جليلة : « فإرادته منذ ذلك في قلبي . أنا حامل وصيته . من خلالي أنا يسامحك أو ينقم عليك » . « أنا هو كليب ، الاب والملك » .

ولكن الزمن قاسي لارجعة فيه . الزمن جدار يولد اللحظة ولا يعيدها ، وبه يبطل كل اثر رجعي للعدل المطلق . « ولما كان سالم الزير عربيداً في الحب لايطلب إلا اللذة الكاملة ، عربيداً في الشعر لايطلب الا الكلمة الكاملة ، فقد كان عربيداً في الفكر لايطلب الا الحقيقة الكاملة » .

التاريخ يناقض السيرة الشعبية على أية حال فيقدم كليباً كطاغية وجساس ثائراً يقتله لأجل العدالة ولكن ألفريد فرج استلهم السيرة وليس التاريخ ، فالسيرة اكثر خيالاً واكثر بقاء واكثر التصاقاً بالشعب .

اتهامات خطيرة :

وجهت لمسرحية « الزير سالم » عدة اتهامات يوم ظهورت ، سأحاول أن اكتشفها كالتالي :

- ان هذه المسرحية تعالج اسطورة غير واقعية أضحت ساذجة بمفهوم العصر حتى بمفهومها المطلق ، وهي لاتصلح موضوعاً للمسرح الحديث ، لأنها مجرد شيء من التراث الشعبي الذي يتداوله الناس من أوساط غير متعلمة .

- ان هذه المسرحية تعالج فترة حالكة من تاريخنا القديم ، مليئة بالدسائس والمؤامرات والتجزئة ، لذا فهي تطرح اليوم صورة غير مشرقة عن الانسان العربي .

ـ فسر بعضهم المسرحية عندما ظهرت بأنها دعوة الى ايجاد حل سلمي لقضية الشرق الاوسط ، اذ يبدو فيها الانتقام محض جنون ، ويصبح طلباً لهدف مستحيل . وبذلك تتساوى استحالة مطلب يمامة والزير « كليب حياً » مع مطلب العرب « تحرير فلسطين » .

وأجد لزاماً علينا أن نناقش هذه الاتهامات واحداً واحداً منطلقين من افتراض اخلاص الكاتب بمواقفه الفكرية والفنية (ان لم يكن السياسية أيضاً) ، والا فسيكون من العبث الكتابة عنه اصلا .

ـ عندما قدم المخرج اليساري البريطاني بيتر بروك « الملك لير » على المسرح، وعندما اخرج الروسي كوزنتسيف « هاملت » و « الملك لير » أيضاً كانا يعالجان قضايا العصر . تلك هي ميزة مواضيع الفلسفة : شمولها وخلودها . المسرح اليوناني مسرح سياسي يمكن ان يحمل أبعاداً معاصرة خلف صراع الانسان والقدر . ولا أجد خيراً من اجابة ألفريد فرج نفسه في حوار مجلة « المسرح » الذي أشرنا اليه ، اذ يقول شارحاً رأيه في علاقة التاريخ بالأدب ومعاصرته :

« إنه نوع من الاغتراب للاقتراب ، ونوع من الاغراب بقصد معايشة الواقع ، ولأن مسرحي مسرح فكري ، ولأن فن المسرح به هذا الأسلوب من التجريد، ولأن الذي يستهويني هو الحقائق الأساسية والافكار الاساسية، فربما ألجأ الى التاريخ والفلكلور لتحقيق هذا . إنني اعتبر الشخصية التاريخيـــة شخصية معاصرة بكل معنى الكلمة ، لكنها شديدة التركيز والتكثيف ، هي تصور العصر والبيئة بنوع من الشمول والدقة قد لا يتوافر لها اذا اختلطت بظروف الحياة وكليشهات الحياة اليومية » .

سؤال المعاصرة سؤال نسبي يمكن أن يواجه اعادة تركيب الاسطورة

تماماً كما يمكن أن يواجه مسرحية تدور حوادثها الآن في احدى الفيلات الانيقة .

أما بالنسبة للقتامة ، فلا أدري من قال ان على المسرح والفن عموماً تسجيل اللحظات المضيئة من التاريخ ، ولا أدري من قال ان على التراجيديا أن تكون متفائلة !

إن من السخف ادعاء موقف مدرسة « الواقعية الاشتراكية » مع أعمال ليست لها فنياً هذه الصفة ولا يمكن أن تكون . إذا تبنينا مثل هذا الموقف لأعدمنا « أوديب ملكاً » وكل فضائح عائلته ، وكذلك عائلة أجاممنون الفاسدة ، ولرفضنا « هاملت » و « عطيل » و « لير » ، ومسرحيات راسين وكورني ، وأوكيزي وأونيل ووبليامز وبيكيت ، وقصص اسكندر دوماس ورافائيل ساباتيني وما أغفلناه من عديد الأسماء بينها . وهذا طبعاً هراء .

يقول ألفريد فرج رداً عن سؤال حول فكره السياسي : « تستطيع أن تضعني في اليسار العربي » . ولكن ترى هل هناك فعلا « يسار عربي » بعزل عن اليسار العالمي ؟ وهل هو حقاً ينتمي الى هذا اليسار العربي المطروح ؟

لقد رافق ظهور مسرحية « الزير سالم » لأول مرة موجة من الفكر الدعائي لإمكانية وجود تسوية سلمية لمشكلة الشرق الأوسط ، فظهرت المسرحية وكأنها تقول إن تحقيق العدل الكامل و « إلقاء اليهود في البحر » — وهي الفكرة التي روج لها الصهاينة على لسان العرب للدعاية ضدهم واستدرار الشفقة — فكرة مستحيلة ، وأنه لا بد من قبول بعض التنازلات .. وبعض العدل لحقن الدماء . هذا ليس موقف اليسار العربي بالطبع . ولكن فجأة يخرج علينا ألفريد فرج بمسرحية « النار والزيتون » التي تحمل راية اثارة الضمير العالمي حول قضية فلسطين والمطالبة بوحدة الصف واستحالة ايجاد تفاهم سوى لغة النار مع العدو الصهيوني .

هل يتبع ألفريد فرج إذن في صياغة مسرحياته « الرأي العام العربي »

فيأتينا بمسرحيته حول لا جدوى المطالبة بالعدل المطلق ووجوب قبول تسوية مع رواج الدعوة لذلك بدفع من الدول الكبرى والأمم المتحدة، ثم يأتينا بمسرحية عن فلسطين والثورة مع تصاعد نشاط المقاومة العربيـة ؟ أم ترى أن تأثير السياسة اليومية علينا يجعلنا نتوهم أشياء ليست لها علاقة بالمسرح ؟

ومع ذلك أرى أن أسطورة كالزير قد حملت أكثر مما تحمل . وإذا كان التفسير المطروح هو الدافع الوحيد لكتابة مثل هـذا العمل ، فهو دافـع مهلهل ليس سياسياً فحسب وإنما فنياً . لكني لا أعتقد أن مشكلة الثأر والدم والعدل يمكن أن تثار على نفس المستوى في صراعين : الاول بين صديق وعدو ، والثاني بين أخ وأخيه . إن مسرحية الزير تتحدث عن الصراع الثاني وليس عن عدل مطلق بمعزل عن الظروف المحيطة بالمطالبة بـه ، وهي إذن دعوة الى الائتلاف القوي . وإذا كان معروفاً أن الكاتب المسرحي لا يصوغ مسرحية في أيام وإنما في شهور وأحياناً في سنين، رأينا أن ربط العمل بتفسير احادي يعتمد على الأحداث السياسية والاعلامية الآنية المرافقة له هو ربط فيه كثير من التعسف . ومع ذلك فقد كان تقديم المسرحية في مصر في حينها مشككاً في أن موقف ألفريد فرج هو الى يمين اليسار العربي الى درجة تثير التساؤل، اذ ارتبطت آنذاك بالظروف العامة المحيطة بالبلاد . ولكن هل المسرح دعوة ؟ وهل تتضمن المسرحية دعوة اعلامية أو دعائية (Propaganda) لفكرة ما؟ أم أن المسرح هو إعادة خلق لاسطورة مع تحميلها لابعاد واقع بلا حلول ؟

في رأينا أن ألفريد فرج أساء الى مسرحيته بالكلمات الأخيرة التي وضعها على لسان بطله الزير جاعلا إياه يقبل « ببعض العدل » . انه في هذا قد خرج عن فن المسرح الحديث الى تضمين « موعظة » ما كان لها ضرورة حتى فنياً .

وهو يضعف بهذه النهاية مأساويتها رغم تساقط أبطالها الاساسيين واحداً تلو الآخر .

هناك سلبيات أشرنا اليها في بناء المسرحية وعلى رأسها تعدد المشاهد والخلط بين روح المسرحية التراجيدية والمسرحية الملحمية .. ولكن الزير سالم تدل على وعي كاتبها وثقافته المسرحية الغنية . فقد برزت في بعض مواضعها لمحات رائعة من الفن (مشهد جليلة وهجرس الصغير والكبير) كما رفعت بمشاهد لم تكن أكثر من تقليد، مثل مشهد لقاء الزير بشبح كليب وهو مماثل لقاء هاملت بشبح أبيـــه . وأيضاً مونولوج الزير الطويل الذي يبرر بـه دمويته وانتقامه يحوي عبارات كاملة من « ماكبث » وأعمال أخرى .

من الاشياء المثيرة للاعجاب هو ذلك البريق الذي أضفي على شخصية الزير بفضل استخدام الكاتب الذكي لحكايات جانبية .

كانت الإفاضة في المونولوجات تماماً كمحاولة برنارد شو في ارشاداته المسرحية والتعليق على مسرحياته لإضفاء أبعاد أوسع وأدق مما يعطيه العمل نفسه .

المسرحية .. والنقد

النقد الذي كتب عن المسرحية عندما قدمها الدكتور رفيق الصبان في سورية مختلف المستوى، ولكنه يجمع على الاهتمام بالمحاولة الكبيرة وفي نفس الوقت الإساءة المتعمدة اليها . معلقو الصحف اليومية لم يكتبوا مـــا هو جدير بالمناقشة والتوقف ، بينما كتب أحدهم عن المسرحيـة دون أن يراها كاملة وفي « بروفة جنرال » وليس عرضاً . سعد الله ونوس كتب عن الزير سالماً كتابة رشيقة وذكية لكنها لم تأت من وجهة نظر موضوعية ، ومن هنا جاءت محاولته كتفسير جديد

للاسطورة الشعبية يهتم فيها بقضية الصراع الطبقي والناس البسطاء الذين يموتون بلا سبب من أجل خلافات أسيادهم.هذا تفسير جيد ولكنه ليس المحور الرئيسي الذي ارتكز عليه ألفريد،ولكن ما الضير في ذلك؟ ألا يمكن أن تفهم الاسطورة وتفسر إلا من خلال نظرة سعد الله ونوس اليها، وألا تعكس إلا الصراعات ذات المنحى الطبقي؟. لقد كتب ونوس فعلا مادعى اليه في مسرحية «رأس المملوك جابر» فهل هي الموضوع الوحيد؟

ورغم أني أوافق ونوس في أن ألفريد فرج لم يركز اهتمامه على الموضوع الذي ذكر، إلا انه لم يغفله ، وسأضطر هنا الى ايراد مقطع شديد الأهمية في المسرحية، ويمكن أن يطرح ـ وقد سعى الى ذلك عرض المسرح القومي في سورية ـ تفسيراً للنص . إنه بداية الفصل الثالث :

هجرس : يا لأطياف الكارثة . ففي هذه المجزرة الشنيعة . فضلاً عن ذلك آباء وأبناء ليس لهم في الحرب ناقة ولا جمل . ألا يتكلم عنهم أحد ! ألم يجأر الخدم بالشكوى والرفض بينما الأمراء يتطاحنون بهذه القسوة؟

(يخرج من الجمهرة ثلاثة جنود على سيماهم عنف المعركة ولكن بلا عاهات . يتقدمون لهجرس) .

(وفي العرض المسرحي جعل الصبيان الأمراء يديرون ظهورهم تماماً متجاهلين سماع هذه الكلمات التالية) .

الجنود : سنتكلم نحن عن صغار الناس ، أولئك الآباء والأبناء الذين اصطلوها لآخر لسان لهيب فيها . نحن لسنا طلاب معالي لنفكر في الأمور المعقدة . الطبيعة هيأتنا لنكون طلاب حياة، رعاة وزارعين وصناعاً وحرساً ، سواعد قوية ومطامع صغيرة، ونفوساً طيبة . لسنا من

أمراء بكر أو تغلب .. معظمنا أقرباء لهم قرابة بعيدة أو موالي يدينون لهم بالطاعة أو رعايا صغار . نحن حملنا عبء الحرب كله على سواعدنا . ومع ذلك فلم تكن بالحرب الوطنية لنجاهد فيها ضد الغزاة دفاعاً عن أرضنا وأرزاقنا، ولم تكن بالحرب التي يفرضها البر بالجار. إن تعرض للاعتداء فاستصرخ جاره. كانت حرب الأهل واللحم والدم.. المهزوم فيها يبكي شرف اخوته ، والمنتصر يبكي شرف أولاد عمه .. حرب الفوضى والضياع ، حملنا عبأها على سواعدنا . عرفنا الخوف بالليل من لقاء النهار ، وخوف الليل مع الجسد المرهق ليس بالسهد الذي يشكوه المترفون، ولكنه استغراق تدهمه الكوابيس البشعة، نوم مفزع وغرق في مستنقع العذاب . عرفنا الخوف تحت لفح الرياح الحادة تليها الشمس ، وروعة الصدام العنيف بالسيف والرمح والدرقة ، كأن جبلا ارتطم بالجبل ، وويل لمن هو أقل في الوزن ، ينخلع من فوق الجواد فإذا ألف حافر تمزقه . وطعنة الرمح وجذبة السيف وصيحة الخصم بوحشية كحفنة الروع تلقى في الوجه. وموت الصديق يوصي أخاه بالبنت والولد ، والغصة بعد ذلك قبل ظلام النهاية، أو الأفظع من ذلك .. الحياة بعد الصدمة ، خلف الصفوف، بعاهة عاهرة ، تقلب العامل شحاذاً والكريم متسولاً قوت أولاده . العجز ! ناهيك بخوف العجز وخوف الصدمه وخوف الموت . ذلك يجعل الرجل الشريف ضيفاً بلا شرف ، يقتل مواجهـــة ويقتل من خلف ، يقتل بضربة ثم يمثل بالجسد الساكن بعد الموت ، يقتل الصامد ويقتل المذعور المستسلم أو الهارب .. وحرارة التشفي تملأ

حروقه وحشيـــة .. ثم الكدر في هدأة الليل ، وقلق الضمير وزيادة الأطياف البشعة .. آه ! لا تذكرونا .. » (الزير سالم . صفحة ٨٧)

وأكد لي ألفريد فرج في حوار معه أن « كلمة الزير حول قبول «بعض العدل» منسوبة لشخصه ولذاته فقط ، أما كلمة المسرحية فيقولها هجرس » . وتابع قائلا :

« العدل كلمة غنية ولها أوجهها ، فثمة العدل القانوني ، وفي حادثة الزير إذا أخذنا بالعدل القانوني لا يمكن أن يتعدى القصاص من القاتل . ما كان ينشده الزير سالم هو عدل من نوع مختلف لانه عدل في مواجهـة الكون ، عدل ضد الموت ، في حين ان ما كان ينشده هجرس هو العدل السياسي ، وهو ما شرحه في مونولوجه الاخير من المسرحية » :

« الآن تطلعوا إلي ..

أنا اقف تحت الشمس بكل حقيقتي وحقيقتكم ، بلا زيف . سكبت الدموع الصادقة على قتلاكم أعماماً واخوالاً ، ولكنني فكرت مع ذلك . استفزتني سيوفكم المتجنية والمتصدية ، ولكني مع ذلك فكرت .

فكروا ، مامناط الحياة لكم ولأولادكم ؟ مامناط المنعة ضد أعدائكم ؟ الائتلاف .. الائتلاف ضد محرضيكم والمفسدين والطامعين فيكم ! فهل تبصرون قانوني ؟! » (الزير سالم . ص ١٢٤) .

ويتابع فرج قائلا : « والعدل السياسي هو الامن الاجتماعي وتماسك القوى الثورية وتقييم ما شج بينها من خلاف على اسس موضوعية وثورية ايجابية . ولاحظ أنّ الخصـوم في الزير سالم كانوا رفاق سلاح وانهـم ارتكبوا

الخطيئة التراجيدية، وهي اضفاء صفة العلم على خلاف شخصي وخاص ، هو جريمة جساس ذات الدافع الشخصي ، وانتقام الزير يصدر عن ألم شخصي لفقد الاخ وليس نتيجة لموقف عام أيضاً . إن المهم عندي هو الانسان ».

من هنا نجد أن « الزير سالم » هي واحدة من أوائل المحاولات المضيئة في المسرح العربي لبناء تراجيديا عربية معاصرة .. تراجيديا خلفيتها التراث ، وزمانها العصر الحاضر ، ومحورها الانسان .

كرم مطاوع يتحدث عن فنه وفكره

مجدي فرج

تلقى كرم مطاوع تعليمه في فن الاخراج المسرحي في كل من ايطاليا والمانيا ، وهو صاحب فكرة ارتباط المسرح بالسياسة مباشرة . وقد لا يكون هو اول من طرح هذه الفكرة على الحياة الفنية في مصر ،لكنه بلاشك يعتبر اول من اصلها في مجال الاخراج. وهو يعتبر من اكثر فناني الاخراج في مصر وعياً بالادوات المسرحية وطرق استخدامها وتوظيفها لخدمة الفكرة المطروحة ، سواء من المؤلف او منه هو شخصياً . ووعيه بالاداة المسرحية يتسق مع وعيه الفكري بقوانين العصر .. اذ يستخدم الاداة المسرحية الاكثر ملاءمة في التعبير عن فكره وايديولوجيته في حالة انصهار مع فكر وايديولوجية المؤلف .

لقد ارتبط كرم مطاوع بوجدان عصره على المستويين ، المحلي والعالمي . وأبرز مسرحية اخرجها تعبر عن هذا الارتباط هي مسرحية « ليلة مصرع جيفارا » ـ بغض

النظر عن القيمة الفنية لهذا النص – الا انه استطاع في المسرحيات التي اخرجها – عموماً – ان يؤكد ويؤصل الذات العربية في مواجهة طغيان الشخصية الاوربية على فن دول العالم الثالث .

وفي هذا اللقاء يتحدث كرم مطاوع عن فكره وفنه ، وهو محاولة لتلمس علامات مضيئة في عالمنا المسرحي المعاصر .

س : هل لمناهج الاخراج ارتباط بالمناخ الفكري العام لأي مجتمع ؟ ما هي حدود هذا الارتباط ، وما هي ملامحه الاساسية ؟ .

ج – قبل التكلم عن مناهج الاخراج ، اي عن مختلف التصورات الفلسفية لعملية الخلق المسرحي ، يحسن ان نسلم اولا بان المسرح – او بمعنى آخر عملية المسرحة او « التمسرح » من تأليف الى تجسيد مادي – عملية او ظاهرة لصيقة الصلة بالمجتمع وبمقومات هذا المجتمع المختلفة من نفسية وثقافية واجتماعية ودينية واقتصادية وبالتالي سياسية ، وهذا ليس غريباً ان نسمع قائلاً يقول : « اذا اردت ان تتعرف على مجتمع فادرس مسرحه » . بهذه المسلمة يمكن ان ندرك العلاقة الحوارية الجذرية بين المسرح والظروف المختلفة التي تصاحب وجوده ، فان بصمات المجتمع باشكال نموه السياسي والاقتصادي والنفسي والثقافي والديني تنطبع بلا جدال على المسرح مضمونا وشكلا – اعني كنص ثم كمحتوى فكري ثم كتجسيد مادي ثم كمحصلة شاملة لكل هذه الاشياء .

ويكفي الاشارة الى المسرح اليوناني كي ندرك كيف يمكن للدارس او للناقد لهذا المسرح ان يتعرف على وضع المجتمع اليوناني القديم ، وان يتلمس حقيقة التيارات والصراعات الدينية والفكرية ، بل والاقتصادية الى سائر الملامح التي تميز المجتمع اليوناني . واذا استمررنا في هذا المنهج امكننا بسهولة الحكم على العصور

الوسطى مهتدين بنفس المعيـــار المسرحي . نفس النتيجة لابد سنحصل عليها اذا اعتبرنا مسرح عصر النهضة مؤشراً لدرجات التطور الثقافي والاقتصادي للمجتمعات الاوروبيـة في القرون من الرابع عشر الى بداية السادس عشر . تلك حقيقة ربما لاتعطى حدة في التصور اذا تعرضنا للدور السياسي للمسرح .

ولكن ماهي السياسة؟! اليست هي محصلة كل العناصر السالفة الذكر؟! إن مسرحاً لابد وان يكون سياسياً طالما تبصر بالفعل بظروف مجتمعه، وجعل صراعات شخصياته تنبثق ميكانيكياً عن صراعات المجتمع نفسه سواء على الصعيد الطبقي (او الاصح الاقتصادي)، او مايمكن ان ينتج عنه من صراعات ثقافيـة فلسفية. ويكفي ان نتصور علاقة المسرح ليس فقط من الناحية المنهجية الفلسفية، بل ايضاً من ناحية الشكل او المعمار نفسه . فلا يكفي مثلا ان نتصور علاقة المسرح بالنظم الاجتماعية السائدة كي نصل الى نفس النتيجة . فليس غريباً ان تنتج النظم السياسية الارستقراطية مسرحاً مفرطاً في ضخامة الشكل وفي الزخرفـة والبهرج ، بل وفي الحكم نفسه على عملية العرض المسرحي بأنه شكل من اشكال الرفاهية الثقافية اللصيقة الصلة بطبقة النبلاء والمثقفين ، وحيث ان المخرج المسرحي (خالق العرض المسرحي او « مؤلفه ») ، وهو التعبير الذي اثار كثيراً دهشة المؤلفين المصريين) هو نفسه نبت المجتمع ، ويتميز (او يجب ان يتميز) بقدرة فائقة على استيعاب ظروف وملابسات عصره ومختلف التيارات او المتناقضات التي تسود هذا المجتمع ، بالاضافة الى قدرة على الاستنتاج وارهاصه مستقبل نفاذه .. هذا المخرج بهذا التصور لابد وان يعكس « اراد ام لم يرد » رؤية مثقفي وفناني عصره لدور المسرح والثقافة،حتى ولولم يرد ذلك من خلال تفسيره لنص ماوتجسيده لهذا النص في العرض المسرحي .

اذن الرد على السؤال هو ان العلاقة بين منهج الاخراج لمخرج ما وبين المناخ الفكري العام ، الذي هو نتاج حتمي لمناخ عام سياسي واقتصادي ، على قدر وثيق الصلة ، بل تكاد تكون علاقة جدلية .

س : هل يمكن استتبات مسرح سياسي في مصر ؟!

ج : اذا اعتبرنا ما سبق قوله مقدمة للرد على هذا السؤال الثاني وصلنا الى حقيقة ثابتة ، وهي ان المسرح هو نفسه سياسي - ولكن هناك فرق بين مسرح يخدم طبقة او فئة بعينها او يمجد قيماً بالية او يدافع عن نظم رجعية .. وبين مسرح يخدم قضايا الجماهير العريضة ويتطلع الى مستقبل افضل للمجتمع بشكله المطلق ويسعى الى هدم نظم متعفنة هي مخلفات عهود القهر والعسف والاستعباد . وكلا المسرحين سياسي بالضرورة ، ولكن الاول يخدم نظاماً يختلف عن النظام الذي يخدمه المسرح الثاني . ولعل هذا اللبس قد نبع من ان ظهور كلمة (المسرح السياسي) صاحبت ثورات الاشتراكية في بدايات هذا القرن ، اذ انه من البديهي انه قبل ذلك لم تكن هناك حاجة الى هذا النوع من المسرح لان الدعوة الفلسفية السياسية الجديدة لم تكن قد اعلنت عن نفسها بعد . ولعل هذا الخلط يفيد كثيراً (الراقصين على الحبال) المتشدقين بالشعارات ، اذ انهم حتى عندما يدافعون عن مسرح غير تقدمي يجدون العذر في ان هذه المسرحية او تلك انما تتناول بالضرورة قضية سياسية فيمكنهم رفع شعار (المسرح السياسي) عليها . ولكن لنجعل دائماً مناط الحكم والفصل في الرد على السؤال التالي : من هو المستفيد من هذه المسرحية ؟. ما هي الطبقة او الطبقات التي تخدمها هذه المسرحية ؟.

وفرق كبير بين النوعين السالف التلميح اليها .

المهم اني استطيع أن ازعم ان المسرح السياسي وجد بالفعل في مصر في فترة عرفت بالقصور الفكري والثقافي الفني وبعدم وضوح الرؤية بالنسبة لوظيفة

المسرح المحدد في تلك المرحلة - (تكفي الاشارة الى مسرح الريحاني وعلي الكسار مع التحفظ اللازم في الحكم على قيمة هذين المسرحين من الناحية الفكرية والنقدية والسياسية) .

وعليه فإننا إذا قلنا إن المسرح السياسي هو وليد الستينات كان هذا نوعاً من الافتئات على الحقيقة .. فقط الذي يفصل في هذا الامر هو (الادراك) بالدور الملتزم الذي يجب على المسرح ان يلعبه . وغني عن البيـــان انه سادت الستينات فكرة ان المسرح هو جامعة تثقيفية لبناء فكر المواطن وهذا التفسير اسقط على المسرح وظيفة او مهمة جعلت من النتاج المسرحي مؤشراً هاماً للمجتمع، ومعلماً يلعب دور البطولة على مسرح تكوين الانسان .

س : ما حدود تطور مناهج الاخراج في مصر وفي العالم ؟ وما الذي يمكنك ان تستشرفه في المستقبل ؟

ج : برأيي ان تطور مناهج الاخراج لاحد له .. فالاخراج ببساطة هو عملية التجسيد المادي الحي للفكر او للافكار التي يمكن أن تدور في فلك المسرحية أو ذهن المؤلف او المخرج او الثلاثة معا ، هذا التجسيد يتم اولا ومنطقياً من خلال وحدة الرؤية لدى المخرج وكمحاولة لتجميع الافكار والقيم وتلخيصها وتكثيفها بوسائل فنيـة بشرية أو تكنيكية او الاثنتين معاً . وكلما نضج المخرج واتضح فكره ، وكلما تمكن من السيطرة على ادوات العرض المسرحي ، اقترب من القدرة الكاملة على الاقناع والسيطرة على فكر ووجدان المتفرج . ومن هنا فالطريق طويل .. طويل ، بلا نهاية ، امام التطور الاخراجي او المنهجي للمسرح .

قديماً - وليس قديماً جداً - كان ميل المخرج الى تغليب الكلمة وجرس نطقها ، وتغليب حركة الممثل واتساق علاقته بالممثل الآخر او بالفراغ المسرحي

اعتقاداً منه ـ وربما استجابة ايضاً لظروف نفسية وشكلية لمجتمعه ـ بأن المسرح هو كلمة تؤدى بتهويل ومبالغة من الممثل . ولعل ثمة عذراً يتشبث به بعض الشكليين في هذا النهج هو أن المسرح يجب ان يتميز عن الواقع بشيء ما .. أي شيء ، ولكن لابد وأن يتميز عن الواقع .

يقابل هذا الاتجاه ـ ربما قديماً وربما حالياً ـ اتجاه آخر يميل دون ارادة واضحة ـ الى تبسيط العرض المسرحي بدرجة قد تبلغ حد الهزال وعدم الصدق وعدم الاقناع في النهاية . وهناك من ينطلق من قاعدة أن المخرج يخاطب وجدان الجماهير وعواطفهم فيجنح الى العاطفية او الرومانسية ... وآخرون يتصورون أن وظيفة المسرح بالدرجة الأولى هي مخاطبة العقل وليس الوجدان وآخرون وآخرون يمسكون بطرفي الخيط .

اذن لاحدود للتصور المسرحي او المنهج المسرحي بحسب ماكان او مايكون ، أما مايجب ان يكون فهذا امر آخر . إن مسرحياً لايخدع متفرجاً ولا يعطي معميات فنية يدعي انها تسمو فوق عقل المتفرج، ولا ينحط الى المباشرة ومخاطبة الغرائز بحجة (الجمهور عايز كده) ، وينطلق من فكرة جدية المسرح وقدسيته وخطورة الدور الذي يلعبه في تغيير المفاهيم القديمة وتثبيت المفاهيم الجديدة لخدمة المجتمع والطبقات الغالبة الكادحة ، ويتخذ في سبيل تحقيق ذلك وسائل معقولة للاقناع دون بهرج او مغالاة او اغراق في الشكلية ، ان مسرحياً كهذا يحب ويحترم جمهوره قدر مايعشق فنه ايا كان منهجه. وهو في تصوري خالق المسرح الحقيقي الواعي الجاد .

س : مادور الوعي السياسي في عملية الاخراج ؟ .

ج : لاشك ان الوعي السياسي يلعب دوراً جذرياً في الكلمة النهائية

او الجرعة الادبية الفنية الفلسفية التي يعطيها العرض للمتفرج . فبادىء ذي بدء يلعب الوعي السياسي الدور الرئيسي في (اختيار النص) .. فاختيار النص مؤشر لايخيب في تحديد المنهج الفلسفي الشخصي للمخرج ، فليس من السهل ان نتصور مخرجاً ثورياً تقدمياً يغرم بمسرحية « غادة الكاميليا » او « سيرانودي برجراك » الا اذا كان ينوي ان يوظف هذه المسرحية او تلك فيخضعها لتفسيره الشخصي بغية الدفاع عن قيم ما جديدة ثورية يستطيع بها ان يقول شيئاً جديداً ثورياً على المستويين الفكري والفني لجماهيره . كما اشك مثلا في ان مخرجاً رجعي التكوين الفكري او ارستقراطيه يتحمس لمسرحية لـ « بيترفايس » مثلا .

فالمنهج الفكري للمخرج يحدد له مجال الاختيار حتى يأتي تعبيره صادقاًمع نفسه ، تلك هي المرحلة الاولى في عملية الخلق المسرحي ، وهي اختيار النص . فاذا انتقلنا الى مرحلة التنفيذ وجب علينا التسليم بان وعي المخرج – ليس فقط بالظروف ومشا كل مجتمعه ، بل ايضاً بالتناقضات والصراعات التي تسود العالم كله – هذا الوعي لا بد وانه سيعطي للمخرج دفعة في التفكير ووضوحاً في الرؤية الشاملة، وفي النهاية – وهذا هو المهم- يعطي صورة واضحة المعالم والقسمات، مكتملة العناصر يستطيع عقل ووجدان المتفرج أن يقبلها ثم ان يعتنقها في مرحلة ثانية . كما سبق ان قلت بان المخرج يلعب دور المعلم في مدرسة الحياة الفنية ويقوم بدور هام في تشكيل وجدان وفكر المتفرج .

بهذا التصور اصبحت ثقافة المخرج السياسية ضرورية بل ولازمة لزوم ادراكه لامكانية توظيف العناصر الفنية التي يلعب بها . والجمهور اذكى من أن ينخدع بالمخرج الجاهل،وأحصف من أن يغرر به من خلال عرض ساذج لا يعتمد على ثقافة فنية أو فن سياسي غير مقنع.. بل ان استيعاب المخرج لظروف ومشا كل

عصره تمكنه من أن يرى ويدرك بوضوح مشكلة مسرحيته المستنبتة من قضايا عصره وان يثمر في النهاية عرضاً ذكياً متقناً . ولعل احداث العالم هذه السنوات تؤكد ان أية ظاهرة سياسية في الداخل تجد صداها في الخارج، وان أي تحرك في العالم الخارجي يحدث رد فعل في الداخل .

س : هناك نوعان من المخرجين . مخرج يفسر النص حسبما يريد المؤلف والآخر يطبع على عملية الاخراج قضايا عصره ومجتمعه . أيها اقدر على استيعاب فن الاخراج فنياً وفكرياً ؟

ج ــ الثاني طبعاً .. فالأول مخرج منفذ لايملك داخله مايمكن أن يضيفه، أو في احسن الاحوال ينظر الى وجهة نظر المؤلف كـلمة ثابتة لا تحتمل الحوار الفكري .

والثاني مخرج خالق يتناول النص كمجرد بداية للخط الفكري كي يسقط عليه في النهاية نتائج ثقافته ورؤيته للحياة ولقضايا مجتمعه .

وفرق كبير بين عازف النوتة الموسيقية أو حتى قائد الاوركسترا وبين عازف الكلمة أو المخرج المسرحي ،(الفرق بين العازف والممثل ويتجلى في الفرق بين الموسيقى كلغة تعبير من ناحية والكلمة من ناحية تعبيرية أخرى) .وحتى في حدود هذا المثال هناك عازف للجملة الموسيقية وعازف آخر لنفس الجملة .. كلاهما يعزف النوتة، ولكن واحداً منهما يضيف شيئاً ما باحساسه ووجدانه وتربيته الموسيقية الى النوتة .وهناك قائد للأوركسترا يقتصر دوره على تنظيم الاداء الجماعي للموسيقيين وعلى انضباط العزف في حدود النوتة الموسيقية المكتوبة ، وقائد آخر يجعل لثقافته وتربيته الموسيقية مجالاً كي يعطي تفسيراً جديداً للسيمفونية أو الكونشيرتو .. الخ .

فرق كبير بين المخرج المنفذ أو المترجم والمخرج المفسر أو الخالق . ومهما

كانت حساسية المؤلف حيال نصه ، فانه في الحالة الاولى خاسر لا محالة بعكس الحالة الثانية حيث يثري نصه وتتسع آفـــاق الفكر بداخله ، لأنـــه يتضمن خلاصة تجارب وفكر وثقافة عقليتين خلاقتين .. هما عقلية المؤلف وعقلية المخرج.

س – في مسرحية « الفرافير » ومسرحية « ليلة مصرع جيفارا » حققت اتصالاً بين خشبة المسرح والصالة . ما حدود هذا الاتصال ؟ وما مدى نجاحه ؟

ج – علينا أولا ان نتحرز في استخدام كلمة « الاتصال » بـين الصالة وخشبة المسرح ، لأنها كثيراً ماتستخدم حسب « النيــة الطيبــة » فقط ، او رغبة في اللعب باللفظ أو كسب نوع من العطف النظري من الجماهير .

كثيراً ما استخدم كلمة « الغاء الحائط الرابع » دونما إدراك بماهية الحائط الرابع الوهمي . والحقيقة انه ربما منذ بداية هـذا العصر والنظرة العلمية الحديثة تميل ارادياً الى اعطاء صفة اللعب على العرض المسرحي ، وذلك لوجود اتفاق – حتى ولو كان ضمنياً بين المتفرج والممثل على الاشتراك او المساهمة – ليلة العرض – في ان يلعبا لعبة اسمها « المسرحية » . وحتى عندما يغالي الواقعيون او الطبيعيون في تقمص الواقع بغية خداع المتفرج ولو للحظات بأن مايجري على خشبة المسرح انما هو حقيقة فعليـة ، حتى في هذه الاحوال لاينخدع الجمهور بالقدر الذي يتوهمونه ، وانما يسعى المتفرج بنفسه – بمخيلته وبمحض ارادته – الى ان يتقبل مايعرض عليه كما لو كان واقعياً .

فالحائط الرابع ليس واقعاً مادياً ، كما انه ليس الستار ، كما كان البعض يدعي .. وبهذا الفرض فإن الغاءه لايتأتى بفتح الستار او بالاغراق في الواقعية والتقمص ، او بامتداد خشبة المسرح في قلب الصالة ، او بالتفاف

الجمهور حول خشبة مسرح دائرية ... الى سائر هذه الاشكال المسرحية القديمة الحديثة ...

واذا سلمت بأنني في « الفرافير » كما في « جيفارا » قد نجحت في اشراك الجمهور في الحدث المسرحي ، وتعميم ذلك الحدث حتى يتغلغل في نفس وعقل المتفرج ، فان ذلك — حسب رأيي — لايرجع الى مزج خشبة المسرح بالصالة كما حدث في « الفرافير »، ولا الى امتداد خشبة المسرح حتى منتصف الصالة كما في « جيفارا »، ولا بالغاء الستار كما حدث في المسرحيتين ... ولكن في رأيي ايضاً أن امتزاج اللحظة الزمنية الواقعية التي يعيشها المتفرج باللحظة الفنية التي يحياها الممثل هو مايحقق هذا النوع من الالتقاء بين المتفرج والممثل على حدث بعينه . واعتقد ان هذا المزج المادي بين واقع الحياة وواقع الفن وحده ليس كافياً لتحقيق الغاء الحائط الرابع « الوهمي » ، ولكن هناك شروط أهم وأخطر يجب توافرها في العمل كي يحدث بالفعل هذا الالتقاء العقلي الوجداني بين مايقدم على المسرح والمتفرج .

... شيء ما قد لا استطيع تحديد اسمه وماهيته ، ولكني اعرف على الاقل كيف يمكن ان يتسم العمل بالصدق الموضوعي والفني سواء من ناحية الفكرة او المعالجة ، أو التنفيذ في النهاية . اعرف ايضاً شيء اسمه الشفافية الفنية — اشياء لاتحكمها قوانين ولا قواعد بقدر مايحكمها ضمير الفنان نفسه وحبه الأصيل لجماهيره وفنه . وقلما يخدع الجمهور ولكن كثيراً مايخدع الفنان نفسه .

س : ان لك طابعك المميز جداً في الاداء . كيف استطاع هذا الطابع ان يثري تجربتك في الاخراج ؟.

ج : الاداء التمثيلي مرحلة حاسمة في عملية الاخراج المسرحي.. صحيح انها ليست كل شيء ، ولكنها المحك الحقيقي الفعلي لتطبيق اهم افكار المخرج لكلمات المؤلف .

اذن فالمنهج العام الفلسفي لعملية الاخراج المسرحية ينطبع بالضرورة على اسلوب الاداء ، فلست اتصور مثلا ان مسرحية تعرض لقضية فكرية وسياسية تهم بالدرجة الاولى عقل المتفرج وتربطه بقضية يعيشها بالفعل في واقع يومه .. لا أعتقد ان التعبير الصوتي (اي الاداء التمثيلي) لهذه المسرحية يجب ان يجنح الى الغنائية او الميلودرامية في الاداء .

فالاداء الميلودي تعتاده الاذن سريعاً وتطرب له فيؤثر في الوجدان اكثر من ان ينفذ الى العقل مباشرة . واذا كان الاخراج حسب تصوري هو تجسيد لتضاريس المعاني والافكار داخل المسرحية فان المعادل الصوتي لهـذا الاسلوب يعني ان الاداء يجب ايضاً ان يستهدف بلغة الصوت تجسيد التضاريس الفكرية والحركية في الجملة ثم في الكلمةالواحدة.وحيث ان المسرح الذي أعتنقه يطمح الى ان يخاطب العقل اولاً ، ثم اذا احتاجت الضرورة،الوجدانأيضاً .. فإن الاداء المسرحي بدوره يجب ان ينبذ كل ما هو نغمي يقصد في حد ذاته .. فالنغم موجود في الاداء اردنا ام لم نرد ، ولكن ان يطرب الممثل له ويجعله نقطة البداية والنهاية في الاداء فهذا هو الخطأ ، اذ يجب ان (يتحدث) الممثل الى المتفرج .. هذا الحديث يخلق نوعاً من الالفة وبالتالي الاتصال ، وبالتالي رغبة في الاقتناع وهذا هو المهم ، بل هو النتيجة التي يجب ان يسعى اليها الممثل ، اي ان (يقنع) ! وهنا تلعب الدراسة لإمكانات الصوت ولغة الايقاع ، بل واحياناً

الصمت .. كل هذا يلعب دوراً رئيسياً في ايصال المضمون الفكري للجملة وبالتالي للمنولوج في النهاية للمسرحية .

ان حروف المد والحروف المشددة ونهايات الجمل الساكنة يجب ان تشغل بال الممثل وهو يلعب دوره امام المتفرج . ولا أعتقد انني صاحب مدرسة في التمثيل، ولكني اهتم كثيراً بمهمة العزف على آلة الصوت . فالصوت البشري كمصدر من مصادر الاحبال الصوتية ، يعادل النغم النابع من احتكاك القوس بالأوتار الموسيقية . هل تتصور ان عازفاً لا يعرف مقومات اوتار آلته ؟!. ولا كيف يتحكم في الحاد منها والغليظ ؟ ! او لا يفهم بلغة الموسيقى الصمتة ومداها الزمني ؟! أود لو ان كل ممثل درس صوته كما ينبغي .

س : الى اي مدى يستطيع المسرح ان يساهم في وضع أسس العلاقات في مراحل التحول الاجتماعي ؟

ج : لا شك ان لحظات التحول الاجتماعي لشعب من الشعوب تعتبر من أشق واصعب اللحظات التي يواجهها مسرح ثوري ، فالمجتمع في هذه اللحظات ليس متجرداً بديهياً من مخلفات المرحلة السابقة .. مخلفات قد تقوى وتشتد وقد تضعف حتى تكاد ان تتلاشى . وفي نفس الوقت يحمل المجتمع بذور ارهاصات المرحلة الجديدة .. وبين المرحلتين مرحلة ثالثة قد تتسم بطابع القلق والتوتر بجانب الرغبة الاكيدة في تحقيق الافكار الجديدة .. هذه المرحلة الوسيطه هي ما أعنيها باللحظات الدقيقة الحرجة ، ليس فقط بالنسبة للمجتمع نفسه ولكن (وهذا بالضرورة) للمسرح بصفة خاصة . فالمسرح لغة تعبير فنية يملك حساسية خاصة لكل ما هو جديد . بل احياناً يكون المسرح هو نفسه من بشر بالمرحلة الجديدة لما يتسم به من شفافية وقدرة على استشراف المستقبل . وهنا ستكون القضية

قضية القائمين على المسرح ومدى ايمانهم بهذا التحول ومدى رغبتهم الاكيدة في تحقيق هذا التحول . وحيث ان المسرح وسيلة اعلامية ، قدر ما هو وسيلة تثقيفية تعليمية .. فإن العبء الاكبر يقع على المسرح « او على الفن عموماً » .

فالجمهور قد يقبل « ثم يقتنع بعد ان يكتشف الحقيقة » من المسرح أو من الفن اكثر مما يتقبل من محاضرة او موعظة جافة أو حتى مقالة مقروءة ، حيث ان ميزة المسرح تتجلى في انه يتناول الموضوع بالتحليل والمناقشة كي يصل الى خلاصة او نتيجة فكرية محددة لهذا الموضوع ، لذا نجد ان متابعة مسرحية تتعرض لقضية فكرية اكثر سهولة من اي وسيلة اخرى غير المسرح تتعرض لنفس القضية .. وكما قلت سلفاً ان العبء الاكثر في لحظات التحول هذه يقع على الفنان المثقف الملتزم . فبقدر فنه وثقافته والتزامه وايمانه بما يقدم ، بقدر ما سيكون نتاجه كذلك ، وبقدر ما سيكون حواره المسرحي مع الجمهور مقنعاً ومغيراً وثورياً .

ولكن ينبغي ايضاً ان لانهمل اللاعبين على السلم ، الآكلين على كل مائدة ، والمستفيدين من الشعارات . فهؤلاء هم اشد خطراً على الجمهور والمجتمع من الاعداء واضحي الاتجاه .

س ـ أرى أن « القرافير » لاتمثل اتساقاً متكاملا مع فعل السامر الشعبي لأنها فعل فردي في مواجهة العالم . مارأيك ؟

ج ـ ان الفن اختيار . والمؤلف عندما يختار « شخصياته » يصب فيها مقومات الحياة والفكر والحركة بحيث تكون تعبيراً صادقاً وواقعياً ـ دائماً بلغة الفن ـ عن الابعاد النفسية التي هي نبت لأبعاد اجتماعية واقتصادية .. الخ . وليس لزاماً على المؤلف إذا ماتعرض لشريحة عريضة من المجتمع او قطاع واسع من

الحياة ان يقدم نماذج متعددة لهذه الحياة او لذلك المجتمع ، بل قد يرى ان يركز الخصائص والصفات الفنية في « شخصية » أو في « قناع » حسبما يتراءى له . وفي « الفرافير » لانجدنا ازاء « شخصية » بالمعنى الارسطي ، بل بصدد « قناع » فلسفي واجتماعي يحوي في داخله مقومات طبقة وربما طبقات يشملها الطبقات – موقف وعلاقات محدد سلفاً – اما الفعل الفردي في الفرافير فلا وجود له .. اذ لسنا ازاء مسرح « شكسبير » او « راسين » او « كورني » أو « ابسن » .

إن طموح مسرحية « الفرافير » كان يستهدف طرح ومناقشة قضية فلسفية شاملة تغطي – او تأمل ان تغطي – قضية التصارع الطبقي وحتمية « التبعية » .. تبعية شخص لآخر يملك وحده زمام حياة الاول ومصيره .

إذن فالفعل الفردي لا وجود له ، وصراع « الفرفور » في هذه المسرحية انما هو تعبير عن صراع « كورالي » ، ان شئنا الدقة .

آبي لاثان الملون

قصة ارسكين كالدويل
ترجمة أسامة القوتلي

كان العم آبي يقشر الذرة في الزريبة عندما نزل لوثر بوليك من بيته الابيض الكبير على التل وأخبره بان يحزم متاعه وحوائجه ويرحل عن المزرعة . كان العم آبي قد اضحى ثقيل السمع بعض الشيء فلم يسمع ماقاله لوثر في بادىء الامر .

قال العم آبي : « هاتان الاذنان العجوزان تضايقانني ياسيد لوثر ، فيبدوا أنني لم أعد أسمع جيداً كما كنت . » .

نظر لوثر الى الزنجي وعبس . وكان العم آبي قد نهض ووقف بباب الزريبة حيث يستطيع أن يسمع أحسن .

« قلت أريدك وعائلتك ان تحزم متاعك وكل شيء يخصك فعلا وتمضي » .

وتلمس العم آبي باب الزريبة متمسكاً به خشية السقوط .

قال العم آبي : « أمضي ؟ » .

وتطلع في وجه صاحب المزرعة غير مصدق .

وسأله العم آبي بصوت يرتجف : « انت لاتعني ذلك ياسيد لوثر ، أليس كذلك ؟ لابد أنك تمزح ألست تمزح ياسيد لوثر ؟ » .

« انت سمعتني تماماً ولو انك تتظاهر بكونك نصف اصم . » قالها لوثر غاضباً واستدار سائراً عدة خطوات . « اريدك ان تغادر المكان في نهاية الاسبوع . اعطيك هذا الوقت الطويل اذا لم تحاول أن تسبب أية مشاكل . وعندما توضب أغراضك حاذر من أن تأخذ أي شيء يخصني والا سلطت عليك القانون » .

وتداعت قوى العم آبي بسرعة ولم يقو على مقاومة السقوط الابصعوبة ، واستدار قليلا ثم هبط على جانب الباب وجلس على أرض الزريبة . والتفت لوثر اليه ليرى ماذا هو فاعل .

قال العم آبي ببطء : « اني تجاوزت الستين لكنني أنا وعائلتي ياسيد لوثر اشتغلنا لك باخلاص . عملنا بجهد مثل أي واحد في مزرعتك كلها . وانت تعلم ياسيد لوثر ان هذا صحيح . عشت هنا أعمل لك ولوالدك من قبلك منذ اربعين عاماً ، وانا لم افاتحك مطلقاً بالحصص بالغاً مابلغ المحصول الذي اجنيه من الكبر . لم اطلب ابداً الكثير ، فقط مايكفي للطعام ولبعض الثياب وهذا كل شيء ، اسست بيتاً ملأته بالأولاد ليساعدوا في العمل ، ولم يسبب اي منهم اية متاعب لك ، اليس كذلك ياسيد لوثر ؟ »

ولوح لوثر بيده بحركة تدل على نفاد صبر دالا على رغبته بأن يتوقف الزنجي عن الجدال وحرك رأسه مظهراً احجامه عن الاصغاء الى اي شيء سيقوله العم آبي .

قال لوثر : « هذا صحيح حقاً ، ولكن يجب ان اتخلص من نصف المقيمين في مزرعتي ولا استطيع تحمل إقامة ثمانية أو عشرة مسنين أمثالك هنا بعد الآن . عليكم جميعاً بالرحيل والذهاب الى مكان آخر » .

وسأل العم آبي : « ألست عازماً هذه السنة على حراثة الأرض وزراعة القطن سيد لوثر ؟ فلم أزل قادراً على العمل مثل أحسن وأقوى عامل آخر . قد يقتضيني ذلك وقتاً أطول قليلا في بعض الأحيان لكنني انجز العمل . ألست أقشر هذه الذرة لأطعم البغال كما يفعل أفضل إنسان آخر . »

قال لوثر بعصبية : « ليس لدي الوقت لأقف هنا وأجادلك ، لقد قررت قراري وهذا كل مافي الأمر . عد الآن الى البيت حالما تنتهي من اطعام البغال وباشر في حزم متاعك كما اعلمتك » .

استدار لوثر مبتعداً وشرع يسير منحدراً في الممر نحو مستودع الغلال .. وعندما بلغ بوابة فناء المستودع استدار ونظر خلفه . كان العم آبي يتبعه .

قال العم آبي : « الى أين سأذهب أنا وعائلتي ياسيد لوثر ؟ أولادي في عمر يسمح لهم برعاية أنفسهم ، ولكن أنا وزوجتي بلغنا من الكبر عتياً ، وانت تعرف كم يصعب على شيخ ملون مثلي أن يخرج ليبحث عن منزل وأرض للعمل حسب الحصص . الاحتفاظ بنا لن يكلفك الكثير . وانا واولادي نزرع من القطن مثل أي كائن آخر . وآخر مرة ذكرت فيها الحصص كانت منذ زمن بعيد مضى ، منذ ثلاثين عاماً أو يزيد ، فأنا قانع بأن أشتغل كما أفعل وأحصل على شيء من الطعام وعلى قدر من الثياب . انت تعلم ان هذا صحيح ياسيد لوثر . عشت في كوخي الصغير هناك هذه الأربعين عاماً جميعها وهو البيت الوحيد الذي أملك . سيد لوثر ! انا وزوجتي كلانا طاعن في السن الآن وأنا عاجز عن العمل أجيراً

بالمياومة لأنني عدت لا أقوى على هذا . لكنني مازلت قادراً على زراعة القطن كأحسن إنسان ملون آخر في البلاد . »

فتح لوثر بوابة فناء مستودع الغلال واجتازها . وهز رأسه وكأنه غير عازم على الاصغاء أكثر من ذلك ، وأدار ظهره للعم آبي ومضى .

وفي مابعد لم يَبْدُ العم آبي ماذا عساه يقول أو يصنع . وعندما رأى لوثر يبتعد أصاب الارتعاش جسده جميعه واطبق على البوابة ليتمسك بها .

وقال بيأس : « لا استطيع الرحيل ياسيد لوثر ، لايمكنني ذلك . ان هذا هو مكاني الوحيد في العالم للعيش . فلا اقدر على تركه ياسيد لوثر . »وغاب لوثر عن الانظار عند زاوية المستودع ولم يعد يسمع العم آبي بعد ذلك .

في اليوم التالي بُعيد الثانية ظهراً بقليل ، وصلت شاحنة الى باب المنزل المؤلف من ثلاث غرف حيث يعيش العم آبي مع زوجته وأولاده الثلاثة الكبار . وكان العم آبي يجلس مع زوجته قرب النار لتدرأ عنه قر الشتاء ، وكانا وحيدين في الدار آنذاك .

سمع العم ابي الشاحنة تتحرك ثم تقف ، لكنه ظل جالساً حيث كان معتقداً أنه ابنه البكر هنري ، الذي كان يقود الشاحنة للوثر بوليك أحياناً .

وبعد ان مرت عدة دقائق قرع شخص الباب فنهضت زوجته لتوها وذهبت لترى من الطارق .

كان هناك عند عتبة الدار رجلان أبيضان غريبان عندما فتحت الباب . لم يقولا شيئاً في البداية ، غير انهما أجالا النظر في الغرفة ليشاهدا من فيها .

ووبلجا دون ان يتبسا ايضاً ببنت شفة وتوجها نحو المدفأة حيث كان العم آبي يجلس منحنياً فوق الموقد .

وسأل اكبر الرجلين: « هل أنت آبي لاثان ؟ » . فأجاب «نعم ياسيدي ، انا آبي لاثان »، مستغرباً من يكونا، لأنه لم يكن قد رآهما من قبل «لماذا تودان معرفة هذا ؟ » واخرج الرجل اسطوانة معدنية لامعة من جيبه ووضعها في راحة كفه امام عيني العم آبي . وقال: « انا انفذ أمراً قضائياً وثبوتية بحقك : الاول ، امر بالطرد ، والاخرى من اجل التهديد بايقاع الايذاء الجسدي . »

وفتح مذكرة الطرد من العقار وسلمها للعم آبي . وهز الزنجي رأسه بذهول ناظراً الى الورقة اولاً ثم الى الرجلين الابيضين الغريبين .

وقال الرجل الأكبر سناً : « انا نائب الشريف وجئت لأمرين : لاخراجك من المنزل والقاء القبض عليك . »

وسأل العم آبي « الطرد — ماذا يعني هذا ؟ » أجال الرجلان النظر في الغرفة لبرهة . وكانت زوجة العم آبي قد جاءت خلف كرسيه وألقت بيدين راعشتين على كتفيه .

« سنعمل على اخراج اثاثكم من المنزل ونضعه خارج املاك لوثر بوليك ثم ، والى جانب ذلك ، سنأخذك الى سجن المحافظة . والآن تعالا واسرعا كلاكما » . ونهض العم آبي ووقف هو وزوجته قرب الموقد مكتوفي الايدي لايدريان ماذا عساهما فاعلان .

راح الرجلان يجمعان الأثاث ويحملانه خارج المنزل ، اخذا الفرش والطاولات والكراسي وكل شيء آخر ضمن الغرف الثلاث ماعدا موقد الطهي

الخاص بلوثر بوليك ، وعندما صارت جميع الأشياء في الخارج راحا يكبسانها في الشاحنة .

وخرج العم آ بي الى مقدمة الدار بأسرع ما يستطيع . وتوسل اليهاقائلا: « يا أخواي الابيضين انتظرا دقيقة فقط الى ان اذهب وأجد السيد لوثر ،إنه سيضع الأمور في نصابها . إن السيد لوثر معامي ولن يسمح لكما باخراج متاعي جميعه بهذا الشكل . رجاء يا سيدي انتظر حتى اذهب وأجده . »

وتبادل الرجلان النظرات ، وقال نائب الشريف هازاً رأسه : « لوثر بوليك هو الذي وقع هذه الاوراق ، انه الشخص الذي استحصل على أوامر المحكمة باخراج الاثاث وايداعك السجن ، فلن يجديك نفعاً الآن محاولتك البحث عنه . » قال العم آ بي : « ايداعي السجن ؟ » . « ماذا قال لتفعلوا هذا من اجله ؟ »

« من اجل التهديد بالايذاء الجسدي » قال نائب الشريف . « اي بسبب التهديد بقتله عن طريق ضربه بعصا او رميه بمسدس . »

وألقى الرجلان ما تبقى من أثاث البيت في الشاحنة وطلبا الى العم آ بي وزوجته الصعود خلفاً . وعندما لم يبديا أية محاولة للصعود دفع بهما نائب الشريف الى المؤخرة ولكزهما حتى تسلقا الشاحنة .

وقاد الرجل الاصغر الشاحنة بينما انصرف نائب الشريف لمراقبتهما كي لا يتمكنا من الفرار . وقطعت الشاحنة الممر المخصص للسيارات ، مارة بمنازل المقيمين الآخرين ، ثم انحدرت على الطريق عبر التل من خلال اراضي لوثر بوليك باتجاه الطريق العام . ومرت بقرب البيت الابيض حيث يقيم لكنه لم يكن ظاهراً للعيان . واحتج العم آ بي : « لم اهدد مطلقاً بايذاء السيد لوثر . لم آت أمراً كهذا

في جميع حياتي بتاتاً . كما انني لم اتناوله بسوء ابداً . السيد لوثر معلمي وقد اشتغلت له مذ كنت في العشرين . البارحة قال لي انه يريد مني ان أرحل عن مزرعته وكل ما فعلته هو ان قلت انني أظن ان عليه ان يدعني أبقى فلن يطول بي الأجل بعد الان . قلت له لا ارغب في الرحيل . وهذا كل ما قلت للسيد لوثر . ابداً لم اقل انني سأعمل على قتله . والسيد لوثر يعرف هذا جيداً كما أعرف . سل السيد لوثر ان لم يكن هذا صحيحاً . » كانوا قد خلّفوا مزرعة لوثر بوليك وراءهم واستداروا منحدرين نحو مركز المحافظة الذي يبعد مسافة أحد عشر ميلا .

قال العم آبي : « عشت هنا أربعين عاماً وعملت للسيد لوثر ، ولم اتفوه في كل هذه المدة بحضوره او بغيابه بكلمة نابية ابداً .

كان يزودني وعائلتي بنصيب من الطعام وشيء من الثياب ، وكنت وعائلتي نزوع القطن له . وأنا أقوم بذلك منذ أن كنت في العشرين من العمر . جئت الى هنا وبدأت أعمل بالحصص لوالده اولا ، ثم تابعت عملي كما أفعل الآن بعد وفاته . ان السيد لوثر يعلم بأنني عملت بجد ولم أغض له امراً ، ولم اطلب سوى المؤونة وبعض الثياب في كل هذا الحين . سلوا السيد لوثر » .

اصغى نائب الشريف الى كل ما قاله العم آبي لكنه لم يرد بشيء . وأسف لحال الزنجي العجوز وزوجه ، لكنه لم تكن في يده حيلة . كان لوثر بوليك قد ذهب بسيارته الى المحكمة مبكراً في ذلك الصباح وأعد الاوراق المتعلقة بالاخلاء والاعتقال ، كان من واجبه كنائب للشريف ان يبلغ مضمون الاوراق وينفذ أوامر المحكمة . ولكن على الرغم من ان ذلك كان واجبه ، فلم يملك الا ان يشعر بالرثاء للزنجيين

لم يكن من رأيـــه ان على لوثر بوليك رميها خارج مزرعته لمجرد انهما باتا طاعنين في السن .

وعندما اصبحوا على مرأى من المدينة ، طلب نائب الشريف الى السائق ان يتوقف . وقاد الشاحنة الى جانب الطريق العام عندما بلغوا اول صف من المساكن .

كان هناك خمسة عشر او ثمانية عشر مسكناً للزنوج على جانبي الطريق ، وبعد توقفهم بدأ الرجلان الابيضان ينزلان الأثاث ويكدسانه على جانب الطريق . وعندما أخرج الاثاث جميعه من الشاحنة أمر نائب الشريف زوجة آ بي بالنزول . وهمّ العم آ بي بالنزول ايضاً ، لكن نائب الشريف امره بالبقاء حيث هو ، وانطلقوا بالشاحنة ثانية تاركين زوجة العم آ بي تقف قرب الاثاث في حالة ذهول عقلي .

« ماذا عساكما فاعلان بي الآن ؟ » سألهما العم آ بي متطلعاً الى الخلف بعيداً ناحية زوجه ومتاعه .

قال نائب الشريف : « سنأخذك الى سجن المحافظة ونحبسك هنـــاك » .

وسأل : « وماذا ستفعل زوجي ؟ » ـ « على الأغلب سيؤويها سكان احدى تلك المنازل » .

ـ « وكم سيطول احتجازي في السجن ؟ »

ـ « الى أن يحين موعد محاكمتك . »

وسارت الشاحنة في أزقة البلدة المغبّرة حول ساحة مبنى المحكمة وتوقفت أمام بناء من القرميد تغطي نوافذه القضبان الحديدية .

قال نائب الشريف : « ستنزل هنا . »

في هذا الوقت كان العم آبي قد أصبح من الضعف بحيث كاد ألا يقوى على المسير ، لكنه تحامل على نفسه عبر الممر الى الباب . وفتح رجل ابيض آخر الباب ، وطلب منه أن ينزل رأساً الى القاعة الى ان يؤمر بالوقوف .

قبيل ظهر السبت بقليل، وقف هنري، الابن الاكبر للعم آبي ، في مكتب رمزي كلارك ممسكاً قبعته . نظر المحامي الى الزنجي وقطب جبينه . وعلك قلمه لبرهة ثم برم في كرسيه مستديراً وراح ينظر من النافذة الى ساحة مبنى المحكمة . واستدار فوراً وتطلع الى ابن العم آبي .

قال : « لا أريد القضية ، لا اريد ان أمسّها . »

وحدق الصبي فيه باستكانة . انه المحامي الثالث الذي يراجعه في ذلك الصباح جميعهم رفضوا الترافع في قضية والده .

قال رمزي كلارك وهو لايزال مقطباً: «لاربح فيها، لن أحصل ابداً على قرش منكم أيها الزنوج اذا اخذت هذه القضية ، فضلا عن انني لم اعد ارغب في التوكل عن اي زنوج آخرين في المحكمة . ان محامين افضل مني تحطموا بهذه الوسيلة . لا أرغب في ان تكون لي سمعة محامي زنوج ؟ » . » .

نقل هنري ثقل جسمه من رجل الى اخرى وعض على شفتيه . ولم يعرف ماذا يقول . ووقف وسط الغرفة يحاول التفكير بطريقة للحصول على العون لوالده .

وقال محتجاً : « والدي لم يقل ابداً انه سيقتل السيد لوثر ، كان دوماً على علاقة طيبة مع السيد لوثر ولم يسبب أي منا اية متاعب للسيد لوثر . كل انسان ينبئك بهذا . جميع المقيمين الآخرين في اراضي السيد لوثر سيخبروك بأن والدي كان دوماً مع السيد لوثر . لم يقل ابداً انه سيسعى لايذاء السيد لوثر . »

أشار المحامي له بالتوقف . لقد استمع الى كل ما اراد ان يسمعه .

وقال غاضباً : « قلت لك انني لن أمسّ القضية » . والتقط بضعة اوراق والقاها بشدة فوق مكتبه . « لا اود الذهاب الى المحكمة واضاعة وقتي في المرافعة

بقضية لاتجدي فيها المرافعة بشكل او بآخر على اية حال . انه لشيء حسن لكم انتم الزنوج ، ان تقضوا مدة في السجن من وقت لآخر .

فليس مهماً ما اذا كان آبي لاثان قد هدد السيد بوليك او لم يهدده . آبي لاثان قال انه لن يرحل عن المزرعة . أليس كذلك ؟ اذاً فهذا كافٍ لادانته في المحكمة .

وهذا كل ما يريد القاضي سماعه عندما يحين موعد النظر في القضية . وسيرسل الى السجن بأسرع من قدرة القملة على القفز . لن يمضي اي محام الوقت الطويل في التحضير لقضية عندما يعرف كيف ستنتهي . فلو كان فيها مال ، فالمسألة قد تختلف . لكن ليس معكم انتم الزنوج قرش واحد لتدفعوه لي . لا .. لا أريد القضية ، لن أمسها .»

خرج هنري من مكتب رمزي كلارك وذهب الى السجن واستحصل على اذن بزيارة والده لمدة خمس دقائق . كان العم آبي يجلس على فراشه الضيق وينظر من خلال القضبان عندما دخل هنري . وجاء السجان ووقف خلفه عند باب المقصورة .

وبادر العم آبي ابنه بالسؤال : « هل رأيت محامياً واخبرته بأنني لم اقل شيئاً ابداً كهذا للسيد لوثر ؟ »

نظر هنري الى والده ولكن صعبت عليه الاجابة . وحرّك رأسه وخفض بصره حتى عاد لايرى غير الارض .

« انك لم تحاول ، أليس كذلك ؟ » سأل العم آبي .

وهز هنري برأسه .

« لكنك عندما اخبرت المحامين كيف انني لم اقل كلمة نابية بحق السيد

لوثر او والده من قبله في حياتي كلها ، ألم يقولوا إنهم سيساعدونني للخروج من السجن ؟ » وحرك هنري رأسه .

« ماذا قال المحامون ياهنري ؟ عندما اخبرتهم كيف كنت دوماً اعامل السيد لوثر باحترام ، وكيف عملت له على الدوام باخلاص كل حياتي ولم اذكر له الحصص . ألم يعبّروا عندها عن استعدادهم لمساعدتي ؟ »

نظر هنري الى والده محركاً رأسه جانبياً ليشاهده من خلال القضبان . كان يحتاج لأن يبتلع ريقه عدة مرات قبل أن يتمكن من الكلام .

وقال أخيراً : « راجعت ثلاثة محامين جميعهم قالوا إنه ليس بامكانهم ان يفعلوا شيئاً حول القضية وإن علينا أن نتركها لحين حلول موعد عرضها على المحكمة . قالوا انه لا يسعهم ان يأتوا أمراً لان القاضي سيحكم عليك بالسجن على أية حال . »

وتمهل قليلا ونظر الى قدمي والده من خلال القضبان .

« اذا رغبت فانني سأعاود محاولة البحث عن بعض المحامين الآخرين لأعرض عليهم قبول القضية . ولكن لافائدة كبيرة ترتجى من ذلك . فهم بالتأكيد لن يفعلوا شيئاً . »

جلس العم آبي فوق فراشه الصغير وأطرق . انه لم يستطع أن يفهم لماذا لم يقبل أي محام أن يساعده . ونظر لتوه من خلال القضبان الى ابنه . كان أعجز من أن يتحكم بالعبرات التي أسرعت لتملأ مآقيه .

وسأله : « لماذا قال المحامون إن القاضي سيحكم علي بالسجن على أية حال يا هنري ؟ »

شد هنري على القضبان ذاكراً كل تلك السنوات التي شاهد فيها أباه وأمه

يشتغلان في حقول القطن من أجل السيد لوثر بوليك لقاء مؤونة من الطعام وشيء من الكساء ومنزل يقيمان فيه ولا شيء غير ذلك .

« لماذا قالوا ذلك يا هنري ؟ » ألح والده بالسؤال .

« أظن لاننا فقط أناس ملونون » قال هنري أخيراً « ولا أدري ان كان هناك من أسباب أخرى حتى يقولوا أشياء كهذه . »

وتحرك السجّان من خلف هنري لاكزاً إياه بعصاه . اجتاز هنري صفوف المقصورات نحو الباب المؤدي الى الشارع ومضى دون أن ينظر الى الخلف .

في المكتبة العربية

عرض وتقديم : هشام الدجاني

مجموعة كتب ودراسات من منشورات
مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية

في جعبة المكتبة العربية لهذا الشهر سلسلة من الكتب الجديدة الصادرة عن مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية والتي تصدر تحت عنوان « دراسات فلسطينية » . وأول هذه الكتب التي سنعرض بها كتاب « أعباء الحرب على الاقتصاد الاسرائيلي »(١) من تأليف الاستاذ يوسف شبل . ولا بأس أن ننوه في البداية عن معرفة المؤلف الجيدة باقتصاديات العدو ، وهو قد سبق له أن وضع للمركز دراستين في الاقتصاد الاسرائيلي نشرتا ضمن السلسلة نفسها ، أولاهما بعنوان « السياسة المالية في اسرائيل » ، والثانية بعنوان « تجارة اسرائيل الخارجية » . كما له كتاب ثالث بعنوان « مقالات في الاقتصاد الاسرائيلي » .

حاولت هذه الدراسة الابتعاد قدر الامكان عن الآراء العاطفية والمتسرعة

---

(١) رقم (٧٤) ضمن السلسلة المذكورة ، آب (اغسطس) ١٩٧٠ — بيروت

التي لا تستند الى أي دليل علمي أو التي ينقصها دليل اختباري، معتمدة على مؤشرات اقتصادية محددة . ومن بين أهم الموضوعات التي تناولها المؤلف في هذا الكتيب اقتصاديات السلح ومدى ارتباطها ايجاباً أو سلباً بالنشاط الاقتصادي كله في بلدما، مع محاولة تحديد عبء الدفاع بطريقة علمية . وهذه المقدمة النظرية تعطي مدخلا تفسيرياً ضرورياً للبحث كله .

ومن خلال فصول الكتاب يلخص الكاتب الوضع المالي في إسرائيل بعد حرب حزيران ، ثم يستعرض ميزانيات الدفاع في اسرائيل منذ أوائل فترة الستينات ، وحجم هذه الميزانيات النسبي الى أوجه الانفاق الأخرى ومشروعات التنمية ، مع تركيز خاص على ميزانية ١٩٧٠–١٩٧١ لأنها تمثل خلاصة التطورات في السنوات الثلاث الماضية .

ثم يتناول المؤلف بعد ذلك أثر الحرب حتى الآن على مستوى العمالة والبطالة ، وعلى معدل النمو الاقتصادي ، مع محاولة الاجابة على السؤال عما اذا كانت اسرائيل قادرة على الاستمرار في تحقيق معدلات عالية في نموها الاقتصادي. كذلك يتناول اثر الحرب على مستوى الاجور والاسعار ، ومدى مساهمته في زيادة حدة التضخم المالي ، تلك الظاهرة التي رافقت نمو الاقتصاد الاسرائيلي .

ويفرد الكاتب فصلا خاصاً لتناول مواطن القوة والضعف في تركيب الاقتصاد الاسرائيلي ، ويصل في النهاية الى استنتاجات علمية مقنعة الى الحالة الحقيقية للاقتصاد الاسرائيلي في ظل حالة الحرب التي يمر بها الآن ، وفي حالة حرب مقبلة .

ولا بد أن نشير في النهاية الى أن هذا البحث هو محاولة علمية جادة وموضوعية لطرق موضوع لا يزال مهملا في الاوساط العربية العلمية رغم أهميته . وهذا

يتطلب استقراء مستمراً للمؤشرات الاقتصادية الاسرائيلية لتحديد حجم العبء الذي تتركه حالة الحرب على الاقتصاد المذكور .

« هجرة الادمغة والهجرة المضادة من اسرائيل »[1]

الكتاب كما يدل عليه عنوانه يتألف من قسمين أساسيين ، يتناول الأول منهما هجرة الأدمغة والكفاءات العلمية من اسرائيل، ويتناول الثاني الهجرة المضادة، عموماً من اسرائيل .

تعتبر الهجرة الى اسرائيل ، في رأي المسؤولين الاسرائيليين « خط الدفاع الأول » . وهذه الهجرة هي المشكلة الرئيسية التي تعاني منها اسرائيل بعد حرب الأيام الستة . فمقابل الحملة الضخمة التي تعدها السلطات الاسرائيلية بالتعاون، مع المنظمات الصهيونية المختلفة في الخارج من أجل جلب المزيد من المهاجرين اليهود الجدد ، نجد تياراً آخر من الهجرة يخلق قضية خطيرة تهدد كيان دولة اسرائيل ، ونعني به الهجرة المضادة من اسرائيل الى خارجها . وأخطر ما في هذه الهجرة ظاهرة هجرة « الأدمغة » وتسرب الكفاءات العلمية والتقنية بغية الاستقرار في البلدان الأوربية والامريكية، حيث يجدون الاجواء الملائمة علمياً ومادياً ونفسياً. وتعترف الادبيات الصهيونية بخطر هذه المشكلة الماثلة التي تصفها بأنها من أخطر المشكلات التي تواجه اسرائيل .

هذه الهجرة المضادة تسبب قلقاً بالغاً للمسؤولين في اسرائيل لما تسببه من آثار سلبية مختلفة. فضلا عن أن هذه الهجرة تفضح الدعاية الصهيونية العريضة القائمة على الزعم بأن اسرائيل هي فردوس اليهود المهاجرين و « مجمع المنفيين » . انها

---

(١) رقم (٧٩) ضمن السلسلة المذكورة تأليف د . الياس زين، نيسان (ابريل) ١٩٧١ — بيروت .

ستحدث رد فعل معاكساً لدى اليهود المرشحين للهجرة اليها ، واليهود الذين تحاول السلطات الصهيونية أن تغريهم بالمجيء الى اسرائيل بشتى السبل .

والهدف الرئيسي لمؤلف الكتاب هو استعراض مشكلة الهجرة المضادة وأهميتها وخطورتها بالنسبة للكيان الاسرائيلي . وأهمية هذه الدراسة تأتي من أنها تتطرق الى موضوع ، على أهميته البالغة ، هو من اقل الموضوعات بحثاً وتدقيقاً في الادبيات العربية . وموضوع هجرة الادمغة بشكل خاص يكاد يكون مجهولاً لدى الرأي العام العربي والعالمي .

وتستهدف دراسة الدكتور الياس زين هـــذه معالجة عدد من النقاط الاساسية في موضوع الهجرة المضادة من اسرائيل ، نذكر منها :

١ ــ تحديد بعض المفاهيم الهامة المتعلقة بالهجرة من اسرائيل

٢ ــ استقصاء الاحصاءات والحقائق من المصادر الاصيلة حول الهجرة المضادة .

٣ ــ تحليل تلك المعطيات وتقييمها بموضوعية في محاولة للكشف عن العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي تختفي حول نزيف الادمغـــة والقوى البشرية الاخرى .

٤ ــ استعراض المحاولات الاسرائيلية لوقف ومواجهة نزيف الهجرة المضادة .

٥ ــ تأثير نزيف الادمغة والهجرة المضادة ، معنوياً ومادياً ، على الكيان الاسرائيلي .

إن كتاب الدكتور زين يمكن أن نعتبره بحق مرجعاً في هذا الموضوع الهام ، وربما كان المرجع الوحيد الذي نملكه حتى الآن حول هذا الموضوع .

« العلاقات الاقتصادية الخارجية لاسرائيل » (١) .

يتناول هذا الكتاب ، كما يدل عليه عنوانه ، علاقات اسرائيل الاقتصادية الخارجية ومبادلاتها التجارية ، ثم الترابط بين مقومات الاقتصاد الاسرائيلي والعلاقات الاقتصادية الخارجية لاسرائيل . ويفرد المؤلف في نهاية الكتاب فصلا خاصاً للحديث عن الجهود العربية في مواجهة تطور العلاقات الاقتصادية الخارجية لاسرائيل .

لقد ادركت الصهيونية منذ أقامت هذا الكيان المصطنع في فلسطين المحتلة ، أدركت أهمية تنمية وتطوير علاقات اسرائيل الاقتصادية مع العالم الخارجي للتعويض عن نقاط الضعف الكامنة في الاقتصاد الاسرائيلي كضيق الرقعة الزراعية ، والمقاطعة العربية الاقتصادية ، والاعتماد على استيراد معظم المنتجات المصنعة والأسلحة الخ .

والعلاقات الاقتصادية لاسرائيل تجلت بأشكال ومظاهر شتى . فهي لم تقف مع بعض البلدان عند حدود المبادلات التجارية العادية ، بل تعدتها الى أشكال أخرى من العلاقات الاقتصادية كبرامج المساعدة الفنية ، وتدريب الكوادر ، واقامة المشروعات الاقتصادية المشتركة ، واجتذاب رؤوس الاموال الاجنبية ، وتوظيف بعض الاستثمارات في بعض البلدان النامية .

وقامت اسرائيل منذ أنشائها بتوطيد وتعميق روابطها الاقتصادية مع دول أوروبا الغربية بشكل خاص ، ومع الولايات المتحدة وكندا . ولا شك أن اسرائيل حاولت الاستفادة الى اقصى حد من نفوذها السياسي ونشاط المنظمات الصهيونية في هذه البلدان من أجل تحقيق أفضل الشروط للمبادلات التجارية ،

---

(١) تأليف يحيى عرودكي رقم (٨١) ضمن السلسلة المذكورة ، حزيران (يونيو) ١٩٧١ — بيروت .

ومن أجل الحصول على أكبر قدر من التسهيلات والمساعدات الاقتصادية المختلفة . ولكن الشيء الملاحظ أن اسرائيل بدأت تتجه في اوائل الستينات تقريباً نحو البلدان النامية في افريقيا وآسيا ، عارضة تقديم القروض والمساعدات المختلفة ، رغم ان اسرائيل نفسها دولة محتاجة للقروض والمساعدات والكوادر الفنية .

ودراسة الاستاذ يحيى عرودكي تكشف لنا عن مدى ما حققته اسرائيل من نجاح او اخفاق في اقامة هذه العلاقات وآفاقها ، وعن مدى انعكاسها على مستقبل النزاع العربي – الاسرائيلي ، ذلك ان التعرف الصحيح على اطار هذه العلاقات يتيح لنا معرفة الجوانب الهامة للاقتصاد الاسرائيلي ، هذا الاقتصاد الذي يمكن اسرائيل من البقاء والاستمرار والازدهار ، كلما ازداد قوة وازدهاراً ، كما ان هذه المعرفة الصحيحة تسمح للقوة العربية ان تكون اكثر قدرة على التحرك في مواجهة هذا العدو وفي الحد من نموه ومن ازدياد نشاط علاقاته وامتدادها في شتى ارجاء العالم .

إن هذه الدراسة القيمة تهدف ببساطة الى اعطاء صورة علمية متكاملة عن هذا الجانب الهام من جوانب الاقتصاد الاسرائيلي ، ونعني به العلاقات الاقتصادية الخارجية . ومثل هذه الدراسة الدقيقة تتطلب بالضرورة الاحاطة بطبيعة التكوين الاقتصادي الاسرائيلي ومقوماته ، واتجاهاته . وهذا ما قام به المؤلف بالفعل من خلال فصول الكتاب ، مستعرضاً الظروف الاقتصادية لاسرائيل منذ قيامها حتى يومنا هذا .

اوري افنيري

أو

الصهيونية المستحدثة [1]

عرض ونقد : **ميشيل كيلو**

من منشورات مركز الابحاث
التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية

حبذا لو كان عنوان هذا الكتاب هو : « أوري افنيري واستحداث الصهيونية » بدلاً من عنوانه الحالي : « اوري افنيري أو الصهيونية المستحدثة » ، فالصهيونية « المستحدثة » ، كما يسميها الكاتب ، ليست سوى اتجاه تاريخي نشأ ولا يزال ينشأ بعد قيام اسرائيل على ارضية تمازج الفكرة الصهيونية بمطالب ومطامع الدولة الاسرائيلية ، بما لها من مشاكل وما حققته من انجازات . وليس من السهل القول بأن هذه الصهيونية « المستحدثة » قد اتضحت بكل ما لها من أبعاد سواء بالنسبة لاسرائيل ام بالنسبة للعرب ، الطرف الآخر في الصراع التاريخي الدائر الآن وفي المستقبل . إن هناك ملامح لهذه الصهيونية المستحدثة ، ولكنه ليس هناك بعد ظاهرة سياسية

---

(١) كميل منصور : اوري افنيري « او الصهيونية المستحدثة » اصدار مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧١ .

يمكن تسميتها بالصهيونية المستحدثة ، لأن الصهيونية القديمة لازالت تكفي اسرائيل على مايبدو ، ولأن القضاء عليها لايزال امراً بالغ الصعوبة بحكم الحبل السري الذي يشد يهود اسرائيل الى صهاينة العالم برباط الوجود حاضراً ومستقبلا . هـذا هو السبب الأول الذي يجعلني اعترض على عنوان الكتاب . أما السبب الثاني فهو يعود إلى قناعتي بان « استحداث » الصهيونية ، او تحديثها ، هو أمر اكبر بكثير من طاقات شخص من الناحية الايديولوجية ، وأكثر تشعباً من قدرته على الرؤية .. فضلا عن أن تحديث ايديولوجية مـا هو عملية تاريخية تستغرق في العادة اكثر من جيل .

ومع أن مسألة العناوين تحتل في العادة رقعة ليست بالكبيرة عند مناقشة كتاب ما ، فإنها تكتسب هنا اهمية خاصة ، لأنها تعبر عن حكم اصدره المؤلف سلفاً على شخصية سياسية لامعة في الحياة الاسرائيلية ، وهو حكم اكبر من حجم هذه الشخصية بكثير ، للأسباب التي اوضحناها عند الاعتراض على مفهوم «الصهيونية المستحدثة» . فيا عدا ذلك فإن الكتاب يحتوي بين دفتيه على دراسة ممتازة حول أوري افنيري ، وماهو ابعد اثراً منه ، عنيت الظواهر الجديدة في الحياة السياسية والاجتماعية للمجتمع الاسرائيلي ، كما هو الآن ،وكما يحتمل أن يكون في المستقبل . وهو ، أي الكتاب ، لايجمع معلومات ممتازة عن هذا المجتمع فحسب ، بل يعالجها بدقة وحصافة قل أن نجد مثيلا لها في الدراسات الكثيرة التي تطرحها المطابع يومياً في سوق القراءة . ويجمع المؤلف بقدرة كبيرة بين التأريخ الشخصي لافنيري وبين التأريخ العام للحركة الصهيونية التي نما على جذعها ولازال يتغذى من نسغها الامبريالي والرجعي ، والذي تجمعه معها بقوة وحدة الاهداف والمطامح ، وإن اختلف معها في بعض الاساليب التي يرى أنها لم تعد مناسبة لوضع المنطقة المتغير .

على الجانب العربي بسرعة وعمق لمصلحة التقدم والحرية ، اللذين يحاول افنيري استغلالهما من اجل مصالح اسرائيل القريبة والبعيدة .

من اين ينطلق افنيري عيانياً ؟! . هذا السؤال لايحدد الى درجة كبيرة مجرى افكاره فحسب ، بل كذلك تطور نشاطه السياسي في المستقبل أيضاً .

انه ينطلق من مقارنة تاريخية عقدها قبله كثيرون بين الكيان الصهيوني بوضعه الراهن وبين الدويلات الصليبية التي عرفتها المنطقة في العصر الوسيط وزالت بعد قرابة قرنين من الزمان . والسؤال الذي يقلق افنيري في مقارنته هذه هو : لماذا زالت الدويلات الصليبية ، مع انه كان لها اتصال لايقل قوة عن اتصال اسرائيل بعالم خارجي يدعمها ، ومع انها كانت تعتمد على خطط عسكرية مشابهة لخطط الصهاينة في الاستناد الى تفوق نوعي مطلق لجيوشها ، وفي بناء مستعمرات دفاعية ، واقامة شبكة متراصة و كثيفة من نقاط الانذار المتقدمة وخلق حشد نفسي ومعنوي مفعم بجنون الحرب لدى مواطنيها ؟!

ويجيب افنيري على السؤال المقلق بالصورة التالية : لأن الدويلات الصليبية لم تستطع الاندماج في المنطقة العربية ، وبقيت طارئاً خارجياً عليها . إن السبيل التي ستجنب اسرائيل مصير الدويلات الصليبية تكمن اذن في الاندماج بالشرق الاوسط . غير أن افنيري ، وهنا تكمن صهيونيته ورجعيته ، لايؤمن باندماج من أي نوع كان ، بل باندماج يعطي اسرائيل مركزاً قيادياً بين الدول المجاورة لها ، ويمكنها من ان تتحول الى ثابت تاريخي لاغنى عنه لدى أي تطور يمسها ، كائناً ما كانت طبيعته . في هذه النقطة الجوهرية يلتقي افنيري مع دايان ومائير وايبان وغيرهم من قادة الصهيونية « التقليدية » . انهم يريدون اسرائيل قاعدة لمنطقة تخضع لها عسكرياً واقتصادياً وسياسياً ، وبينما يعتقدون هم ان القوة هي سبيلهم الى ذلك ، يرى هو في الاندماج مثل هذا السبيل .

على أية اسس يريد افنيري للاندماج أن يحدث ؟. على أسس الاطار المشترك الذي يقوم بين ما يسميه بالأمم السامية : الامة العبرية ، والامة الفلسطينية والأمة العربية .

اما الامة العبرية فهي شيء مختلف ، وفي بعض الاحيان مناقض لمطامح الصهاينة في خلق أمة يهودية عالمية . انها مجموع اليهود الذين يقيمون في فلسطين ، والذين يعتقد أنهم يختلفون عن بقية يهود العالم ، لانهم بداية أمة في طور التكون . هذه الامة يجب ان تفصل نفسها عن الصهيونية العالمية ، وان تعي دورها كقوة شرق أوسطية . غير ان انفصالها عن الصهيونية لايجب ان يعني انفصالاً مماثلا عن ارتباطاتها العالمية ، وخاصة تلك التي تؤمن لها مستوى مرتفعاً من الانتاجية الاقتصادية والحماية العسكرية . ان افنيري يريد اذن قطع الصلة مع الغصن الصهيوني ، وابقاءها مع الجذع الامبريالي ، علّ ذلك ينطلي على العرب ، ويمكن اسرائيل من ممارسة دورها الحالي دون ان يفتضح أمرها ، كما هو حاصل الآن .

هذا بالنسبة لعلاقات الامة العبرية مع العالم الخارجي والعربي ، اما علاقتها مع الامة الفلسطينية فيجب ان تكون قائمة على خلق كيان فلسطيني يمكن شعب فلسطين من ايجاد تسوية مع الامة العبرية تعترف بها امة قائمة وتنهي الصراع الذي لانهاية له بالمنظورات الحالية لصالح اسرائيل .

هذه خلاصة مكثفة عن وجهات نظر افنيري حول العرب والصهيونية واسرائيل ، وهي تعبر كما يقول مؤلف الكتاب عن تطلعات البرجوازية الصغيرة التي نشأت في اسرائيل بعد قيامها ، والتي لاترضى بأن تستمر الاحوال على ماهي عليه الآن ، وخاصة الارتباط مع الصهيونية ، لانها ترى في هذا الارتباط عقبة حقيقية ضد طموحاتها الخاصة في الثروة والسلطة ، ويلاحظ على هذه

البرجوازية الصغيرة ، وعلى ممثلها افنيري ، انهـا تشترك بنشاط في جميع المغامرات العدوانية والحربية الصهيونية التقليدية ، لانها تعرف تمام المعرفة ان « الامة العبرية » ليست سوى نتاج خاص لها ، ولانها تدرك ان التقليديين من الصهاينة هم الذين يصنعون السياسة الواقعية لاسرائيل ، وليست التبجحات والاوهام النظرية للمستحدثين .

الكيبوتز من الداخل [1]

هذا الكتاب هو الثاني من نوعه حول موضوع المستوطنات الجماعية في اسرائيل الذي يصدر عن مركز الابحاث ببيروت، وهو يتناول المستوطنات الجماعية من زاوية معينة، فيدرسها كشكل من اشكال الحكم المحلي، مركزاً على مختلف المؤسسات والسلطات النافذة فيها، بدءاً من العضوية والاجتماع، وانتهاء بدور المنظمات الخارجية في القرارات التي تتخذها الكيبوتزات.

ويكتسب موضوع الكيبوتزات اهميته من اسباب عديدة. فهي تلعب بادىء ذي بدء دوراً هاماً في الاعلام الصهيوني باعتبارها « وحدات انتاجية تغلبت لاول مرة في التاريخ العالمي على التناقض القائم بين الاشتراكية والرأسمالية

(١) موسى حنا عنز : الكيبوتز من الداخل . مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية . بيروت ١٩٧٠ .

خالقة بينها حلا وسطاً ناجحاً يستحق ان يحتذى به» كما يقول الاعلام الصهيوني. وهي ثانياً مدارس للتربية السياسية والعسكرية والثقافية، وليس هناك في الصفوف القيادية باسرائيل من لم يمر عبر درب الكيبوتزات، الا فيما ندر. كما انها مواضع عسكرية هامة يستخدمها العدو وجيشه في جميع الحالات التي تستدعي حشد قوته، سواء لدى الدفاع ام الهجوم. والى جانب ذلك فهي تملك اهمية خاصة لكونها وضعت حجر الاساس لخلق الدولة الصهيونية في فلسطين، اذ ان المعروف ان الصهيونية لم تبق بناء نظرياً وطموحاً سياسياً، بل توضعت في شكل عملي هو هذه الكيبوتزات بالذات التي مثلت بثوراً سرطانياً في جسد فلسطين العربية لم يلبث أن توسعت فعاليته بالهجرة الى ان قضى على الجسد الأصيل للمجتمع الفلسطيني.

إن دراسة الكيبوتزات من جميع الجوانب يساعدنا ولا شك على تفهم معركتنا مع العدو بصورة افضل واجدى، خاصة وأن وسيلته لهضم الاراضي العربية المحتلة في عدوان حزيران ١٩٦٧ هي مجدداً الكيبوتزات التي يسرع في بنائها داخل هذه الاراضي، والكتاب الذي بين أيدينا يقدم لنا كمية وافرة من المعلومات التي نحن بحاجة لها في تعاملنا مع هذا الشكل الانتاجي ـ العسكري من التجمع الاستيطاني.

يهود البلاد العربية (1)

يستعرض مؤلفا هذا الكتاب الوضع التاريخي لليهود في الاقطار العربية المختلفة في مختلف الفترات التاريخية التي مرت بها، ويجمعا معلومات كثيرة عن المراحل التي مرت بها هذه الاقلية الدينية في وطن كان بالأصل خال من المواقف العدائية المسبقة منها . ويركز المؤلفان على التاريخ، ويتعاملان معه تعاملاوثائقياً، فلا يفسران ولا يقحمان نفسيهما عليه ، بل إيتركا للاحداث أن تتحدث بنفسها . وبذلك يقدمان للقارىء كمية ممتازة من المعلومات التي يحتاجها في تعامله مع الصهيونية ، واقعاً ودعاية .

---

(1) يهود البلاد العربية - تأليف : د . علي ابراهيم عبده وخيرية قاسمية : مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية . بيروت ١٩٧١ .

وحين يعرج المؤلفان على الوضع الراهن لليهود في الوطن العربي، ينطلقان من رغبة صادقة في دحض الدعايات الصهيونية حول الاضطهاد المزعوم الذي يعانون منه . غير انهما يتخليان هنا عن جدية البحث العلمي ويلجآن الى اسلوب يتحاشى طرح المسائل بالقفز من فوقها ، بدلاً من أن يتصدى لها بالحلول .

مثال : في حزيران من عام ١٩٦١ كان عدد يهود مراكش ١٥٩٨٠٦ فرداً هبط الى ٤٥ ألفاً في ١٩٦٩/٦/٣٠ . ومع ذلك يقول المؤلفان :

« ان يهود مراكش يعيشون في امان ويرون فيها بلدهم الذي يتمتعون فيه بكافة حقوقهم »

من الواضح ان هذا الكلام ليس صحيحاً ، وأن الحرص على رد مزاعم الصهيونية حول الاضطهاد العربي قد اسقط المؤلفين في حفرة التكذيب السريع وغير المدروس .

إننا على ثقة من ان يهود مراكش لايضطهدون ، ولكن هناك قسماً كبيراً هاجر منهم . ذلك لايطرح فحسب مسألة سعادتهم الشخصية في مراكش وفلسطين المحتلة ، بل كذلك ، وقبل كل شيء مسألة إحساسهم بالمواطنة ، ومسألة الدعاية التي استطاعت انتزاعهم من وطن يعيشون فيه منذ خمسمائة سنة دون اضطهاد ولا كبت .

إن الهروب من المشكلة بالحديث عن عريضة قدمها يهود يستنكرون بها الصهيونية هو اخفاء للرأس في رمال الاوهام، فاليهود ينصبون وراء الصهيونية ، كما يبرهن الرقم ، برغم العرائض . هذا يعني ان المشكلة أعمق من مجرد التأكيد بأن اليهود يعيشون بامان في الاقطار العربية ، لأنهم يتركون هذا الامان ، وينصبون

الى كيان سياسي يعترف قادته جهراً انه غير آمن . هنا مكمن المشكلة . وقد كان حرياً بالمؤلفين معالجتها على هذا الصعيد ، وايجاد الحلول لها فوق هذه الارضية وليس في أي مكان آخر .

هذا لايعني ان الكتاب ليس مفيداً . بالعكس ، فهو يقدم مادة غزيرة وفيرة ومنقحة للدراسة ومعالجة حتى ما اهمل المؤلفان دراسته ومعالجته .

أين الاصالة والمعاصرة
في ثقافتنا ؟

عبدالله أبوهيف

إنهم ليسارعون الى تحديد أمور كبيرة بكلمات قليلة وإشارات غير مكتملة ، فأنت لاشك واجد بين مثقفينا والنقاد منهم بوجه خاص ما يقوم بهذه المهمة استسهالا لها ، او استهانة بموضوعها لأسباب وأهداف فكرية وسياسية متباينة وتسول الرغبة باتيان جديد يحرك بحيرة الثقافة الساكنة حيناً ، والادهاش حيناً آخر. فهم في الحين الاول كمن أصابه انبهار صارخ فما عاد يستطيع القدرة على التفاعل او التواصل مع هذه الارض ، وهم في الحين الاخر كمن ضجر من وضع ثقافي ماولا يستطيع له تبديلا ، فيكون همه الوحيد ان يلجأ الى ما يسمى « بالفهلوة » .. اذ نادراً ما تجد ناقداً يشكل لنفسه تياراً او يؤسس اتجاهاً او يخلق نظرية ، وانما جل اصحاب هذه المساحات النقدية التي تملأ المكتبة العربية تقدم في احسن الاحوال نظرة .. مجرد نظرة

نقدية . والى الصنف الثاني ينتمي عدد كبير من نقادنا، والى الصنف الاول ينتمي جلال العشري صاحب الكتاب الجديد « ثقافتنا . . بين الاصالة والمعاصرة » ، وهذا الكتاب ذو دلالة بالغة الأهمية على الوضع الثقافي العربي الحديث . .

أزمة الثقافة العربية

١ ــ « وتسألني : وماذا نحن صانعون بآدابنا وفنوننا ومعارفنا التقليدية كلها ، والتي كانت تحتكر عندنا اسم « الثقافة » ؟ فأجيبك بأنها مادة للتسلية في ساعات الفراغ ، ولم اعد أقول ــ كما قلت مراراً مقلداً هيوم وجارياً مجراه ــ لم أعد أقول انها خليقة بأن يقذف بها في النار . وحسبي هذا القدر من الاعتدال ، ابتغاء الوصل بين جديد وقديم »(١) .

هكذا وببساطة ينتهي زكي نجيب محمود من ما يسمى «بالثقافة» .. بآدابنا وفنوننا كلها ، فهذه البضاعة ليست اكثر من « كلام في كلام » يقف حجر عثرة أمام تحولنا المراد ، امام انتقالنا من (« دروشة » النصوص وشروحها وحواشيها الى العلم ومخابيره ومعامله ، ثم الى التصنيع بكل تقنياته)(٢) . وهذا الانتقال لن يتأتى ما لم نغير نظرتنا الى الانسان . فحتى علومنا الانسانية ترفض ان تنظر الى الانسان « تلك النظرة التي تسوي بينه وبين سائر الكائنات » (٣) ، فقد « وجدنا العصر متميزاً بالنظرة النسبية التي ترفض المطلقات حتى في المجال العلمي الدقيق نفسه ، بله ان يرفضها فيما هو نسبي بطبيعته فقبلنا النسبية في الفيزياء وما اليها ، لكننا تشبثنا

(١) مواقف : ع ٤ ، ص ٥٧ .

(٢) مواقف : ع ٤ ، ص ٥٦ .

(٣) الآداب : ع ١١ ، تشرين الثاني ، السنة ١٩ ، ص ١٢ .

بالقيم المطلقة الموضوعية التي تزعم انها حقائق اولية لاسبيل الى الاختلاف عليها بين انسان وانسان »(١) .

وهذا الكلام دار مرة في حديثه عن « العرب ومعنى التحول » ، ومرة ثانية في حديثه عن « موقف الثقافة العربية الحديثة في مواجهة العصر » . ففي المرة الأولى كان قاصداً كيفية الانتقال « من فكر الى فكر ، من حيـــاة الى حياة ، من اخلاق ومعايير الى اخلاق ومعايير ».. او بمعنى آخر : كيف نتحول؟. كيف نتقدم ؟. وفي المرة الثانية كان قاصداً التمييز بين معاصر واصيل .. او بمعنى آخر ايضاً : هل نحن في هذا العصر أم خارجه ؟.. وانتهى كما رأينا الى نتيجتين :

أ ــ رفض ما يسمى بالثقافة عندنا ، معارفها وفنونها وآدابها .

ب ــ ان العقل العربي غير قادر على دخول الحضارة الحديثة في موقفه الثقافي الراهن ، فبحكم « اطارنا الثقافي الاصيل نشعر بالقلق الشديد اذا نحن انزلنا الانسان هذه المنزلة التي تسلكه مع الطبيعة في عقد واحد ».. اذ لابد من التمييز « بين بدن وروح ، لتكون هذه التفرقة مدخلا الى تفرقة اعم ، ولعلها اهم ، بين دنيا ودين ، بين حياة اولى وحياة آخرة » ، وهي النظرة الروحانية التي تذهب الى تعقيل الطبيعة .. وهذا ما لا يقبله منطق العلوم .

٢ ــ وببساطة ايضاً يقرر غالي شكري ان المرحلة الحضارية التي تجتازها الامة العربية « متخلفة حقاً عن ارفع مستوى حضاري بلغه الانسان المعاصر في عالمنا »(٢) . لذا تكون المشكلة الحقيقية والجديرة بإعادة النظر هي الحـــاضر والمستقبل .. فليست القضية هي ان الحضارة غربية ام عربية ، لانها نظرة عرقية تقود الى الدمار ، ولان ما هو حضاري عند امتنا قد اخذ طريقه الى الحضارة الانسانية مباشرة ..

---

(١) نفس المصدر .

(٢) مذكرات ثقافة تحتضر ، ص ٧ .

ومن هنا كان علينا ــ على حد تعبيره ــ ان نستمد ثورتنـــا من الشعلة الاوربية مباشرة . اذن صراعنا مع الزمن وليس مع القسمة العادلة بين التراث القومي والحضارة الغربية .. وهنا تبدو « فهلوة » غالي شكري التي لاتعدو ان تكون اكثر من تمييع لموقفنا من الثقافة العربية ..

٣ ــ وهذا اديب النجمي يقفز السؤال المطروح : كيف تكون ثقافتنا ؟ الى سؤال آخر : « مشكلة ثقافة ام مشكلة مثقفين »(١) ، وهو في قفزه هذا يؤكد وجود الأزمة ليتجاوزها الى قضايا اخرى .. انه يربط الثقافة بالثورة ، فهي سلاح « مع الثورة » بيد الثوري ، كما لايمنع أن تكون سلاحاً « ضد الثورة » بيد الثوري أيضاً ، حين تتغير مواقعه ويصبح من اعداء الثورة . فكثيرا ما يتستر اعداء الثورة بالفكر الثوري كي ينسفوا كل البناءات العظيمة في ميادين الثورة ، ولكنهم في غمرة حماستهم واستحواذ مطالب التغيير السريع على ذواتهم تراهم ينتكسون ، وعندها لايعرفون ماذا يريدون ؟... ولعل هذا ماعبر عنه بالثقافة ــ التحرر ، حين تعمل أولاً على تحرير المثقف نفسه من نفسه ومن أهوائه ثم أن تعمل على اعداده ليكون متأهباً في كل وقت للشهادة في سبيل الحرية وحرية امته وشعبه .. وحرية الانسان اينما كان » (٢) .

* * *

وبهذه المواقف الثلاثة من الثقافة العربية الحديثة تتأكد الأزمة . اذ هي لا تكتفي بطرح نفسها في اطار المعاصرة والاصالة من طرف ، او في اطار التقليد والحداثة من طرف آخر .. بل تتجاوزه الى طرح علاقة الثقافة بالثورة ، أو علاقة المثقف ذاته بالثقافة حين تعني أموراً أخرى غير المعرفة والوعي بالحركة في ظروف

---

(١) الادباء العرب ، ع ٤ ، اكتوبر ١٩٨١ ، ص ٤٢ .

(٢) نفس المصدر : ص ٤٦ .

مثل ظروفنا ، وعلاقات مثل علاقاتنا .. إنها تطرح الحلول للأزمـة التي باتت واضحة تماماً ، لاننا نستبعد عقم تجاربنا وخواء انفسنا .. نستبعد موتنا .

البحث عن منهج

من هذه الصورة يأتي جلال العشري ليثير الأزمة من جديد ، محدداً إياها بالصراع بين الاصالة والمعاصرة ، فهو إذن منذ البداية يقف موقف الواصف للأزمة لا الخالق المبدل لها ، وهذا ما جعل عمقه عمقاً وصفياً وليس حركيا . لذا كانت مساهمته كناقد في حدود هذا الوصف تتمثل بمحاولاته التعرف على كنه النقد العربي وجوهره الاصيل ، من حيث هو نقد له سماته الخاصة وملامحه الذاتية ، التي ليست ترجمة ولا اقتباساً لمذاهب النقد الأجنبية . وهو اذ يصدر في محاولاته النقدية عن ارهاصات النقد الاولى التي قام بها نقاد العرب القدامى ، وعن مزايا اللغة العربية وعبقريتنا الخاصة في الفن والتعبير ، انما يفعل هذا في ضوء ثقافة أجنبية هادفة ، وفي ضوء تجربتنا الاشتراكية الرائدة . وهذا ما عبر عنه بمفهومي الأصالة في أن نصدر عن ذواتنا الحقيقية لا عن غيرنا من الذوات ، والمعاصرة في أن نحيا تجربتنا الواقعية دون أن نقطع صلتنا بتراثنا الماضي ، ودون أن نعزل عن العالم من حولنا »(١) .

وهنا ومنذ الصفحات الاولى في المقدمة « البحث عن نظرية » يصدعنا في دراساته « البحث عن منهج » ، فالأزمة في كتابه تستجد في صراعات أخرى تتجاوز مايطرحه الى الطرح التالي: **كيف نصدر عن ذواتنا الحقيقية لا عن غيرنا من الذوات ؟ وكيف نحيا تجربتنا الواقعية دون أن نقطع صلتنا بتراثنا الماضي ، ودون ان ننعزل عن العالم من حولنا ؟**

---

(١) ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة ، ص ٢٤

أين المسرح العربي ؟

لقد تناول المؤلف ظاهرة المسرح أو الأدب المسرحي في ثقافتنا على سبيل المثال في مقالات ثلاث :

١ ـ البحث عن مسرح مصري .

٢ ـ نعمان عاشور ودراما التغير الاجتماعي

٣ ـ كاتب ياسين .. بين المحلية والعالمية .

وهؤلاء المسرحيون الثلاثة : يوسف أدريس ونعمان عاشور وكاتب ياسين يطرحون بحدة أزمة المسرح العربي في واقعه الراهن وما يثيره من ظواهر وقضايا.. الاول من خلال بحثه عن شكل المسرح المصري ، والثاني من خلال اصراره على مسرح المشكلة الاجتماعية ، والثالث من خلال حيرته بين اللغة الفرنسية والارض الجزائرية .

وطرح أزمة المسرح العربي لا يعني أنهم يقدمون وسيلة لمناقشتها لأن هذا لايتم بدون وضع خريطة شاملة للمسرح العربي أو الحركة المسرحية العربية ، اي مناقشة الحركة المسرحية العربية منذ بدايات التراث حتى محاولات المسرحيين الاخيرة ، مروراً بالرواد وتوفيق الحكيم ، واخضاع هذه المناقشة لمفهومي الاصالة والمعاصرة ، ثم يأتي بعدها الحديث عن مسرحيات بعينها كما فعل العشري هنا . ذلك أن « فرفور » يوسف ادريس يظل ظاهرة من ظواهر مسرحنا لا اكثر ، كما هو مسرح نعمان عاشور الاجتماعي تماماً. وما يزيدنا اسى أن بحث الحرية والثورة في مسرح كاتب ياسين لا يفيد في بحث الاصالة والمعاصرة .

ان هذه البحوث الثلاثة لم تخدم طموح الكتاب الكبير في بحثه عن الاصالة

والمعاصرة .. مما يؤكد فقدان المؤلف الى النظرية النقدية او حتى المنهج النقـدي . . فكيف بالفكر ؟!

القراءة وتجديد القراءة

يقول جلال العشري في كتابه السابق « لن يسدل الستار » عن مسرحية « الفرافير » : (أما وقد جاءت « المهزلة الارضية » مهزلة بحق ، اقل ما يقـال فيها انها لا ترتفع الى أن تكون تأثيراً ببيراندللوياً لأنها مسخ وتشويه لفن الكاتب الايطالي العظيم ، فقد اصبح لزاماً على النقد ان يعود فينقد نفسه ؛ اعني ان يعيد النظر في تقويم مسرحية « الفرافير » في ضوء مسرحية « المهزلة الارضية » ليجدها مسرحية في ذاتها لا جذور لها ولا امتداد ، او مسرحية مغلقة أقرب الى « الحارة السد » منها الى الطريق المفتوح) . ثم يقول : « ان يوسف ادريس كغيره من كتاب المدرسة المصرية الحديثة ليس ثائراً ولا رائداً ولا صاحب اتجاه ، فمسرحيته شيء يتراوح بين الاقتباس والترجمة والتعريب ، او هي عبارة عن مسرحية غربية كتبها مؤلف مصري ، اكثر منها مسرحية مصرية كتبها مؤلف مصري ! »(١) .

ويقول في كتابه الجديد عن نفس المسرحية : « وهكذا استطاع يوسف ادريس ببراعة وروعة نادرتين ، أن يدير مسرحيته على ثلاثة محاور رئيسية ، هي نفس المحاور التي تأدت به تأدياً عضوياً حياً من البحث عن شكل المسرح المصري على اساس من السامر وخيال الظل ، الى نقد واقعنا المحلي على اساس من مشكلة « التبعية والسيادة » ، الى اثارة قضية الحرية بمفهومها الانساني العام ، الذي يجعل المسرحية في النهاية .. مسرحية كل انسان »(٢) .

* * *

(١) لن يسدل الستار . ص ١٢ — ١٣ .

(٢) ثقافتنا .. بين الاصالة والمعاصرة ، ص ٢٢٠ .

والآن ، هل نصدق هذا الكلام أو ذاك ؟ .. في الكتاب السابق رفض تام للمحاولة وتقليل من شأنها أو هي لا شيء .. وفي الكتاب الجديد قبول تام للمحاولة ورفع من شأنها، أو هي كل شيء .. أقول : إننا نقف حائرين امام هذا التناقض، اذ لا يمكن ان تتغير احكامنا النقدية خلال فترة قصيرة بين ايلول (سبتمبر ١٩٦٧) وهو تاريخ صدور « لن يسدل الستار » وتشرين الاول (اوكتوبر ١٩٧١) وهو تاريخ صدور «ثقافتنا..بين الاصالة والمعاصرة» ، مع العلم ان العمل «المنقود» لم يتبدل . وتزداد حيرتنا حين نراه يطالب مسرحياً برأي العقاد في الشعر (١) ، ولا يجده ، فليس هناك كاتب مسرحي يحقق رؤيته في المسرح والقائمة على :

١ ــ الاصالة والمعاصرة .. أو :

٢ ــ المذهب الانساني المصري العربي وهو نفسه مذهب العقاد في الشعر .

وينتهي حديثه في كتابه السابق عن المسرح بيأس تام :

« فإلى أن تجيء يا أيها الانسان ..!! »(٢) .

اذن يوسف أدريس ليس شيئاً على الاطلاق عام ١٩٦٧ ، ويأتي عام ١٩٧١ ليقول :

« هذه هي القضية التي طرحها يوسف أدريس ، وكان طرحها بمثابة ثورة في ميدان الفنّ المسرحي ، تشبه في كثير من الوجوه تلك الثورة التي قام بها العقاد في ميدان الشعر »(٣) .

---

(١) طالب العقاد في مقالاته التسع التي نشرها بعنوان « الشعر في مصر » أن يصدر الشاعر في مصر عن السليقة المصرية ليعبر عن الروح المصرية من خلال أغانيها الشعبية في الأرياف .

(٢) لن يسدل الستار . ص ١٨ .

(٣) ثقافتنا ... ص ٢١٠ .

كيف ذلك ؟.. ان ما كتبه جلال العشري لهو خاضع لقراءاته ، وما كتبه ليس « نقداً » بقدر ما هو « قراءة » للعمل ، تقف منه موقف الرضى والابتهال في أغلب الاحيان ! ولعله حين يجدد قراءته للفرافير سيكتب كلاماً غير ما كتبه في المرتين السابقتين في « لن يسدل الستار » و « ثقافتنا ... » .

وهذا التناقض في الاحكام فصلناه في شاهد الفرافير ويوسف أدريس لأنه ينطبق على ما كتبه عن نعمان عاشور .. وهكذا ..(١) لذا فإن ما جاء في مقالاته لا يعدو كونه قراءة لمسرحيات ثلاثهي « الفرافير » بلادير » ثلاثية دائرة الانتقام » .. أما مسألة الصراع بين الاصالة والمعاصرة في المسرح فقد ظلت بعيدة ، اذ أنه لا يتطرق مثلا الى رأي علي الراعي ومفاده « أن المسرح العربي يبدي لنا حالة واضحة من حالات الامتزاج العضوي والعميق بين ما هو أصيل وما هو جديد . وهو يثبت بما لا يقبل الشك أن تمام الجدة انما يكون بالاستناد الواثق الى الاصول» (٢) .

وهذا رأي ليس عابراً ، فهو يقوم على جهود كبيرة تمثلت في كتابيه « الكوميديا المرتجلة في المسرح المصري » و « فنون الكوميديا من خيال الظل الى نجيب الريحاني » ... كما لا يشير مثلا الى ألفريد فرج وبحثه عن الاصالة والمعاصرة من خلال مسرحه التاريخي والتراثي .. والى محاولات سعد الله ونوس في المسرح السياسي من خلال مسرحياته القصيرة ومسرحيتيه الطويلتين «حفلة سمر من أجل ٥ حزيران» و « مغامرة رأس المملوك جابر » ، كما يهمل رأياً لصلاح عبد الصبور يمثل أراء جمهرة عريضة من المثقفين تجد ان المسرح العربي لن ينتمي الى عالم المسرح « إلا

---

(١) ويظل الأمر محيراً اذا عرفنا أن هناك أجزاء طويلة في هذا الكتاب مأخوذة من ذلك الكتاب (اقرأ مثلاً ص ٨ ـ ٩ من لن يسدل الستار ـ ص ٢٢٣ من ثقافتنا..).

(٢) الآداب ع ١١ ، السنة ١٩ ، ص ٢٧ .

إذا استمد انطلاقته من تاريخ الانطلاقة المسرحية في العالم منذ الأغريق حتى أيامنا هذه ، أما الجري وراء متاهات البحث عن جذور مصرية أو عربية للمسرح فعبث لا طائل وراءه إلا بتبرير العيوب التي نواجهها في أعمالنا المسرحية »(٢) .

مجموعة مقالات متفرقة

ومسألة الصراع بين الاصالة والمعاصرة اذا كنا قد فقدناها في الدراسات المخصصة للادب المسرحي ، فنحن نفقدها أيضاً في الدراسات المخصصة للفكر الفلسفي والنقد الأدبي والشعر والرواية والقصة القصيرة .. أي أن العشري لم يكتب هذه المقالات ونصب عينيه هذا الموضوع، بقدار ما ألبس كتاباته السابقة ثوباً ليس من حجمها ..

إن هذا الكتاب يقدم قراءات لأعمال او كتاب بعينهم.. وهم : العقاد، زكي نجيب محمود ، انيس منصور في الفكر الفلسفي ، محمد مندور ، لويس عوض، رجاء النقاش في النقد الأدبي ، العقاد، شوقي ، البياتي ، عبد الصبور ، عبد الرحمن الشرقاوي في الشعر ، الطيب صالح ، يوسف الشاروني ، غادة السمان في الرواية والقصة القصيرة .

وبمراجعة بسيطة للمقالات المخصصة للنقد الأدبي نجد أنها غير قادرة على إعطاء صورة للصراع بين الأصالة والمعاصرة — كما هو مفروض — فمندور ولويس عوض ورجاء النقاش لايشكلون الخريطة الكاملة للنقد العربي باتجاهاته وخصائصه..أين محمود أمين العالم وحسين مروة بمنهجها الايديولوجي ؟.. أو أين النويهي بمنهجه النفسي؟ او اين جبرا ابراهيم جبرا او توفيق الصايغ بمنهجها التقويمي ؟..

---

(٢) المسرح ع ٦٢ ، ص ٤ .

ورغم ذلك فان النقد كان أحسن حظاً، فقدحاول العشري ان يرسم خريطة شبه واضحة للنقد العربي الحديث في مقدمة الكتاب .

وفي الشعر ، رغم أن المقالة الأولى كانت تصلح للنشر في كتاب يعالج الأصالة والمعاصرة ، فإن المقالة الثانية على معالجتها لأصالة ومعاصرة هذا الشاعر الكبير .. البياتي ، الا انها لاتعالجها من خلال تيار ينظمه ، او تأريخ يشكل البياتي حلقة من حلقاته ... وبذلك ظلت دائرة من دوائر المقالات التي تدور في فلك الكتاب دون أن تفيد في تعميق الموضوع المطروح ، أما مقالته الثالثة فلا يجب أن تكون عن مسرحية « مأساة الحلاج » ، بل شعر مؤلفها ، لان عبد الصبور تعبير حقيقي عن الشاعر العربي الذي تمثل ثقافة عصره والانكليزية منها بشكل خاص ، وانضج في شعره أكثر من غيره تصارع مسألة الاصالة والمعاصرة ، فهو الحلقة التي تكمل شعر « التقليدية الجديدة » كما ظهرت في علي محمود طه وأبناء جيله. وتأتي المقالة الرابعة عن مسرحيتي عبد الرحمن الشرقاوي الشعريتين « مأساة جميلة » و « الفتى مهران » .. ولا أعرف سبباً للكتابة عنها في القسم المخصص للشعر ، وقد كان من الممكن أن يفيد صراع الأصالة والمعاصرة من خلال معالجة ظاهرة « انصراف الشعراء الى المسرح » وليس من خلال التحليل الشارح لنصي المسرحيتين بحيث ضاعت هذه المقالات بين التحليل والتركيب ، بين العام والخاص ، بين النقد النظري والنقد التطبيقي . ولعل التهمة نفسها التي وجهها العشري في نقده رجاء النقاش ، يمكن ان تصيبه هو : « اقول ان منهج النقد السامي عند رجاء النقاش وان كان قد تخلق في كتابه الأخير ، إلا أنه لم يتبلور بعد بلورة كاملة ، فلا يزال المنهج القاصر عن استيعاب كافة أبعاد الظاهرة الأدبية ، أعني انه في الوقت الذي يصدق فيه تطبيق ذلك المنهج على رائد مثل لطفي السيد ،

ومفكر مثل طه حسين ، وأديب مثل توفيق الحكيم ، وناقد مثل محمد مندور ، وشاعر مثل محمود درويش ، لانكاد نجد مصداقاً له في حالة أديب مثل يحيى حقي ، أو روائي مثل الطيب صالح ، أو شاعر مثل أحمد رامي » (١) .

إن الكتاب ـ بهذا الوضع ـ يعرض للحالة الثقافية الراهنة مؤكداً أزمتها ولو عن طريق الاشارة والوصف ، ومن هنا كان عمقه ـ كما قلنا ـ وصفياً ، وليس حركياً يتناول الثقافة العربية في واقعها الراهن وطموحها القريب والبعيد بآن.. طموحها في تصفية علاقاتها مع التعليم العام والتعليم الجامعي ، ووسائل الاتصال الجماهيري ، والهيكل التشريعي السائد ، والفكر الاستعماري الصريح أو المتستر ، والتميع الفكري والجمود السلفي ، وغيرها من مظاهر التخلف الحضاري (٢) .. طموحها في الثورة ، وهو بحث يتجاوز موضوعة الاصالة والمعاصرة بحد ذاتها للانتقال بأزمة الثقافة العربية من الوصف الى الحركة ، اذ ان هذه الثورة تأتي بعد الموضوعة ، مستفيدة منها ومن موضوعات أخرى خطيرة تفسر الاصالة والمعاصرة من خلال التطبيق .. وهنا نفهم سبب المطالبة باعادة كتابة تاريخنا القومي ، وتنقية تراثنا من مظاهر الخرافة والتزييف ، وتمييز مايدخل في باب « العقل » وباب « النقل » ... كما نفهم سبب المطالبة بالاهتمام الزائد بتدريس اللغات الاجنبية الحية وبحركة الترجمة لتقديم الأعمال الاصيلة التي أضحت جزءاً من تراث الانسانية ..

★ ★ ★

---

(١) ثقافتنا ... ص ١١٧ .

(٢) راجع ماكتبه محمود أمين العالم في الآداب ع ٧ ، السنة ١٨

النسخ والتكرار

ثمة ملاحظة صغيرة أخرى ، كان القدماء يفرّقون بين ناسخ ومنسوخ ، وعلينا ان نهتم بهذه القضية حين نقرأ لجلال العشري بنفس القوة التي نهتم فيها بمسألة تكرار الصياغات اللفظية التي تجره الى أحكام لاتنسجم مع النظرة العامة .. لنقرأ :

— « ان يحيى حقي بحق هو آخر من بقي من جيل مضى ، جيل الروّاد في القصة القصيرة » (١) .

— « ان كتاب رجاء النقاش ، بالنسبة لمن تناولهم من الرواد ، تحية تقيم من جيل جاء الى جيل مضى » (٢) .

— « وهو آخر — يقصد لويس عوض — من بقي من جيل مضى ، جيل البنائين » (٣) . الخ .. من استخدامات هذا التركيب العجيب في مقالاته الاخرى ، وهذا التورط يأتي مصداقاً لكلام قلته عنه قبل فترة ومفاده : جلال العشري اسير لفظته الناقدة ، ومعجب بكلّ كلمة يكتبها » .

★ ★ ★

(١) ثقافتنا ... ص ١١٨ .

(٢) نفس المصدر .. ص ١٣٢ .

(٣) نفس المصدر .. ص ١٠٩ .

انّ جلال العشري مازال مبهوراً بالثقافة المعاصرة التي عبّ منها ماشاء له العبّ ، فهو مثقف من الدرجة الاولى اذا كانت الثقافة تحصيلا جاهزاً واتكاء متواصلا ، وهذا السلاح غير كافٍ للتفاعل أو التواصل مع ارضنا العربيـــة دون دراسة وافية لواقعها الثقافي ، وفهم شامل لابعاده .. حتى يبتعد عن الاثارة ويصل الى ماهو ابعد من تحريك بحيرة الثقافة الساكنة ، حتى يصل الى ازمة الثقافة العربية .

★ ★ ★

توصيات المؤتمر العربي الأول للفنون الجميلة

عقد في دمشق من ٦ – ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ المؤتمر العربي الأول للفنون الجميلة .

وقد اشترك من الاقطار العربية : الكويت – لبنان – تونس – مصر – ليبيا – فلسطين – سورية .

طرحت في هذا المؤتمر المواضيع الرئيسية التالية :

- واقع الفنون التشكيلية في كل قطر عربي
- الفنان العربي – مجالات ابداعه – سماته الخاصة وصلته بالتيارات الفنية المعاصرة
- الفنون التشكيلية العربية وموقعها من حضارة القرن العشرين ومن الحضارة العربية
- الفنون الجميلة ومعركة الامة العربية ودور الفنان في المعركة
- الفنان العربي في حقوقه والتزاماته

قدم « ١٣ » بحثاً في هذا المؤتمر ، قدمها الفنـانون : مصطفى الحلاج « فلسطين » محمود حماد - د . عبد المنان شما - فاتح المدرس - نعيم اسماعيل - مصطفى بستنجي - د . عفيف بهنسي - ممدوح قشلان « سورية » - د . صالح رضا « مصر » - وهيب بتديني - محمود الرز « لبنان »

وفي نهاية المؤتمر أقر المؤتمرون اعلان قيام اول اتحاد عربي للفنون باسم « الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب » .

وانتخب اعضاء لمجلس الاتحاد السادة :

اسماعيل شموط « فلسطين » اميناً عاماً للاتحاد ، ممدوح قشلان « سورية » اميناً للسر ، منير نجم « لبنان » اميناً للصندوق ، صالح رضا « مصر » مستشاراً لدى جامعة الدول العربية ، السيد الهادي التركي « تونس » مستشاراً لدى اليونسكو ، الطاهر المغربي « ليبيا » مستشاراً لدى المغرب العربي ، عيسى محمود « الكويت » مستشاراً لدى الخليج العربي .

وقد أقر ان يكون مقر الاتحاد المؤقت دمشق .

واقرت بعد ذلك توصيات المؤتمر ، والنظام الاساسي للاتحاد . وتقرر أن يعقد المؤتمر المقبل بعد عامين ، بدعوة من أحد الاقطار العربية .

وفيما يلي ننشر نص التوصيات لما لها من اهمية تاريخيـة في حيـاة الحركة الفنيـة العربية ، فقد كان هذا المؤتمر وهذا الاتحاد حلماً يراود كل فنان عربي في الوطن العربي ، وقد تحقق هذا الحلم واصبح حقيقة واقعة :

الفنانون التشكيليون العرب المجتمعون في المؤتمر العربي الاول للفنون الجميلة المنعقد في دمشق مابين ٦–١٢ كانون الاول ١٩٧١ يحيون القوى والتيارات العربية العاملة على تحرير الارض المغتصبة واستعادة الحق الفلسطيني ويؤيدون نضال الشعب الفلسطيني بشتى صوره النضالية ، كما يستنكرون احتلال ايران للجزر العربية في الخليج العربي ويطالبون بضرورة استعمال كافـة الوسائل لاستعادتها عربية .

ويقدمون تحية اكبار للجنود العرب البواسل على خط النار ويؤكدون للشعب العربي من خليجه الى محيطه بأن الفنانين التشكيليين يتحملون كامل مسؤولياتهم في هذه المرحلة المصيرية ليأخذ الفن دوره الحقيقي في البناء والتحرير والوقوف بصلابة امام التحديات الاستعمارية والصهيونية والاستغلال والتخلف .

ويتعهدون بوضع كامل طاقاتهم الابداعية لتحقيق ذلك بدءاً من اقامة معرض عربي شامل للفنون التشكيلية حول الفن ومعركة الامة العربية .. يتنقل بين الاقطار العربية وعواصم العالم :

١ ـ التوصية لدى جامعة الدول العربية وحكومات الاقطار العربية بالاعتراف باتحاد الفنانين التشكيليين العرب كأحد المنظمات الثقافية العربية والمساهمة فيه بالدعم الأدبي ببناء مقر لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب يكون مشتملا على قاعة للمعارض ومكتبة وقاعة للمحاضرات .

٢ ـ يوصي المؤتمر الحكومات العربية بالمعاونة والعمل على تكوين نقابات او اتحادات للفنون الجميلة بكل دولة عربية في اقرب وقت ممكن كي يمارسوا دورهم في معركة البناء والتحرير .

٣ - يوصي المؤتمر بعقد المؤتمر العام للفنون الجميلة مرة كل عامين بأحد الدول العربية .

٤ - يوصي المؤتمر جامعة الدول العربية ومنظمة تحرير فلسطين بجمع التراث الفلسطيني واقامة متحف له وحمايته من السرقة والتزييف الذي تقوم به اسرائيل وتنشره في اوساط العالم الثقافية .

٥ - يوصي المؤتمر الحكومات العربية بالحفاظ على التراث الفني والشعبي للدول العربية واقامة المتاحف الفنية في الاماكن التي تعرضت للعدوان .

٦ - يوصي المؤتمر الحكومات العربية بعدم السماح بتصدير التراث الفني الا بترخيص خاص حفظاً له من الاندثار والسرقة .

٧ - يوصي المؤتمر الحكومات العربية بانشاء نظام التفرغ الكامل أو الجزئي للفنانين ، واقامة مراسم ومساكن لهم .

٨ - يوصي المؤتمر الحكومات العربية بتوفير حرية العمل والتنقل للفنان التشكيلي في الدول العربية المختلفة .

٩ - يوصي المؤتمر حكومات الاقطار العربية باقامة معرض سنوي عام للفنون التشكيلية العربية تخصص له جوائز مالية كبيرة وميداليات على أن يقام في عاصمة عربية مختلفة كل عام بالتناوب .

١٠ - التوصية لدى الحكومات العربية باقامة متاحف للفنون المعاصرة بعواصمها ، يخصص في كل متحف جناح للفنانين العرب .

١١ - يوصي المؤتمر حكومات الاقطار العربية بانشاء معاهد او كليات فنية في الدول التي ليس بها معاهد او كليات للفنون الجميلة .

١٢ - يوصي المؤتمر حكومات الاقطار العربية بالعناية بالثقافة الفنية بين جموع المواطنين العرب وتشجيع التأليف والترجمة في مجال الفنون الجميلة عامة والفنون العربية خاصة .

١٣ - التعريف بالفنانين العرب عن طريق نشر كتب ونشرات عنهم وطباعة اعمالهم بالالوان .

١٤ - يوصي المؤتمر الحكومات العربية باعتبار المختصين في الفنون الجميلة، من ذوي الاختصاصات النادرة التي تستحق التعويض المناسب (بدل التفرغ) اسوة بالمهندسين المعماريين والزراعيين والاطباء الذين يعملون في الحكومات والمؤسسات العامة .

١٥ - يوصي المؤتمر الحكومات العربية باعفاء الاعمال الفنية والادوات والكتب والخامات المستعملة في الانتاج الفني من الرسوم الجمركية .

١٦ - يوصي المؤتمر الحكومات العربية بحماية حقوق التأليف الفني في مجال الفنون التشكيلية وحماية الفنان من مختلف انواع الاستغلال .

١٧ - يوصي المؤتمر الحكومات العربية بأن تفيد من اجهزة الاعلام المختلفة للتعريف بالفنانين العرب ونشر الوعي الفني في مجال الفنون التشكيلية .

١٨ - يوصي المؤتمر الحكومات العربية بانشاء الجوائز التشجيعية والتقديرية لانواع الفنون التشكيلية بمنح الأوسمة للمبدعين .

١٩ - يوصي المؤتمر الحكومات العربية بتشجيع الاشتراك في المعارض الدولية للفنون الجميلة مثل بينالي البندقية ، وباريس ، وسان باولو ، واثينا ، وبرشلونة ، والاسكندرية .

٢٠ - يوصي المؤتمر جامعة الدول العربية باصدار كتاب فني على مستوى

عال من الطباعة بالالوان عن الفنانين العرب المعاصرين ، وكذلك التوصية لدى كل دولة عربية باصدار كتاب على نفس المستوى عن فنانيها المعاصرين .

٢١ - يوصي المؤتمر الحكومات العربية بعمل ارشيف فني كامل ومجموعة من الشرائح الملونة عن انتاج الفنانين التشكيليين العرب المعاصرين والقدماء .

٢٢ - يوصي المؤتمر حكومات الدول العربية بجعل تدريس التربية الفنية الزامياً في جميع مراحل التعليم .

٢٣ - العناية برسوم الاطفال العرب وعمل معارض دورية لهم وتبادل معارضهم بين الدول العربية والاجنبية .

٢٤ - يوصي المؤتمر بتدريس تاريخ الفن العربي القديم والحديث في كليات ومعاهد الفنون .

٢٥ - يوصي المؤتمر الحكومات العربية بسرعة تخصيص نسبة ٢٪ من اعتمادات المباني العامة والحكومية لاعمال الفنون التشكيلية المختلفة ، على ان تتولى نقابات او اتحادات الفنون الجميلة في كل دولة عربية الاشراف على توزيع وتنفيذ هذه الاعمال .

٢٦ - يوصي المؤتمر الحكومات العربية بتجميل المدن والحدائق العامة والعناية بتخطيطها بما لايفقدها تراثها واصالتها وطابعها القديم العريق ، مع العمل على تزيينها بالاعمال الفنية ، والعمل على نظافتها .

٢٧ - يوصي المؤتمر بطبع الاعمال الفنية للفنانين العرب بحجم البطاقات البريدية وتعميمها في الدول العربية .

١٨ - يوصي المؤتمر بأن يلتزم كل فنان باختصاصه وأن لايتعدى اختصاص على آخر .

البيان العام والتوصيات

لمؤتمر الأدباء العرب الثامن

المنعقد بدمشق (١١ - ١٥ كانون الأول - ديسمبر ١٩٧١)

ان معركة المصير التي تخوض غمارهـا الامة العربية جمعاء ، ويقف في طلائعها الاديب العربي ، تشكل تحدياً حضارياً شاملا لا سبيل للأمة العربية الا أن تنتصر فيه ، على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وعلى صعيد المعركة السياسية والعسكرية جميعاً .

وبالرغم من الكارثة التي حلت بوطننا العربي السليب في فلسطين قبـل اكثر من عشرين عامـاً ، وبالرغم من مرور أربع سنوات ونصف على العدوان الصهيوني الامبريالي الذي شنته في الخامس من حزيران ٩٦٧ قوى التوسـع والاغتصاب والفاشية المتمثلة في اسرائيل والامبريالية العالمية ، فانه ما يزال على الادباء والمفكرين العرب ان يواصلوا دورهم التاريخي ، مع الطلائع العربية ، في حمل مسؤوليتهم الكبيرة وحشد طاقاتهم وامكاناتهم ومواهبهم من اجل تحقيق النصر في معركة المصير .

وتحت شعار « الاديب العربي في معركة المصير » انعقد مؤتمر الادباء العرب الثامن ، في الفترة بين ١١ - ١٢ - ١٩٧١ و ١٥ - ١٢ - ١٩٧١ ، وشاركت في المؤتمر وفود من (١٢) بلداً عربياً هي : البحرين ، تونس ، الجزائر ، سورية ، العراق ، فلسطين ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، مصر ، المغرب ، اليمن ، جامعة الدول العربية . وشهدته وفود مراقبة من بعض المنظمات والبلاد الصديقة .

ان الادباء العرب يدركون ان معركة المصير تتمثل في مقاومة قوى الامبريالية والصهيونية والاستعمار والعنصرية لارساء قواعد الحرية والتقدم والبناء الاشتراكي والسلام والعدالة الاجتماعية والازدهار الروحي والثقافي والحضاري للانسان .

ويدرك الادباء العرب ادراكاً تاماً أن اسهام الشعب العربي في نضال هذه الجبهة المعادية للامبريالية والاستعمار يدعم القضية العربية والقضية الفلسطينية كما يدعم نضال الشعوب في فيتنام والهند الصينية ، وفي افريقيا الجنوبية ، وفي تشاد ، وفي المستعمرات البرتغالية في انغولا وموزامبيق وغينيا بيساو ، وفي كل موقع تحتدم فيه المعركة ضد العدو المشترك .

ويؤكد الادباء العرب في مؤتمرهم الثامن ، مساندتهم للثورات التحريرية وحركات التحرر الوطني في كل المناطق التي ما تزال تحت وطأة الحكم الاستعماري ، كما يدين التفرقة العنصرية في فلسطين المحتلة وافريقيا الجنوبية وزمباووى وافريقيا الجنوبية الغربية وفي كل مكان تمتهن فيه الكرامة الانسانية ، ويؤيدون الحقوق المشروعة للشعوب في تقرير مصيرها بحرية وخاصة في ارتيريا والمناطق المحتلة من الصومال وغيرها ، ويؤكدون ان سلاح الكلمة المناضلة في هذا السبيل لا يقل خطراً وأثراً عن سائر اسلحة النضال .

ويدرك الادباء العرب ان المعركة المصيرية التي يقاتل الشعب العربي من اجل النصر فيها انما ترتبط بإزالة الوجود الامبريالي من الارض العربية ، وان الاغتصاب الصهيوني الذي يستهدف الارض العربية ، كما يستهدف الروح العربية ، رهن بالعدوان الامبريالي واستغلال الاحتكارات الرأسمالية للثروات المادية والبشرية العربية . وان الكفاح المسلح الذي يخوضه شعب فلسطين والامة العربية بأسرها ، وبخاصة على خطوط المواجهة مع العدو ، يسهم اسهاماً فعالاً في هذا النضال المترابط من أجل تحرير الارض العربية المحتلة ، واستعادة حق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه ، وتحطيم حواجز التجزئة المصطنعة التي خلفها الاستعمار في الوطن العربي واجتياز هوة التخلف الحضاري وتحقيق مستقبل مشرق بالحرية والامن والعدالة والرخاء .

ويلتزم الادباء العرب بمساندة الكفاح الفلسطيني المسلح وتوكيد الدور الذي تنهض به الثورة الفلسطينية ، والوقوف وقفة حازمة ضد مؤامرات التصفية التي تدبرها وتنفذها الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية . ويدعمون نضال شعب المغرب من اجل تحرير الصحراء التي تحتلها اسبانيا وكذلك لتحرير مدينتي سبتة ومليلة والجزر الملحقة بها في الشمال ، كما يدعمون النضال المسلح الذي يخوضه الشعب في الخليج العربي بقيادة الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي ويدينون الاحتلال الايراني لعربستان .

كذلك ، يلتزم الادباء العرب بالدفاع عن عروبة الخليج العربي ، فما احتلال ايران لجزره الثلاث الا جزء خطر من المخطط الامبريالي الذي يستهدف الاستيلاء المباشر على منابع الثروة العربية ومواقعها الاستراتيجية ، واقتطاع

اراضيها ، وخلق جبهات جديدة لاستنزاف قوى العرب وابقائهم على حال التخلف، حتى يسهل القضاء على الكيان العربي كله .

ويؤكد الادباء العرب اعتزازهم بالاصل الحي من تراثهم وقيمهم الروحية والحضارية وعياً منهم بأهمية مواكبة التطور السريع في ميدان الانجازات الحضارية وادراكاً منهم بان اسهامهم في الابداع المعاصر من عوامل النضال الايجابي لكسر جدار العزلة التي اقامها الاستعمار والامبريالية حولنا .

ويؤمن الادباء العرب ايماناً عميقاً ان الحرية النابعة عن المسؤولية ، عامل من أقوى العوامل أثراً في هذا النضال ، وان التزام الاديب بقضايا شعبه وهمومه ونضاله انما يعمق حريته ويدعمها .

ويدرك الادباء العرب ان حرية التعبير والاداء الفني ضرورة لاغنى عنها للخلق والابداع الادبي ، ولذلك فانه من الضروري في هذا المجال توفير المناخ للحرية في التعبير بما يصدر عن القيم الحية في التراث ، وما يتسق مع الواقع الراهن وما يستشرف آفاق المستقبل .

ويؤكد الادباء العرب ، في مؤتمرهم الثامن ، ان التوصيات والقرارات التي انتهت اليها لجانه واجتماعاته ينبغي ان تؤخذ في الاعتبار من جانب الحكومات والهيئات المختصة في البلاد العربية ، وان توضع موضع التنفيذ ، ويعهد الى الامانة العامة لاتحاد الادباء العرب بمتابعة تنفيذ وتحقيق هذه التوصيات ، وخاصة بالتنسيق مع جامعة الدول العربية واتحادات الكتاب في البلاد العربية والهيئات العربية للعلوم والفنون والآداب .

ويعرب المؤتمر عن تقديره واعتزازه للدور الفعال الذي تنهض به الجمهورية

العربية السورية في النضال من اجل النصر في معركة المصير ، كما يعرب عن شكره وامتنانه للسيد رئيس الجمهورية العربية السورية على رعايته الكريمة للمؤتمر وتفضله بافتتاح اعماله ، وللجهود الكبيرة التي بذلها اتحاد الادباء العرب واتحاد الكتاب العرب في سورية في سبيل الاعداد للمؤتمر وتوفير النجاح له ، ولما لقيته الوفود جميعاً من كرم وحسن وفادة .

التوصيات

الموضوع الاول : « الاديب العربي بين الحرية والالتزام في معركة المصير »

١ ـ توفير حرية التعرف على الفكر العالمي مع الاحتفاظ بمعطيات التراث القومي .

٢ ـ اشراك الجماهير في تقييم ادب المعركة المصيرية عن طريق التنسيق بين اتحادات الكتاب وبين اجهزة الاعلام للتوعية الجماهيرية .

٣ ـ حث الادباء على المشاركة في الدور التثقيفي الذي تقوم به أجهزة الاعلام .

٤ ـ الالتزام بلغة فصحى مبسطة تأدية للرسالة القومية وتوخياً لربط الادب بالجماهير .

٥ ـ الالتزام بخط الثورة العربية التي هي السبيل الوحيد للوحدة القومية .

٦ ـ اقامة ندوات لعرض المفاهيم الاساسية للالتزام بمعركة المصير وتوضيحها.

الموضوع الثاني : « الاديب العربي بين التراث والمعاصرة في معركة المصير » .

يوصي المؤتمر بما يلي :

١ ـ ان تكون اللغة العربيـــة هي اللغة الرسمية للتعليم العالي في الجامعات العربية .

٢ ـ أن يتبنى اتحاد ادباء العرب فكرة عقد مؤتمر للتراث العربي كل سنتين او ثلاث سنوات لمناقشة ما يجد فيه . وان يخصص كرسي لتدريس التراث العربي بالجامعات العربية في ضوء ما يجري من ابحاث مقارنة في الجامعات العالمية .

الموضوع الثالث : « الاداء والتعبير الفني في معركة المصير » .

١ ـ اعتبار ان المسألة الأساسية في موضوع دور الاداء والتعبير الفني في معركة المصير هي تحقيق اكبر قدر من الاتصال مع الجماهير .

٢ ـ اعتبار مهمة النقد الأدبي للظاهرات الأدبية الجديدة تتعدى مسألة تحديد الخطأ والصواب في هذه الظاهرات لتبلغ الاسهام الجدي في حركة التفاعل والتواصل الضروري بين الأدب والجمهور .

٣ ـ تشجيع الكاتب في مقاومة الغربة وضغط الواقع المرفوض بالابداع الأدبي والعمل من اجل الارتباط بحركة الجماهير .

الموضوع الاول من المشاكل العملية والتنظيمية :

يوصي المؤتمر بما يلي :

١ ـ اهتمام الحكومات بمحو الامية وجعله مهمة عاجلة واساسية .

٢ ـ اهتمام وزارات التربية والثقافة بالتشجيع على القراءة والمطالعة بين الشباب عن طريق الدروس والجمعيات والجوائز والحوافز والبرامج الاعلامية .

٣ ـ انشاء مراكز لتبادل المعلومات بصدد الكتاب العربي في كل قطر بحيث تنظم عملية الترجمة واحياء التراث ونشره .

٤ ـ انشاء دار للنشر والتوزيع برأسمال عربي مشترك بحيث تكون تحت اشراف اتحاد الادباء العرب وبحيث تساهم في تشجيع الادباء والقضاء على عمليات التزوير .

٥ ـ اعتبار تزوير الكتاب من جرائم السرقة المعاقب عليها في القانون

٩ ـ توحيد موقف الدول العربية من اتفاقية برن المتعلقة بحماية الانتاج الفكري .

٧ ـ تخفيض اسعار الاعلان عن الكتاب في كل وسائل الاعلان وتخفيض أجور نقل الكتاب بوسائل النقل والبريد .

٨ ـ ايجاد حل لمشكلة تحويل العملة بين البلدان العربية فيما يتعلق بتسويق الكتاب العربي .

٩ ـ اهتمام دور النشر العربية باصدار طبعات شعبية تكون في متناول قدرة الجماهير .

١٠ ـ الاهتمام باخراج الكتاب العربي ليساير تقدم الطباعة .

١١ ـ تعميم المكتبات العامة وقصور الثقافة وحث الحكومات على ايجادها ان لم تكن موجودة وتمكينها من أن تخدم أكبر عدد ممكن من المواطنين بواسطة الكتاب والبرامج الثقافية .

١٢ ـ اهتمام الحكومات بتيسير تداول الكتاب العربي بين مختلف الاقطار العربية بشتى الوسائل وتعاون اتحادات الكتاب العربية في هذا المجال .

الموضوع الثاني من المشاكل العملية والتنظيمية :

للدفاع عن الأديب العربي ومطالبه المهنية يوصي المؤتمر بما يلي :

١ ـ ان يقوم اتحاد الادباء العرب بتتبع الاجراءات التي قد تقوم بها السلطات ضد الكتب او المجلات او الكتاب والادباء بهدف اضطهاد الكتاب بسبب انتاجهم الأدبي والقيام بالدفاع عنهم عن طريق الاتصال بالسلطات المعنية، او تعيين محامين للدفاع عنهم ان عرضت القضية على القضاء .

٢ ـ ان تقوم الامانة العامة لاتحاد الادباء العرب ببذل كافة الجهود من أجل الافراج عن الادباء المسجونين بسبب انتاجهم الادبي ورفع الاضطهاد عنهم وفي مقدمتهم الاديب العربي عبد العزيز المعمري، ومن أجل رفع الحجز عن جميع الكتب التي لم يحكم القضاء بمصادرتها .

٣ ـ ان تعفي الحكومات العربية المثقف العربي من اداء اي نوع من الضرائب المتعلقة بدخله الناتج عن آثاره الفكرية .

٤ ـ ان تقوم الحكومات العربية بسن تشريعات تمكن الاديب العربي من التفرغ النسبي او الكلي للاعمال الفكرية .

٥ ـ ان تقوم الامانة العامة ببذل كل الجهود الممكنة في سبيل نشر الادب العربي على النطاق العالمي بترجمة نماذج منه في مجلة دورية وفي سبيل سلاسل كتب .

٦ ـ ان تشجع اتحادات الكتاب في الوطن العربي ادب الشباب وان تتبنى الانتاج الادبي الجيد منه .

٧ ـ ان تقوم الامانة العامة بوضع أسس موحدة كمبادىء تسير عليها دور النشر في الاتفاقات الخاصة بينها وبين الكتاب فيما تنشره لهم ضمانا لحقوقهم .

الدفاع عن ادباء الارض المحتلة

يوصي المؤتمر بما يلي :

١ ـ توجيه التحية الى ادباء فلسطين في الارض المحتلة ، لنضالهم الطليعي وحملهم رسالة الاديب الحقيقية في اذكاء روح المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني الاستعماري وقوى الامبريالية العالمية التي تقف وراءه . واذ يحيي المؤتمر هؤلاء الادباء الطليعيين ، على حملهم راية النضال داخل الارض المحتلة ، يدعو اخوانهم

العرب الى حمل نفس الراية والتفاعل معهم تفاعلا تامـــاً في كفاحهم من أجل الحرية والتقدم .

٢ ـ تحديد يوم سنوي للتضامن المعنوي والمادي مع ادباء الارض المحتلة، ومطالبة الاتحادات والادباء الاحرار بان يقفوا باستمرار الى جانبهم في نضالهم وان يعملوا على حمايتهم من حملات التجريح والتهجم التي يتعرضون لهـــا احيانا بسبب مواقفهم النضالية النابعة من حملهم لراية النضال ضد سيطرة الاحتلال ومذهبيتهم الفكرية .

وبأن يكون يوم التضامن هذا على اوسع نطاق عالمي ممكن عن طريق الاتصال بالاتحادات والكتاب الأحرار في العالم كله ، وبمختلف الوسائل الاخرى.

٣ ـ حماية الحقوق الادبيـــة والمادية لادباء الأرض المحتلة ، لدى نشر انتاجهم بمختلف وسائل النشر ويرى المؤتمر ان يتولى الاتحاد العام لكتاب فلسطين النيابة عنهم في حماية هذه الحقوق وحفظها ، بالتعاون الوثيق مع الاتحادات العربية المحلية والاتحاد العام للادباء العرب . وبأن يعمل الاتحـــاد العام للادباء العرب والاتحادات الاعضاء فيه على طباعة ونشر ادب الأرض المحتلة باللغة العربيـــة ، وترجمة هذا الادب الى اللغات العالمية بصورة تتفق ومستويات النشر العالمية .

وان يعني الاتحاد العام والاتحادات الاعضاء بتزويد مراكز الاستشراق والمؤسسات المعنية الاخرى ، بهذه الترجمات واصولها العربية .

٤ ـ ضرورة ضمان الحرية الكاملة للاديب الفلسطيني في النضال من اجل قضيته ، ودعوة الاتحاد العام والاتحادات الاعضاء ، الى تبني هـــذه القضية ، والدفاع عن حرية كل اديب فلسطيني وعربي يتخذ من قلمه سلاحاً للدفاع عن القضية الفلسطينية والعمل على تحقيق اهدافها .

٥ – تعزيز دور الاذاعات العربية في خدمة القضية الفلسطينية ، وان تولي مزيداً من الاهتمام ببرامج فلسطين واركانها ، لتعريف الجماهير داخل الوطن العربي وخارجه بالاسس الصحيحة للقضية الفلسطينية . وان تعمل دور الاذاعات العربية على ايصال ادب الارض المحتلة الى الجماهير في الوطن العربي وخارجه ، وايصال الادب العربي التقدمي من الناحية الاخرى الى الجماهير في الارض المحتلة .

٦ – تحديد يوم سنوي عالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني في نضاله ودعوة الكتاب العالميين الاحرار الى الاسهام في هذا اليوم .

دراسة المشكلات العملية والتنظيمية لواقع الأدباء العرب

يوصي المؤتمر بما يلي :

١ – ألا يوضع أي قيد على حق المؤلف المطلق في نشر مصنفاته الفكرية والادبية وتوزيعها وترويجها على اوسع نطاق ما دام ملتزماً بأهداف الامة العربية .

٢ – على الكتاب من أي قطر عربي أن يناضلوا من اجل قيام اتحادات تضم شتاتهم وتدافع عن مصالحهم الأدبيـــة والمادية ومن اجل وضع تشريعات خاصة برعاية هـــذه الحقوق ، ولهم الحق في اقامة مؤسسات تعنى برعاية حقوقهم المادية .

٣ – التنسيق بين تشريعات البلاد العربية الخاصة بالمنظمات الادبية الموكل اليها رعاية حقوق التأليف لكي تكون مستوحاة من واقع الشعب العربي مستمدة روحها من ظروفه وملابساته ومعاونة البلاد التي ليس بها منظمات على اقامة هذه المنظمات بتقديم تشريعات نموذجية اليها .

٤ ـ تيسير تبادل الزيارات بين رجال الفكر والادب بين البلاد العربية الشقيقة لتحقيق التعارف المنشود وتوثيق الصلات بين الكتاب .

٥ ـ دعوة الحكومات العربية الى المزيد من العناية بشؤون الفكر ورجاله حتى يستطيع الكاتب العربي ان يعيش من انتاجه ولانتاجه ؛ وأن يقوم بدوره البناء في ظروف ملائمة للخلق والابداع لاتشغله الشواغل المادية ولا تعرقل مسيرته الحواجز .

٦ ـ دعوة المؤتمر التاسع للادباء العرب الى ادراج موضوع رعاية حقوق المؤلفين في جدول اعماله ليتمكن الكتّاب من اسماع صوتهم في هــذا المضمار ، ولمتابعة ما جاء من توصيات في هذه اللائحة بكامل الجدية والاهتمام .

مسابقة جامعة الدول العربية حول اللغة

ينظم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي مسابقات سنوية في موضوعات تتعلق باختصاص المكتب ، توزع فيها جوائز نقدية باسم كل دولة عربية . وكان موضوع المسابقة الأولى (وقد تبناها المغرب) تقديم مخطوط مستوفى الشرح والتعليق او بحث جديد حول اللغة العربية ، وكانت الجائزة الثانية (بعد ان احتفظ بالجائزة الاولى) من نصيب استاذ من الجمهورية العراقية والثالثة والرابعة من نصيب استاذين من جمهورية مصر العربية .

ولقد قرر المكتب تنظيم مسابقة ثانية لسنة ١٩٧١ - ١٩٧٢ - على غرار المسابقة الاولى - وتبنت دولة الكويت تمويلها بمبلغ عشرة آلاف درهم - أي ما يعادل ٢٠٠٠ دولار امريكي لتغطية قيمة الجوائز الاربع التي ستمنح للابحاث الفائزة . واتفق المكتب الدائم ووزارة التربية الكويتية على مايلي :

(١) أن يكون موضوع مسابقة هذه السنة موضوع السنة الماضية نفسه لما له من علاقة وطيدة بالتعريب واللغة العربيـــة وهو (تقديم مخطوط نادر أو دراسة حول اللغة العربية لم تنشر من قبل) .

٢ ـ أن القديم ذا قيمة علمية في موضوع اللغة العربية على شكل معجم او دراسات او ابحاث ثمينة (لم يسبق نشرها) .

٣ ـ يدرس المخطوط دراسة علمية تتناول الكتاب ومؤلفه وعصره وقيمته العلمية ، مع تحقيق النص تحقيقاً دقيقاً .

٤ ـ أن لا تقل الدراسة عن خمسين صفحة (٥٠) من الحجم المتوسط .

٥ ـ يجوز اشتراك اكثر من شخص في تقديم المخطوط او البحث الواحد، وفي هذه الحالة تقسم الجائزة بالتساوي فيما بين المشتركين .

٦ ـ يهدف هذا المشروع الى الكشف عن المخطوطات الثمينة النادرة حول اللغة العربية، وحفز القرائح العربية للقيام بدراسات لغوية على نطاق الرسالة الجديدة التي تقوم بها اللغة العربية كلغة عمل في المحافل الدولية .

٧ ـ يرسل البحث « في نسختين » الى مقر المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ٨ شارع الاتيل ص. ب. / ٢٩٠ / الرباط ـ المغرب .

٨ ـ تتألف لجنة التحكيم في هذه المسابقة من أعضاء تختارهم وزارة التربية في دولة الكويت .

٩ ـ تقبل الوثائق والبحوث حتى نهاية أيلول « سبتمبر » ١٩٧٢ .

نداء

من المؤتمر الاقليمي العربي الثاني
لتقويم نشاط محو الأمية في الدول العربية

ان المؤتمر الاقليمي العربي الثاني لتقويم نشاط محو الامية في الدول والبلاد العربية المنعقد بالاسكندرية في المدة من ١٤ الى ٢٠ ديسمبر « كانون الأول » سنة ١٩٧١ بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم « الجهاز الاقليمي العربي لمحو الأمية » بجامعة الدول العربية ، يوجه الى قادة الامة العربية وزعمائها والقيادات شعبية ورجالات الفكر والتخطيط والاقتصاد والاعلام والمؤسسات الجامعية والعلمية هذا النداء :

من واقع مسئولياتنا القومية والحضارية وظروف المعركة ومتطلباتها ؛

وإيماناً من المؤتمر بخطورة مشكلة الأمية وعظم حجمها ؛

وادراكاً منه بأنها قد يعوق حركة الأمة العربية نحو تطورها وتقدمها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ؛

وانطلاقاً من أهمية العنصر البشري في تحقيق التنمية والتطور كركيزة أساسية يمكن لها — إذا فتحت أمامه آفاق المعرفة — أن تنطلق نحو الحضارة العربية الحديثة ومواصلة تنميتها والارتقاء بها ؛

واحساساً بالمرارة نتيجة ضعف الجهد الذي بذل خلال السنوات التي مضت منذ عقد المؤتمر الاقليمي العربي الاول لمحو الأمية في البلاد العربية الذي انعقد بالاسكندرية سنة ١٩٦٤ ؛

يهيب المؤتمر بجميع قادة الامة العربية وزعمائها :

أن يولوا مشكلة الأمية حقها الحتمي الواجب من العناية والرعاية والتقدير بتخصيص ما يحتاج اليه العمل فيها من الموارد المالية والمادية والبشرية التي تحقق التخلص من وصمة الأمية في أسرع وقت ممكن بمكّن الانسان العربي ، رجلا كان أو امرأة ، من المشاركة الايجابية الفعالة في المجتمع العربي الجديد وتقدمه وتطويره .

وإن المؤتمر ليناشد القادة والزعماء بحث مشكلة الأمية في اول مؤتمر عربي للقمة ، واتخاذ القرارات اللازمة بشأنها ، والاسراع بتنفيذ ما سبق أن أقروه في مؤتمر القمة بالاسكندرية .

ويهيب المؤتمر بمختلف القيادات الشعبية المحلية :

أن يجعلوا مشكلة الأمية نصب أعينهم ، فيعملوا على توفير الفرص التعليمية لسائر الجماهير العريضة من المواطنين العرب الأميين ، ويجتذبوهم إليها أو يستحثوهم على الاستفادة منها ، ويهيبوا بالمتعلمين ان يقوموا بواجبهم نحو إخوانهم الأميين .

ويطلب المؤتمر من مختلف القيادات أن يكون اتصالهم بالمؤسسات والنقابات والمصانع والجمعيات والاتحادات ، وتعاملهم معها ، وسيلة من الوسائل التي يتخذونها لتوفير المصادر المادية والمالية والبشرية الجديدة التي تساعد على سرعة القضاء على الأمية .

إن المؤتمر يطالب بعقد مؤتمرات قومية ومحلية متعددة ومتنوعة لدراسة المشكلة ، وتحديد الجوانب التي يمكن لهم ولمؤسساتهم ونقاباتهم أن يسهموا فيها ، ويطالب بجعل محو الأمية نشاطاً أساسياً ورئيسياً للمنظمات والهيئات والمؤسسات الشعبية .

ويهيب المؤتمر برجالات الفكر والتخطيط والمال والاقتصاد :

أن يجعلوا خطط محو الامية وبرامجها ومشروعاتها جزءاً من خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وأن يحددوا الطرق والوسائل التي تؤدي إلى إحداث التكامل والارتباط بين تعليم الكبار وتعليم الصغار ، وأن يخصصوا من الموارد المالية ما يتيح سرعة القضاء على الأمية بين الكبار ، ويحقق لهم تعميم التعليم الالزامي ، وأن يمدوا اليد القوية إلى رجال التربية ليتعاونوا جميعاً على وضع الأساليب الكفيلة بتنفيذ مخططات محو الأمية ، واستيعاب جميع الملزمين في المرحلة الابتدائية في أسرع وقت ، وليشتركوا معاً في تذليل العقبات والتغلب على المعوقات التي تعترض الطريق .

إن المؤتمر يطالب بعقد مؤتمرات قومية ومحلية تجمع بينهم على مختلف تخصصاتهم لاتخاذ القرارات الإيجابية التي تكفل توفير ما يلزم للعمل في محو الأمية ، كما يطالب باشتراكهم في الأجهزة المسؤولة عن التخطيط لمحو الامية على المستويين العربي والمحلي .

ويهيب المؤتمر بالمؤسسات الجامعية والتعليمية ومراكز البحث العلمي :

أن يتدارسوا مشكلة الامية ، ويعملوا على تحديد ابعادها ، ويبينوا مستلزمات العمل لمحوها ، ويحددوا أساليب التغلب على العقبات التي تعترض القضاء

عليا ، وان يرسموا الطرق الكفيلة بدمج العمل في محو الامية بخطط التنمية الشاملة، ويوضحوا الاساليب المختلفة للادارة والتقويم وإعداد العاملين وما إلى ذلك ، من خلال بحوثهم ومتابعتهم للتطورات العلمية الحديثة في ميدان محو الامية .

إن المؤتمر ليستحث خطاهم لاجراء البحوث المختلفةفي هذه الميادين وغيرها، ويطالبهم بعقد مؤتمرات علمية لتبادل الرأي في كافة المشكلات حتى يكون علمهم وخبراتهم هادياً للعاملين في ميدان محو الامية ، ونوراً يستضيئون به في هـــذا الطريق ، ويطالبهم بالاشتراك في التخطيط لمحو الامية مع الاجهزة المسئولة .

إن الامة العربية التي تنتمون إليها جميعاً ، والتي تحرصون أشد الحرص على تقدمها وتطورها ، وتعملون لنصرتها على عدوها الصهيوني والاستعماري ، وتحرير الارض المحتلةفي فلسطين ، وسيناء ، والجولان ، والضفة الغربية ، والخليجالعربي (الجزر الثلاث) ، وتسعون الى ان تحتل المكانة التي هي جديرة بها في ميادين السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع ، لتحملكم أمانة القضاء على الأمية في أسرع وقت ، وتنتظر منكم في سبيل ذلك الكثير ، وهي موقنة أنكم أهل لذلك .

وفقنا الله جميعاً إلى العمل لرفعة أمتنا العربية المجيدة .

دراسات فلسطينية بالانكليزية

صدر العددان الاول والثاني من مجلة الدراسات الفلسطينية باللغة الانكليزية، وهي مجلة فصلية تصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية وجامعـــة الكويت . وتخاطب هذه المجلة، بالدرجة الاولى، الرأي العام العالمي في اوروبا الغربية وامريكا الشمالية و كثير من الدول الاشتراكية وبلدان العالم الثالث .

يشترك في تحرير المجلة عدد من الكتاب الأجانب المعروفين بموقفهم النزيه من القضية الفلسطينية بالاضافة الى الأقلام العربية الناضجة التي تستطيع مخاطبة الرأي العام العالمي بجدية واقناع . وتركز المجلة بشكل خاص على جوانب تطور الصراع العربي الاسرائيلي المختلفة ، وتتعرض للدراسات والابحاث الدولية التي تتناول القضية الفلسطينية ، فضلا عن اهم الاحداث الفصلية وعن عرض اهم المصادر والنصوص حول القضية ، والتي يمكن اعتبارها مرجعاً للبحث والدراسة .

والحق أن مشروع هذه المجلة جاء محاولة لسد فراغ كبير في مجال مخاطبة الرأي العام العالمي ورجال الفكر باللغـــة الانكليزية ، والمعروف ان سيطرة الصهيونية على الاعلام الاجنبي لاتعود الى الجهد الصهيوني وحده ، ولكنها تعود ايضاً الى غياب الجهد العربي بدرجة ملحوظة . ولاحاجة بنا لتأكيد أهمية الحوار مـــع المثقفين والمطلعين الأجانب . إن مجلة « الدراسات الفلسطينية » هي مشروع اعلامي قومي يقوم على أساس من العلم والموضوعية والبحث الجاد .

اعلان هام

الى السادة المشتركين في مجلة « المعرفة »

قررت ادارة المجلة توزيع هديتها على المشتركين في عام ١٩٧٢ اعتباراً من شهر آذار (مارس) ولغاية شهر حزيران (يونيو) . والهدية هي كتاب من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي في القطر العربي السوري .

وتضع المجلة أمام القراء القائمة التالية ، المؤلفة من عشرة كتب ، ليختار المشترك منها كتاباً نقوم بارساله اليه مع العدد القادم . ونرجو تفضل المشترك باعلامنا اختياره بأسرع وقت ممكن ، وبيان العنوان الذي يرغب في ارسال الكتاب الهدية اليه :

السبرنتيك وأصل الاعلام ، لريمون رويه ، ترجمة الدكتور عادل العوا .

الروتين ومعوقات الادارة ، لعلي الزعيم

الشمس الغاربة ، (رواية) لأسامو دازاي ، ترجمة فائز بشور .

حوار في ليل متأخر ، (مجموعة قصصية) لمحمد زفزاف .

فيرنر هايزنبرغ وميكانيك الكم ، لبيير كوتي ، ترجمة وجيه السمان .

النهر ، (مسرحية شعرية غنائية) لسليمان العيسى .

الطاقة الشمسية ، للدكتور مارسيل داغر ، تقديم الدكتور أدم السمان .

فيدل كاسترو ، لناتيز ، ترجمة حافظ الجمالي ، مراجعة عيسى عصفور .

الرياح العاصفة ، (مجموعة شعرية) لممدوح مولود .

حذاء أبي القاسم الطنبوري ، (مسرحية في خمسة فصول) لأوغست ستراندبرغ ، ترجمة جورج سالم

هذه الهدية دعوة للقراء الذين لم يشتركوا بعد في المجلة ، الى المبادرة لتسجيل اشتراكهم فيها وارسال القيمة حوالة بريدية أو مصرفية أو شيكاً على أحد المصارف المعتمدة في دمشق باسم محاسب مجلة المعرفة ، وسيتلقون هديتهم وفق اختيارهم مع أول عدد يصلهم . وكذلك الى الذين انتهى اشتراكهم في نهاية عام ١٩٧١ ، للمبادرة الى تجديده ، للحصول على الهدية .